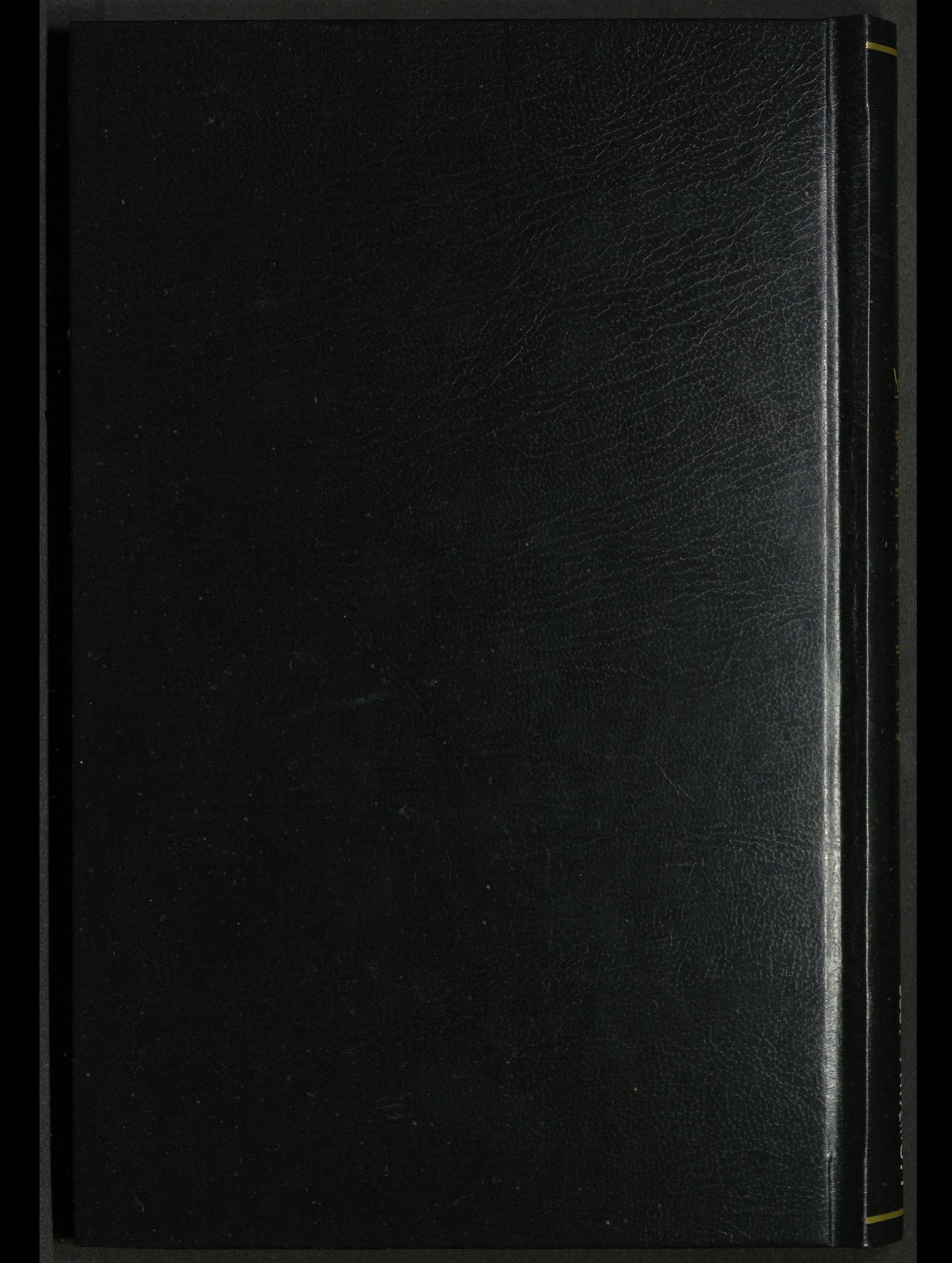
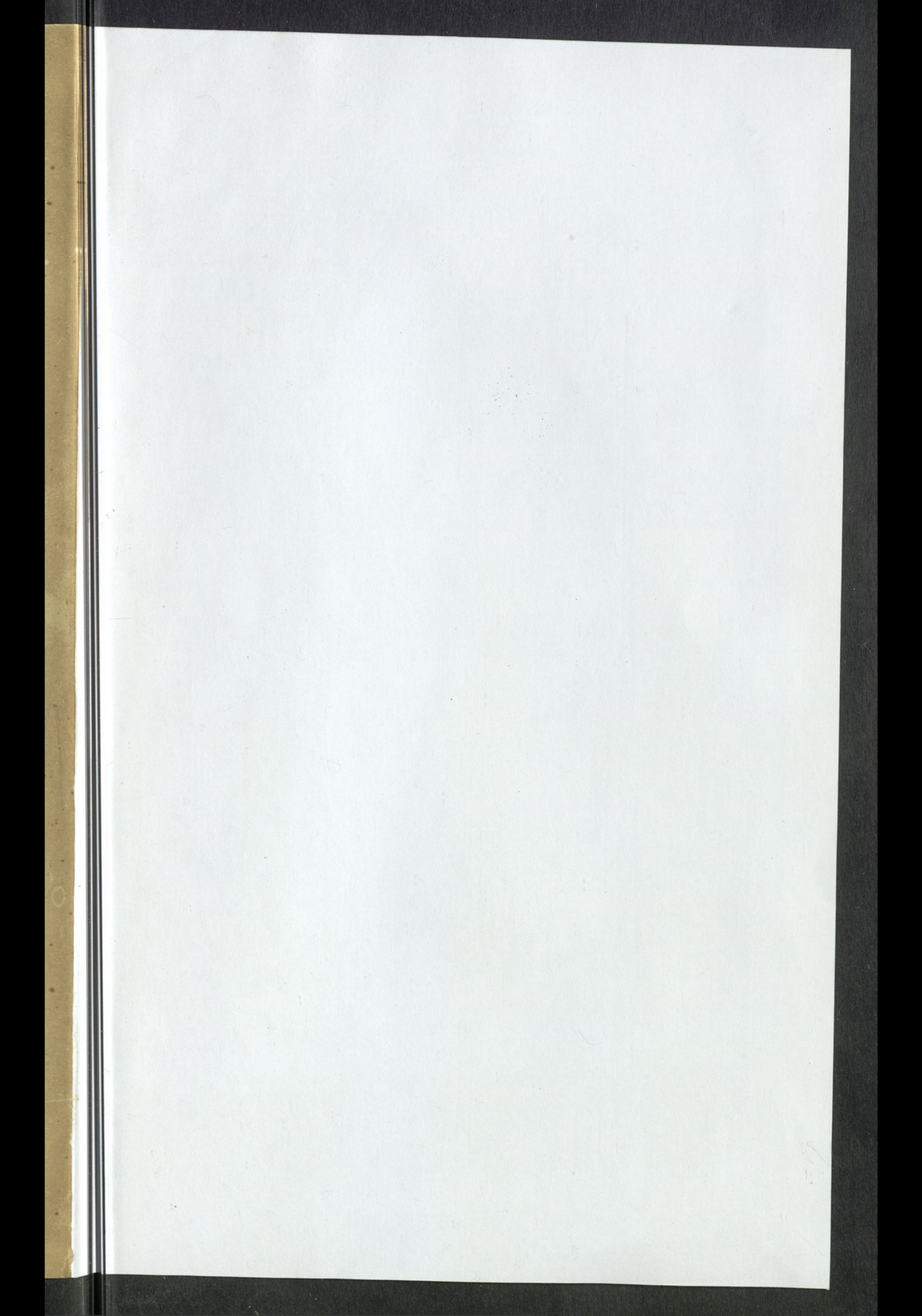
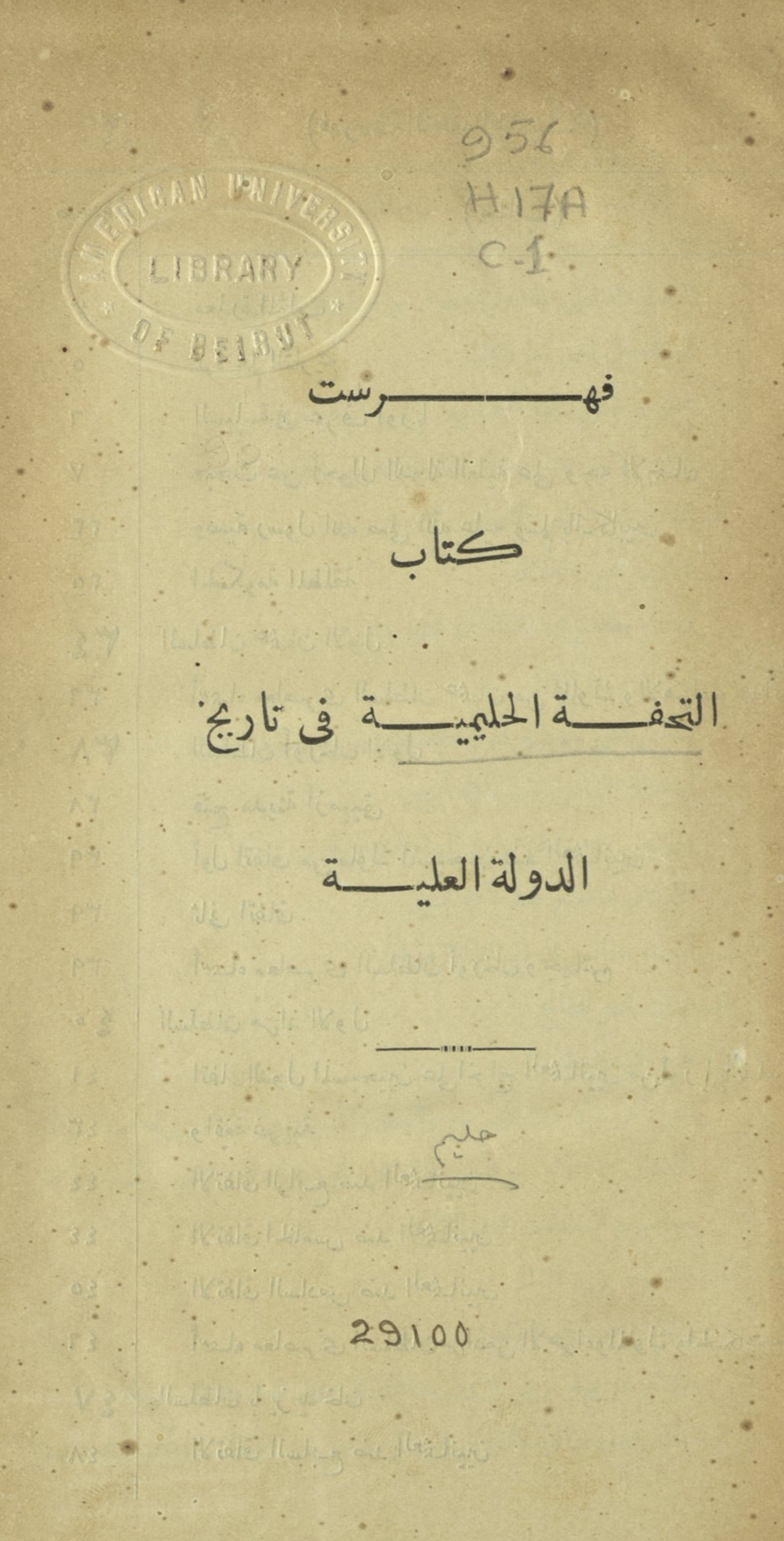






فهــــــرست

كتاب

التحفــة الحليميــة فى تاريخ

الدولة العليــة

حليم

صحيفة	(مطالب)
٤٩	الاستيلاء على مقدونيا وموررا وأتينا وقلعة طرخان
٤٩	استفحال أمر تيمورلنك
٥٠	محاربة تيمورلنك للعثمانيين وأسر السلطان بايزيد
٥٠	وقائع الاثنى عشر سنة الفاصلة بغير سلطان
٥١	السلطان محمد چلبى الاول
٥٢	محاربة مجر وافلاق
٥٤	أسماء معاصرى السلطان محمد چلبى
٥٥	السلطان مراد الثانى
٥٦	القبض على مصطفى دوزمه الذى ادّعى انه مصطفى چلبى بن السلطان مراد
٥٨	الاتفاق الثامن ضد العثمانيين
٦٠	اجلاس محمد الفاتح ابن السلطان مراد
٦١	الاتفاق التاسع ضد العثمانيين
٦٢	أسماء معاصرى السلطان مراد
٦٣	السلطان محمد الفاتح
٦٤	فتح القسطنطينية
٦٥	اتحاد هونياد ملك المجر مع حكومات المسيحيين المجاورين له ضد الدولة
٦٦	الاتفاق (١٢) من المجر وحكومات أوربا باعلان الحرب ضد الدولة
٦٧	معاصرو السلطان محمد الفاتح
٦٨	السلطان بايزيد الثانى
٦٩	وقائع جم أخى السلطان بايزيد
٧٢	حادثة غريبة وهى نزول صاعقة فى معمل البارود بالاستانة
٧٤	اتحاد جمهورية الونديك واسبانيا وفرنسا على حرب الدولة برا وبحرا باتحاد البابا

صحيفة	(مطالب)
١٠٦	واقعة محزنة لقتل السلطان محمد اخوته التسعة عشر عند جلوسه
١٠٧	اتحاد ألمانيا و بلونيا وغيرهم ضد الدولة (٣٤)
١٠٨	اتحاد آخر ضد الدولة
١١٠	معاصرو السلطان محمد الثالث
١١١	السلطان أحمد خان الاول
١١٥	معاصرو السلطان أحمد
١١٦	السلطان مصطفى الاول وخلعه
١١٦	السلطان عثمان الثانى
١١٨	واقعة فظيعة محزنة وقتل السلطان عثمان
١٢٠	اعادة السلطان مصطفى واستمرار الخلل والفساد
١٢٢	السلطان مراد الرابع فاتح بغداد
١٣١	أسماء الملوك المعاصرين له
١٣٢	السلطان ابراهيم خان ابن السلطان أحمد وأخو السلطان مراد
١٣٤	فتح جزيرة كريد
١٣٦	أسماء معاصرى السلطان ابراهيم وجهاتهم
١٣٧	السلطان محمد خان الرابع ابن السلطان ابراهيم
١٤٠	اتحاد فرنسا مع الونديك ضد الدولة (٣٥)
١٤٠	اتمام فتح جزيرة كريد
١٤١	اتحاد الونديك وبلونيا على محاربة الدولة
١٤٢	معاصرو السلطان محمد وجهاتهم
١٤٣	السلطان سليم خان الثانى ابن السلطان ابراهيم
١٤٤	معاصرو السلطان سليمان وجهاتهم

صحيفة	(مطالب)

﴿تمت الفهـــرست﴾

كتاب



تأليف

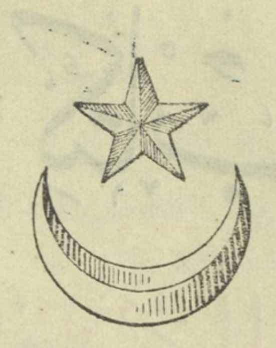
ابراهيم بك حليم

مفتش أوقاف دمنهور

(الطبعة الاولى)

بمطبعة ديوان عموم الاوقاف

سنة ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥ م



﴿ معـــذرة المؤلف ﴾

انى أعتذر مقدما لحضرات قراء هـذا الكتاب فيما يرونه من التقصير حيث انى لست من حضرات العلماء الافاضل ولا من الكتاب الاماثل ولا من متخرجى المدارس وغاية الامر هو انه قد وفقنى الله تعالى بمنه وكرمه لقراءة القرآن الشريف فى مكاتب بلادنا القوقاسية قبل مهاجرتنا منها ودخلت المكتب بالغا من العمر ثمان سنوات بغير توسط أهلى فى أول الامر ولم يمض على ذلك سوى سنة واحدة وبعض أشهر حتى قامت الحرب الاخيرة بين الروسيا والجراكسة فهاجر والدى رحمه الله تعالى بعائلته من وطنه الاصلى الى جهة ومنها الى جهة أخرى ومنها الى جهة ثالثة وهى ساحل البحر الاسود وقد استمرت الحرب ثلاث سنين ثم استولت الروسيا على بلادنا فهاجر ثلاثة ارباع الجراكسة بل أكثر الى بلاد الدولة العلية وكنت ممن هاجر مع والدى وهـم بضع مائة ألف بيت أو عائلة كما ذكرت ذلك تواريخ الاتراك ولا تسل عما قاسى الاهالى من المشاق والمتاعب وما أصابهم من تلف الاموال بعد قتل عشرات الآلاف من الرجال فى هذه الحرب الطويلة ولم يكن عنـد الجراكسة مدافع قط وبعد انتهاء الحرب وحضورهم الى سواحل البحر الاسود لم يحضر أحد منهم من متاعه الا قليلا بل أغلبهم لم يحضر معه شـيأ قط حتى من ازدحامهم فى السفن لم يقبل الملاحون شـيأ من المتاع بل كانوا يلقونه فى البحر وأما المواشى فقـد تركها أصحابها بالجبال والبعض تمكن من بيعها لمن لم يهاجر بابخس ثمن ولقد رأيت من باع الثور البقر بروبيل واحد وهو الريال المسكوفى الذى يساوى فرنكين ونصفا تقـريبا وكان الثور يساوى فى زمن الأمن قبـل المهاجرة من عشرين ريالا لغاية خمسة وعشرين ورأيت النعجة الجيـدة تباع بعملة يقال لها أباس وهى تساوى قرشا صاغا ونصفا بالعملة المصرية وقس على ذلك ولما هاجروا الى بلاد الدولة أيدها الله ساعدتهم مساعدة عظيمة وأمدتهم حتى صاروا فى سعة وهـذا من مصداق قوله سبحانه وتعالى (وَمَنْ يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ اللّٰهِ يَجِدْ فِى الاَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرا وَسَعَةً) وكان من ضمن النوائب العظمى احراق عساكر الروسيا

البيوت بمن فيها من الارواح و الاشباح و الاثاثات وذلك أنه عند زحف الجيش الروسى على الاماكن الموجود فيها الشيوخ و النساء و الولدان لتغيب الرجال فى الحرب كانوا يهربون خفافا بارواحهم و يتركون من لم يكن له قدرة على المشى مثل المرضى و الطاعنين فى السن الاقصى و العميان لظنهم أن العساكر لاتأخذهم أسراء ثم بعد حرق البيوت ورجوع العساكر عنها يعود الهاربون ليأخذوا من تركوهم فى البيوت محمولين على الاعناق أو الدواب فيجدونهم محرقين مع البيوت ولقد رأيت بعينى وأنا مع والدى العظام محروقة فحسبنا الله ونعم الوكيل ثم إنى لم أجد فرصة لتحصيل العلوم مع أنى كنت مغرما بها وما عندى من البضاعة القليلة اكتسابى بطرق الاجتهاد الطبيعية فى أثناء المساعى المعيشية من التجارة فى مبادى الامور ومن الخدامات الزراعية وعلاوة على ذلك فان لغتى الفطرية غير العربية الشريفة ولكثرة أشغالى المفروض أداؤها علىّ فى أوقاتها جعلت ساعتين بين العصر و المغرب من الايام التى لم أكن متغيبا فيها فى المرور لجمع وتسويد و تبييض هذا الكتاب آخذا من التواريخ التركية ملتزما الراجح من الروايات لعدم التطويل فبذا لم أدع من أشغالى المفروضة علىّ شيأ ولم أقصد من هذا التأليف فخرا ولا سمعة بل الخير أردت كما وأنى جعلت ثمن هذا الكتاب اعانة للسكة الحديدية الحجازية ثم أذكر من يتذكر بان التواريخ الافرنكية لهاصبغة خصوصية فيما ينسب للاسلام و للدولة العلية حتى الآن فمن يجد فيها مايخالف المدوّن بهذا الكتاب من الوقائع فليعتبره من هذا القبيل حيث إن أصحاب التواريخ التركية على اختلاف أوقاتهم لم يقصدوا خلاف ضبط الوقائع الرسمية وهم أدرى بما فى بيوتهم

﴿ ثمرة عـــلم التاريخ ﴾

التواريخ والاشتغال بها بقصد نفع الامة والدين أمر مهم لاتقل أهميته عن غيره بل يعتبر انه من متممات الخدامات الدينية حيث كانت النية خالصة للحديث الشريف (انما الاعمال بالنيات) وذلك أن من ضمن قوام الدين حفظ بلاد الاسلام من الاعداء ولا يتيسر ذلك الا بمعرفة ما يلزم وهى أمور كثـيرة منها معرفة مبادى ونتائج ما مضى لتكون دروسا للاجراآت اللازمة للحاضر والمستقبل ومنها معرفة أقاليم وبلاد الممالك ومنها معرفتـــه القوى البرية والبحرية فى العالم والحاصل أن معرفة التواريخ واجبة من هذا القبيل ولقد ثبت يقينا اضمحلال بعض الممالك والجيوش بسبب جهـــل وغلطات القوّاد أو الحكام مع كثرة جيوشهم على جيوش أعدائهم وكذلك لسبب مهارة القوّاد وحسن تدبيرهـم وعدلهم وانصافهم انتصروا على أعدائهم مع قلة جيوشهم وقد قال جل وعلا (كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً باذن الله واللهُ معَ الصابرِينَ) وبالاختصار فان معرفة الحوادث الماضية أعظم درس للانسان ليتبع الاحسن ومما يثبت ذلك وجود القصص العديدة فى القرآن الكريم لمعرفة ما كان من قبل والاتعاظ به وان كان بعضها أنزل تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم والبعض ردا على المتعنتين واجابة للسائلين لكن القرآن الشريف على العموم هو للنبى صلى الله عليه وسلم ولامته الى يوم القيامة للاتعاظ بما فيه من الاوامر والنواهى والقصص

﴿ الســياسه ﴾

السياسة فى هذا العصر هى عبارة عن تفكر الامم فى معرفة الوسائط الموجبة لامتلاك بلاد الغير خصوصا الضعفاء والجهلاء وطرقها لانهاية لها فهى تزيد فى أمم بوجود الرجال الماهرين فى هذا الفن وقوة دولتهم وتنقص وتضمحل فى الامم المتصفة بضد ذلك والمهارة لدى السياسيين هى اخفاء الغرض واظهار غيره فى أحاديثهم وتهديداتهم ونصائحهم الغير صحيحه حيث ان غرضهم الوحيـد هو اغتصاب بلاد الغـير واذلال الامم الضعفاء واضعاف الاقوياء بتسليط بعضهم على بعض وهذه الامور هى ضد الشرف على خط مستقيم والاعجب أن من يكون بهذه الصفة من الرجال يكون له القدر الجليل لدى العالم وأما الدولة العلية أيدها الله فلم تتخذ هـذا المسلك الفظيع فى وقت من الاوقات وطرق الاغتصاب متعدّدة لانهاية لها ولنذكر بعض أمثالها ذلك أنهم يدّعون أن روح التمدن الحقيقى وجميع مكارم الاخلاق حلت فيهم دون غيرهم حتى صاروا كانهـم المنزهون عن كل عيب فيغتر بذلك البسطاء ويستسلمون لهم وبهذا الادعاء وذلك الاستسلام يغتصبون البلاد

ومبادى الاغتصاب أنهـم يبعثون رجال السـياسة الموصوفين بما ذكر آنفا جواسيس ويسمون أنفسهم سواحين الى البـلاد والاقطار ويساعـدونهم بكل مايلزمهم من مال ورجال وسلاح وغير ذلك فهؤلاء ينظرون البلاد بعين الناقد البصير ويحررون مذكرات بما يرونه من الاحوال وعوائد البلاد وطباع أهاليها وما يلزم اجراؤه من وجوه الاحتيال بما يناسب لكل قطر وبلد وبعد عودتهـم الى بلادهم يعرضون هذه المذكرات ويزيدون عليها باحاديثهم الشفاهيه وبعد ذلك يجهزون وفدا بريا أو اسطولا مركبا من أحسن السفن الموجودة عندهم ويزينون رجاله باحسن الملابس والاسلحة بقيادة أمهر الرجال فى فن الخداع والسـياسة الموصوفة آنفا ببعض هدايا وبرسائل من الملوك مزينـة بزخارف الكلام الذى يوهم محبة المرسل اليه المنوى نهب بلاده فبوصول هذا المندوب الى عاصمة الملك

أو الامير المرسل اليه يطلب مقابلته لتسليمه الهدايا والتحف التى أحضرها من لدن سيده وليست فى الحقيقة هـدايا بل رزايا جلبها اليه وحينما يؤذن له بالمثول بين يديه لا تسل عما يظهره من الاجلال والخضوع عند مقابلته لذلك الامير المخدوع ثم يذكر له ماعليه سيده من الشفقة ومحاسن الاخلاق والمروءة والشهامة والغنى والقوة ويعزز ذلك بأمثلة وهمية مصداقا لما يقول ثم يرجو الامير فى زيارة السفن يقصـد بذلك رهبته بعظمة المراكب والاسلحه وملبوسات الرجال وغـير ذلك وليدهش الامير ورجاله فيجاب الى طلبـه وفى وقت الزيارة يذكر رجال الوفد لحاشـية الامير والاعيان من تلك الدروس ما ذكره رئيسهم للامير ثم يعودون وربما تكرر مثل ذلك ثم يذهب وفد آخر سواء كان برئاسة الاول أو غيره بالصفة المذكورة أو أعظم وبعد ذلك يلتمسون تعيين قنصل لتوثيق عرى المحبة وتبادل التجارة فينالون ذلك ثم يرسلون بعض التجار الى تلك الجهـة للتجارة فى الظاهر وخلق المشاكل فى الباطن ويطلبون التصريح بعمل شركة مّا ويشترون قطعـة أرض للدرجه المناسبة بشروط مشتملة على ألفاظ مبهمة قابلة للتأويل بجملة معان مختلفة ثم يطلبون الترخيص بفتح المدارس بحجة تعليم أولادهم ومن يرغب من غيرهم بمصاريف على طرفهم وعند ما يجابون الى طلبهم يملؤنها بطوائف المبعوثين الدينيين بحجة أن وجودهـم بالمدارس أمر ضرورى ثم تتبع الامتيازات شـيأ فشيأ وكل هؤلاء يظهرون فى المبادى من الادب واللطف ومحاسن الاخلاق مايبهر العقول ثم يأتى دور الشكل التصنعى بمعنى أنهم يخـترعون المشاكل بايديهـم ويدّعون أن الحق معهـم ويساعدهم على ذلك وجود الالفاظ المبهمة ذات المعانى المختلفة بالشروطات الموضوعة لهـذا الغرض ليرى منها ظاهرا ان الحق معهـم وأمّا الشعوب المظلومة فانهم لايرون من حقائق الامور شيأ لغفلتهم فيتمسكون بما لهم من الحقوق الظاهرة ثم يأتى دور التهـديد والوعيد وطلب التعويض الغـير معقول ثم التداخل الفعلى ثم الطامة الكبرى هذا هو العدل والتمدّن والشفقة والشهامة عندهم وتوجد أساليب أخرى يستعملونها لهذه المآرب منها

القاء الدسائس بين التابع والمتبوع باشكال يطول شرحها ومنها القاء الدسائس بين دولتين ويعتقدون ان كل هذه الافعال وأمثالها ضروب من حسن السياسة والتمدّن ولا يظن أحد فيما ذكر بهذه الكلمات الوجيزة انه قد انحصرت وسائل الاغتصاب لابل تلزم لها مجلدات لاستيفائها وانما اختصرنا كما هى خطتنا فى هذا الكتاب لان ماذكرناه يكفى لمعرفة مالم يذكر من هذا القبيل ثم أننا لم نقصد بما ذكر حكومة ولا دولة معينة كما يتضح من سياق الكلام

﴿ مبحث عن أحوال الدولة العلية على وجه الاجمال ﴾

نظرا لموقع بلاد الدولة جغرافيا حيث ان عاصمتها وجزءا عظيما بأوروبا البعض تحت سيادتها والبعض من أملاكها قديما وحديثا مجاور لاكثر الدول خصوصا فى هـذا العصر حيث ان البحر الابيض المتوسط حر لجميع أساطيـل الدول كالمعاهدات فلم تبتل دولة اسلامية بمعشار ما ابتليت به هذه الدولة من كثرة محاربتها لاعتداء الدول عليها كما يتضح مما يأتى وقد قال الله تعالى (لَتُبْلَوُنَّ فى أَمْوالِكُم وَأنفسِكُم ولتسمعنَّ مِنَ الذينَ أوتوا الكتابَ مِن قبلِكُم ومِنَ الذينَ أشركوا أذًى كثيرا وَإنْ تَصْبِروا وتتَّقوا فانَّ ذلكَ مِنْ عزمِ الأُمورِ) نعم ان دولة الامويين بالأندلس انقرضت بأسباب اعتداء الافرنج عليها وبالاخص دولة اسبانيا التى استولت عليها بعد أن نهبت الاموال وهتكت الاعراض وقتلت من لم يتنصر الا من هرب كما هو مسطر فى كتب التواريخ بأفظع ما يكون لكن الدولة العلية خلدها الله تعالى الى يوم القيامة حروبها مستمرة ستة قرون وربع مع كثيرى العدد والعدد من الاعـداء برا وبحـرا أفرادا وأزواجا وجموعا من الدول وعلى الاخص دولتا الروسـيا وأوستريا (النمسا) معا وهما كانتا أعظم الدول قوة واستمر حربهما مع الدولة متقطعا أكثر من قرن ونصف وهما متفقتان على ذلك وأحيانا تكون دولة الفرس وحكومات البلقان معهما كما سترى ولقد مرت على الدولة العلية خطرات عظيمة وضعف عام ومشاكل متنوعـة ومتفرقة بمقاصد عجيبة بسبب اختـلاف مشارب الدول واظهارهن غير مافى ضمائرهن فى المخابرات والمداولات والمعاهدات فبعضهن يحرض الدولة على الحرب مع احداهن والبعض الآخر ينهاها عنه هذا وهذا فى قالب نصح لها والبعض يطلب طلبات لمصالحه خارجا عن الموضوع عند ما يرى ان موقف الدولة فى غاية الحرج وهلم جرا بما يماثل ذلك مما يحير العقول والله تعالى حفظها من هذه المكائد ونسأله أن يديم حفظها الى يوم القيامة وقد ينطبق عليها الحديث الشريف الوارد فى الصحيحين عن معاوية بن أبى سفيان عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لاتزالُ أمّةٌ مِن أمّتي قائمةً بأمرِ اللهِ لايَضُرُّهم مَن خذلَهم ولا مَن خالفهم حتى يأتيَ أمرُ الله) ولا خلاف فى أنّ فى هـذا العصر لاتوجدَ أمة مسلمة ينطبق عليها هذا الحديثُ الشريف الا الدولة العلية التى هى خادمة الاسلام فى نفس الامر فليست دولة متسلطة على العباد كتسلط تيمورلنك وأمثاله وهذا لايعلم الا لمن يتأمل جيدا أعنى لقوم يعقلون ويقدرون الامور حق قدرها أمّا الذين فى قلوبهـم مرض فلا يعلمون ولا يعقـلون وهـذه بلاد اليمن والحجاز وطرابلس الغرب التى هى من عنصر الاسلام مدينة للدولة العلية بالحقوق كحق الوالد على ولده حيث إنها تصرف مبالغ جسيمة سنويا على حفظ هذه البلاد مع أن ايراداتها ربما لا تبلغ ربع المصاريف وأهلها معافون من الخـدمة العسكرية ومتروكون لحفظ بلادهم عدا أهالى طرابلس الغرب فان مولانا السلطان حفظه الله علمهم فن الحرب بكل عناية وذلك للمساعدة على حفظ بلادهم من اعتداء الاعداء الخارجية عليها لبعدها عن سائر بلاد الدولة ولقربها من بلاد دول الغرب وقد عصوا الدولة عند طلبها تعليمهم فنون الحرب فى أوّل الامر فأهل هذه البلاد يكثرون العصيان للدولة ويسمعون ويصدّقون دسائس الاجانب وينبذون نصائح الدولة وراء ظهورهم وينافقونها ويعصـونها من حين الى حين ولا يرجعون عن غيهم الا بزاجر القوّة وأكثرهم يبغضون الدولة أكثر مما يبغضون أعداءهم الاجانب الساعين لابتلاع بلادهم وما هذا الا من ضعف إيمانهم والجهل المحض أو التجاهل وعـدم التبصر فى عواقب الامور وغفلتهم عن دسائس الاجانب أو لم ينظروا حال المسلمين الذين وقعوا تحت سلطة الاجانب وما وصلوا اليه من الذل والهوان فلا يقدر أحد يتـكلم ولا همسا ضد حكومته الاجنبية ولا فى حق أحدٍ ما من رجالها المسيطرين عليهم ومع ذلك لايتعظون كأنهم صم بكم عمى لايعقلون وتراهم وهذه حالهم يخرجون على الدولة العلية الشفوقة بهم الساهرة على رفعة شأنهم ان هذا لهو البلاء المبين هذا من جهة الامم على وجه الاجمال

وأما من جهة الافراد فان مرض النفاق وفساد الاخلاق وحب الشهوات والمجاهرة

بالمحرّمات قد انتشرت فيهم وتمكنت من نفوسهم فجلبوا الويل على أنفسهم بما كسبت أيديهم (ظَهَر الفسادُ فى البرّ والبحْر بمَا كسبَتْ أيْدى النّاس) وهؤلاء الفاسدوا الاخلاق شقوا عصا طاعة الدولة العلية وخرجوا عليها يسلقونها بألسنة حداد نعم ان الأمة الاسلامية لم تسلم من الخوارج من عهد الخلفاء الراشدين الى الآن لكن ضررهم فى هذا العصر أشد لكثرة عناصر المسلمين واختلاط الاعداء فى البلاد ودخول بعض بلاد الاسلام تحت نفوذ الدول الاجانب ثم ان فريقا من المسلمين البسطاء يظنون ان وجود هؤلاء الخوارج ماهو الا من ظلم الدولة وليس الامر كذلك لان الخوارج قديما وحديثا عبارة عن أناس غلبت عليهم الشقاوة من حيث لا يشعرون فأن خوارج سيدنا علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه كانوا يسبونه وينسبون له الكفر بقولهم يقول الله تعالى (إن الحُكْمُ إلاّ لله) وعلىّ بن أبى طالب يريد الحكم لنفسه وأمثال ذلك مع أن درجة هذا الامام رضى الله تعالى عنه لا يجهلها أحد من أهل السنة والجماعة وهناك فريق آخر يطلب الحرية ولا يفقه معناها لان الحرية الشرعية هى مساواة الافراد فى الحقوق الشخصية ليتسنى لكل فرد من الافراد ان يجتمع مباشرة مع كبراء الامة وأمراءهم ويتكلم معهم بما يريد بغير تحقير ولا ازعاج والقضاة يحكمون بالشريعة السماوية على الحقير والوزير وعلى أنفسهم وبالاختصار فالحرية هى اقامة أحكام الشرع الشريف بأسرها ولم يتم ذلك الا فى زمن الخلفاء الراشدين وقدتوهم المارقون والمنافقون ان الحرية هى اطلاق ألسنة السفهاء على أعراض الاصفياء بلا قيد واستباحة المحرّمات فى محلات الموبقات بغير رقيب ولا ممانع أوما يتشدق به المتشدّقون فى لغو أحاديثهم من الكلام الضار بالامّة كما يشاؤن مع أن من هذا الكلام ما يوجب التشويش على الدوام واطلاع الاعداء على دواخل الامور والعورات وينبنى على ذلك فساد كبير كيف لا وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (مَن آمن بالله واليوم الآخر فَلْيتَكَلّمْ بخير أو لِيَصْمتْ) ولقد حدثت حروب بسبب ذلك والحاصل ان الحرية الغير الشرعية لاحد

لها وهى مذهب الاشـــتراكيين فى أوروبا وفكر بعض الخوارج من الأمـة الاسلامية وغرضهم انه لايكون حاكم ولا محكوم ولا ملك ولا امبراطور ويكون العالم كلهم فى درجة واحدة الخ وهذا مستحيل وبعض هذا الفريق يزعم ان الحرية المشابهة للحرية الشرعيـة موجودة فى أوربا وهذا لاأصل له نعم ان فى أوروبا شـــبه حرية لاصفياء الفرنساويين مثلا فى المساواة ولكن أين هذه المساواة فى الجاوا والجزاير والمدغسكر وأمثالها رغما عما تظهر الحكومات من وضع القوانين بصفة ظاهرها يخالف باطنها الاول العدل والثانى ضدّه يقصـدون بذلك اظهار العـدل للعالم فتبين مما ذكر ان جميع مازعمـه الاعداء فى حق الدولة العلية باطل نعم أصاب الدولة العلية وسلاطينها وعظماءها بعض ما أصاب دول العالم من فتنة وقتل ومصائب لكن من الممكن ان نقول انها أقل من غيرها فى هذا الباب حيث ان أغلب ملوك أوربا فى القرون الماضية كانوا فى نهاية الظلم وان أممهم كانوا فى غاية الهمجية تباع وتشرى مع الاراضى كالانعام ولم يجدوا لانفسهم رائحة الحرية بل لم يكن لهـم شعور بأن ملوكهم من ذرية آدم مثلهم الا بعـد قرون طويلة وظلم شـديد بعد مااختلطوا بالاسلام فى الحروب الصليبية وبالدولة الاموية من قبلها فى الاندلس فسرت فيهـم روح الانسانية شيأ فشيأ حتى قويت فيهم ونمت وبعد حروب أهليه تحصلوا على نوع من الحرية حتى صارت الآن ملوكهم مقيدة بقيود القوانين الوضعية هـذا بعض أحوالهم ولو تركناهم لاختلافهم عنا فى الشرائع والاديان والعادات ونظرنا أحوال أمم وملوك الاسلام فى القرون الماضية لوجدنا ان مصائبهم فى هذا الصدد أعظم من مصائب الدولة ورجالها والامم التى تحت يدها حالة كون الاولين كانوا قريبـين لعصر الخلفاء والصحابة وصـدر الاسلام ولم يكن المسلمون من عناصر كثيرة مثل مسلمى الدولة العلية فضلا عن المسيحيين المختلفى العناصر والمذاهب ومع هذا فان آراء الافراد والشعوب كانت متباينـة بما لايوصف لدرجـة أن العلماء فى نفس بغـداد كانوا يقاتلون بعضهم بعضا مرارا فى السنة الواحدة وما

كان لهم من عـذر خلاف اختـلاف المذاهب والتحزب ولو نظرنا ماوقع بين سيدنا على" بن أبى طالب ومعاوية والصحابة رضى الله تعالى عنهـم أجمعين ونظرنا واقعة سيدنا عثمان رضى الله تعالى عنه فى تعصب فريق من الامة عليه وقتله ظلما لوجب علينا ان نعذر السلاطين وأمثالهم فيما يقع منهم ثم على المسلم أن لايتسرع بمؤاخذة هـذا الملك وذاك السلطان أو هـذا الامير أو ذاك الوزير فى أغلب مايسمع فى شأن أحدهم بما لايرتاح اليه ضميره لاهمية مراكزهم وغيرتهم عليها أكثر مما يغار المرء على أهله وماله ولربما تخالف الحقائق مايسمع عنهم وأما أحكام السلاطين فى الازمنة السالفة بالقتـل والنـفى ونحو ذلك فهى مبنية على أشياء منها ماهو ظاهر وما هو خاف حيث انهم لايقتلون أحدا من الطريق المسلوك بل لابد من وشاية اليهـم فالواشى لايقول أنه واش بل يجعـل قوله من باب النصيحة على حسب ذمته والخلفاء والسلاطين كانوا يعتبرون المخبرين شهودا فى أحكامهم لاوشاة بقصد السوء نعم لابد من أنه أحيانا يكون المحكوم عليه مظلوما لكن هـذه الحالة موجودة فى كل مكان وزمان وفى كل المحاكم وتبعـة المظلوم لاتـكون على القضاة والحـكام مالم يتعمدوا بل على الشهود ومن يقوم مقامهـم وكذلك حكم الخلفاء والسلاطين والملوك والامراء ومن هذا القبيل نقول أن أبا جعفر المنصور ثانى الخلفاء العباسيين قتل بغير سبب معـلوم أبا مسلم الخرسانى مع أن أبا مسلم المذكور هو الذى أسس الدولة العباسية وله عليه فضل كبير وكان المنصور يضارع الامام مالـكا فى العلم والورع قبـل توليته الخـلافة وكذلك قتل الخليفة هارون الرشيد جعفرا البرمكى واقتتال كل من الامين والمأمون ابنى هارون الرشيد ثم قتل الاول وكذلك قتل محمد المنتصر العباسى أباه الخليفة المتوكل على الله وكون المقتدر بالله الخليفة العباسى خلع مرتين أو ثلاثا قهرا عنه وغير ذلك من هـذا القبيل مما يطول ذكره وما كان فيهـم عناصر مختلفة الاجناس والاديان من مسلمين وغير مسلمين معشار مافى الدولة العلية من العناصر المختلفة المذكورة ثم ان عذر الدولة العلية أكثر من كافة دول الاسلام الماضية

والحاضرة لعدم امكانها استجلاب محبة جميع هذه العناصر خصوصا فى الامور المدسوسة عليها ومن أعذارها أيضا اتساع البلاد واضطرارها فى سالف الزمن الى اعطاء التفويضات للولاة فى الادارة وغيرها لصعوبة المواصلات وعدم وجود تلغرافات وسكك حديدية وسفن بخاريه وكانت تلك التفويضات مضرة فى حقيقة الامر غالبا حيث انه اذا ظلم أحد الولاة الرعية وطغى وشعرت الدولة بذلك عزلته وولت غـيره فالمعزول اذا كان من ذوى القوّة ربما يعصى وتضطر الدولة لاعطاء قوّة حربية للوالى الجـديد لتأبيد سلطته ولاخراج سلفه حتى جاء زمن السلطان محمود البطل الهمام فأبطل هـذه العادة المضرة من ضمن مآثره الحميدة فى ايجاد الحياة الجديدة للدولة ولحد الآن تعذر الدولة فيما يحصـل أحيانا فى أطارف المملـكة من التشويشات بين العناصر المختلفـة حيث لم يكن أحـد فى الدول أوسع مملكة من الدولة العلية خـلاف الروسيا ولا أقصد من ذلك مستعمرات انكلترا الكثيرة حيث انها تخالف شكلا بلاد الدولة العلية التى تبلغ تقريباً أكثر من عشرة آلاف كيـلومترات طولا وكذلك عرضا برا وبحرا مع عـدم وجود كثرة السكك الحـديدية وصعوبة انشائها وغـير ذلك فبذا لا يلتفت الى أقوال المتشدّقين فى شأن الدولة وبما ذا يؤوّل هؤلاء والذين يعصون الدولة أحيانا مثـل أمراء اليمن ومن على شاكلتهـم ما ورد فى القرآن الشريف من قوله تعالى (يأيُّها الذين آمنُوا أطِيعُوا اللّهَ وأطيعوا الرسولَ وَأُولى الأمرِ منْكم) هل فى هـذا العصر موجود خليفة أحق من السلطان المعظم بالطاعة له وتحريم مخالفتـــه أولم يكن للآية الشريفة حكم فى هذا العصر تالله انهم لفى ضلال مبين ولم يكن لهم جواب عن ذلك ولا أوهن من بيت العنكبوت وأين هم من الحديث الشريف الوارد فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (على المرءِ المسلمِ السمعُ والطاعــةُ فيما أحبَّ أو كرِهَ إلا أنْ يُؤمَرَ بمعصيةِ الله فلا سمْعَ ولا طاعَةَ) فهل يأمر الخليفة بمعصية الله وقد كثرت المجالس والمدارس فى عصره ومنعت الموبقات فهو حفظه الله تعالى يحكم

بواسطة تلك المجالس نعم ان جلالته مهاب من الله تعالى وكل من فى قلبه مرض يهرب من عدل سطوته و لجلالته من المزايا والفضائل مالا يدخـل تحت حصر وهو الذى جيش الجيش العظيم وفيه من رباط الخيل الآلاف المؤلفة المسوّمة عملا بقوله تعالى (وأعدّوا لهم ما استطعتم مِنْ قُوّة ومن رِبَاط الخيلِ تُرهِبُون به عَدُوّ اللهِ وعدُوّكم الخ الآية) وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صـلى الله عليه وسـلم قال (مَن احْتبس فرَساً فى سبيل الله إيماناً واحتساباً وتصديقاً بوعده فانّ شبَعهُ وَريّهُ وَرَوْثهُ وبَوله فى ميزانه يَومَ القيامة) فـابال من احتبس أكثر من مائة ألف مثلا أو لم يسمع الذين يصدقون الدسائس قول الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا إن تُطيعوا فَريقاً من الذين أُوتوا الـكتابَ يَرُدّوكم بعد ايمانِكم كافرين) وجـلالته قائم بشعائر الدينِ يأمر بالمعروف وينهى عن المنـكر حتى منع الخمر و الفسوق وشدّد النكير عليهما اتباعا لقول الله تعالى (ولْتَـكنْ منكم أمةٌ يدْعونَ الى الخـيرِ ويأمرونَ بالمعروفِ وينْهوْنَ عَن المنكرِ الآية) واتباعا لما ورد فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من رأى منكم مُنكَراً فَليغيّرهُ بِيده فانلم يستَطعْ فَبِلسانه فانلم يستطع فَبِقَلْبِه وذلك أضعفُ الأيمان) فهل أحد قائم بهذا الامر مثـل جلالته كلا فلما ذا لايقتدى أفراد الأمة بجلالتـه ألم يسمعوا هذا الحديث وقد فرض الله على الامة القيام بطاعة أوامره ونواهيـه و بمحبته لما ورد فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (مَن أطاعنى فقد أطاعَ اللهَ ومَن عصَانى فقدْ عصَى الله ومن يُطع الأميرَ فقد أطاعنى ومن يَعص الأميرَ فقد عصانى) فتأملوا رحمكم الله فى معنى هذا الحديث الشريف حيث جعل صلى الله عليه وسلم طاعة الامير طاعة له ومعصية الامير معصية له فالخليفة حفظه الله هو أمير الامراء العمومى المحامى عن الدين والدنيا المحافظ على دماء المسلمين فاذا حكم واجتهد فأخطأ فله أجر واذا حكم

واجتهد فأصاب فله أجران وقد ورد فى الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذا حَكَمَ الحاكمُ فاجتَهَدَ فَاصابَ فلهُ أجران واذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجْرٌ) هـذا ويقال أن بعض المتشدّقين الجهلة يقولون أخذا من الدسائس أن عساكر الدولة أقل درجة فى التنعم من عساكر الدول ولم يعلموا أن الدولة العلية تضاهى الدول العظمى فى القوّة وغيرها مع أن وارداتها لاتبلغ السدس من ايرادات الدول التى تضاهيها فى القوّة والمنعة وما ذلك الا من الاقتصادات التى يعجز عنها غيرها ثم ان المسلمين لم يوجدوا فى الدنيا للتباهى بالغنى والملبوسات الفاخرة والمسابقة مع غيرهم من أهل الدنيا فى التنعم بل وجدوا لاعلاء كلمة الله تعالى فكانت الصحابة رضوان الله عليهم حفاة عراة جياعا عطاشى بخلاف أعدائهم المتزينين والمتنعمين بالغنى والثروة وهم أساس المسلمين وأئمتهم ونحن مقتدون بهم وقد ورد فى الصحيحين عن عمر رضى الله عنه قال (دَخَلْتُ على رسول الله صلى اللهُ عليه وسلَّمَ فاذا هو مُتَّكِئٌ على رمالِ حَصيرٍ قد أثَّرَ فى جنبه فقلتُ أَسْتَأْنِسُ يارسولَ الله قال نعم فجلَسْتُ فرفعتُ رأسى فى البيتِ فَوَالله ما رأيتُ فيه شيأً يردُّ البصَرَ إلا أُهْبَةً ثلاثةً فقلتُ أُدْعُ اللهَ أن يُوَسّعَ على أمَّتِكَ فقد وسَّعَ على فارسَ والروم ولا يعبدونَ اللهَ فاستوى جالساً ثم قال أفى شَكٍّ أنتَ يا ابنَ الخطاب أُولئكَ قومٌ عُجِّلَتْ لهم طيّباتهم فى الحياة الدنيا فَقلتُ استغفرْ لى يارسولَ الله) ويعلم من الحديث الشريف ان تخشن المسلم لايشينه بل يرفعه ثم ان الدولة العلية دولة حربية بالرغم عنها ذات نفقات دائمية كثيرة من كثرة الاعداء والمتحزبين فلا لوم عليها اذا لم تكن دولة تجارية صناعية من الدرجة الاولى نظرا لما ذكر ولان التجارة والصناعة من شأن الامة فلو كانت الامة نشيطة ولا أقصد من ذلك الاتراك وحدهم لان أغلبهم جنود لكانت التجارة والصناعة والزراعة متوفرات فاذاً اللوم على الامة لا على الدولة ومع ذلك فعندها الفابريقات اللازمة لها والحاصل ان التخشن أو عدم تزين

أجسادِكم ولا إلى صُوَرِكم وأعمالكم ولكن ينظرُ الى قلوبِكم) وفيهما عنه (سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أىُّ الناسِ أكرمُ قال أكرمُهم عند الله أتقاهُم) وقد يختلج فى الافكار ويتراءى للانسان وقائع ظاهرها فى غير محلها ويعترض عليها فلا ينبغى ان يتسرع بالاعتراض والاغتياب ولذا أبرئ نفسى ممن يقدح او يغتاب أحداعند مطالعته هذا الكتاب وقد يمكن أخذموعظة عظيمة فى ذلك من الحديث الشريف الوارد فى الصحيحين عن ابن عمر قال (حرّق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخلَ بنِى النَّضير وقطَع وهى البُوَيْرة (١) فنزل (ماقَطَعْتُم من لِينَةٍ أو تَركتمُوهَا قائمةً على أُصولِهَا فبأذنِ الله وَلِيُخزِىَ الفاسقينَ) وذلك ان المسلمين وجدوا فى أنفسهم شيأ من قول بنى النضير اذ قالوا ان هذا فعل الفساد والانبياء كيف يأمرون بفعل الفساد فأنزل الله تعالى الآية بان ذلك باذنه فذهبت وساوس الشيطان من قلوب الذين وجدوا فى أنفسهم شيأ ثم لايخلو الزمن من حدوث الخيانة أو شبه الخيانة فانظر ماحدث فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا القبيل كما ورد فى الصحيحين عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال بعثنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبيرُ والمِقْدادُ فقال انطلقوا حتى تأتُوا رَوضَةَ خَاخ (٢) فَانَّ بهاظعينةً معها كتابٌ فخذوه منها قال فانطلقنا تَتعادَى بنا خَيْلُنا حتى أتَينا الروضةَ فاذا نحنُ بالظّعينة فقلنا أخرجى الكتاب فقالت مَا معى من كتاب فقلنا لتُخرجى الكتابَ أو لَتُلْقِينَ الثيابَ فأخرَجَتْهُ من عقَاصِها فأتينا به النبىَّ صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حَاطِبِ بْنِ أبى بَلْتَعَةَ الى أناسٍ من المشركين من أهل مكة يُخبرُهم ببعضِ أمرِ النبى صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام ياحاطبُ ماهذا فقال يارسول الله لاتَعجلْ علَىَّ انى كنتُ

(١) موضع لبنى النضير بهانخيل وغيرها (٢) موضع بقرب حمراء الاسد من المدينة

امْرَءًا مُلصَقًا فى قريش ولم أكنْ من أنفُسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قَرَابَاتٌ يَحْمُون بها أهلَهُم وأموالَهم بمكة فاحببتُ اذ فاتنى ذلك من النَّسَبِ فيهم أن أتَّخذَ منهم يَدًا يحمُون بها قرابتى وما فعلتُه كفرا ولا ارْتدادًا عن دينى ولا أرْضَى بالكفر بعد الاسلام فقالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد صَدَقكم فقال عمر رضى الله عنه دعنى يارسول الله أضربْ عُنُقَ هذا المنافق فقال عليه السلام انه قد شَهِد بَدْراً وما يُدريك لعلَّ اللهَ أطْلعهُ على أهلِ بدرٍ فقال اعملوا ماشئتم فانى قد غفرتُ لكم) ثم من ضمن غلط بعض من لم يعرف حقائق الامور التسرع الى ذم من يظهر التوادد والميل من أمراء المسلمين أو عظماء رجال الدولة لاحدى الدول أو أحد عظمائها لامر مجهول نعم انه يجوز ان ينتج من ذلك اما شر اوخير وقد سبق حصول منافع فى الاسلام من بعضهم وهذا التوادد جائز اذا كان على قصد نفع الامة وقد ورد فى الصحيحين عن أسماء بنت أبى بكر الصدّيق رضى الله عنهما قالت قَدِمَتْ علىَّ أمى وهى مشركة فى عهد قريشٍ اذْ عاهدوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ومُدَّتهمْ فاستَفْتَيْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقلتُ يارسول الله ان أمى قَدِمَتْ علىَّ راغبةً أفَأَصلُها قال نعم صِليها فأنزل الله تعالى (لاينهاكم اللهُ عَنِ الذين لم يُقاتلوكم فى الدِّين ولم يُخرِجوكم من ديارِكمْ أن تَبَرُّوهمْ وتُقْسِطوا اليهم إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطين) والحاصل انه يجب على كل مسلم أن يحفظ لسانه عن الغيبة ويمنع نفسه من سوء الظن فى المسلمين وبالاخص أمراؤهم فقد ورد فى صحيح مسلم عن نواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ والاثْمُ ماحاكَ فى صدرك وكرِهْتَ أن يَطَّلعَ عليه النّاسُ) ومن المعلوم ان الغيبة من الكبائر وحدُّها ذِكْرُكَ أخاكَ بما يَكْرَهُ ثم أوصى اخواننا المسلمين الذين وقعوا فى مخالب الاجانب بتقوى الله والصبر عملا بالحديث الشريف الوارد فى صحيح البخارى عن خباب بن الادث

العساكر ونحوهما لا يشين الدولة فى نظر المؤمنين المتنورين والعقلاء فتذكر يامن ملئ دماغه وفؤاده بالدسائس ماورد فى الصحيحين عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت (ماشَبِع آلُ محمدٍ من خُبْز شعيرٍ يومين مُتتابعيْن حتّى قُبِض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم) وفيهما عنها قالت (كانَ يأتى علينا الشهرُ مانُوقِدُ فيه نارًا انماهو الأسْوَدَان التَّمرُ والماءُ الاّ أنْ نُؤْتَى باللحمِ) وفيهما عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لاتَسُبّوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنّ أحَدَكُمْ أنفق مثلَ احُدٍ ذَهبا ما بلغ مُدَّ أَحدِهمْ ولاَ نَصيفَهُ) فاذا كانوا وهم أفضل الامة بلا خلاف وغزاة الله وأحزابه لاينقص قدرهم عريهم ولا جوعهم بل عدّ ذلك من كمالاتهم ومن أسباب فضلهم وشرفهم فلا عار على عساكر الدولة لو جاعوا أحيانا أو تمزقت ملابسهم فبدلا عما يتشدّق المتشدّقون بمثل هذه الاقوال الفارغة وهم فى سكرة تنعمهم فى ظل الدولة عليهم أن يوقظوا ويعظوا الامة المتنعمة بنعمة الله تعالى فى عز هذه الدولة بمساعدتهم اخوانهم العساكر الذين هم تحت السلاح فى الحر القايظ والبرد القارص لحفظهم من المخالب ببعض دراهم أو ملبوسات اقتداء بما فعل جلالة الخليفة حفظه الله تعالى واتباعا لما ورد فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (المُسْلِمُ أخُو المسلمِ لاَيَظلمُه ولا يُسْلِمُهُ ومن كان فى حاجة أخيه كان اللهُ فى حاجته ومن فرّجَ عن مسلمٍ كُرْبةً فرّج اللهُ بها عنه كُرْبةً من كُرَبِ يومِ القيامةِ ومن سترَ مسلماً ستره الله تعالى يومَ القيامةِ) وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ان النبى صلى الله عليه وسلم قال (لايستر عبدٌ عبداً فى الدنيا الا ستره الله يومَ القيامة) ثم ومن أهم مايجب على المسلم أن لايغتاب أحدا ممن يرى أفعاله لايرتاح اليها ضميره وبالاخص خليفة المسلمين وقد قال الله تعالى (ولا يَغْتَبْ بعضُكم بعضاً أيُحِبُّ أحَدُكم أن يأكُلَ لحْمَ أخيهِ مَيْتاً

امرءاً ملصقاً فى قريش ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهلهم وأموالهم بمكة فاحببت اذ فاتنى ذلك من النسب فيهم أن أتخذ منهم يداً يحمون بها قرابتى وما فعلته كفرا ولا ارتداداً عن دينى ولا أرضى بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد صدقكم فقال عمر رضى الله عنه دعنى يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال عليه السلام انه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله أطلعه على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فانى قد غفرت لكم) ثم من ضمن غلط بعض من لم يعرف حقائق الامور التسرع الى ذم من يظهر التوادد والميل من أمراء المسلمين أو عظماء رجال الدولة لاحدى الدول أو أحد عظمائها لامر مجهول نعم انه يجوز ان ينتج من ذلك اما شر اوخير وقد سبق حصول منافع فى الاسلام من بعضهم وهذا التوادد جائز اذا كان على قصد نفع الامة وقد ورد فى الصحيحين عن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما قالت قدمت على أمى وهى مشركة فى عهد قريش اذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدتهم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله ان أمى قدمت على راغبة أفأصلها قال نعم صليها فأنزل الله تعالى (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين) والحاصل انه يجب على كل مسلم أن يحفظ لسانه عن الغيبة ويمنع نفسه من سوء الظن فى المسلمين وبالاخص أمراؤهم فقد ورد فى صحيح مسلم عن نواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ماحاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس) ومن المعلوم ان الغيبة من الكبائر وحدها ذكرك أخاك بما يكره ثم أوصى اخواننا المسلمين الذين وقعوا فى مخالب الاجانب بتقوى الله والصبر عملا بالحديث الشريف الوارد فى صحيح البخارى عن خباب بن الادث

العساكر ونحوهما لا يشين الدولة فى نظر المؤمنين المتنورين والعقلاء فتذكر يامن ملئ دماغه وفؤاده بالدسائس ماورد فى الصحيحين عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت (ماشَبِع آلُ محمدٍ من خُبْزِ شَعيرٍ يومين مُتتابِعَيْن حَتّى قُبِض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم) وفيهما عنها قالت (كانَ يأتى علينا الشهرُ مانُوقِدُ فيه نارًا انماهو الأسْوَدَان التَّمرُ والماءُ الّا أنْ نُؤْتَى باللحمِ) وفيهما عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لاتَسُبّوا أصحابِى فوالذى نفسى بيده لو أنَّ أحَدَكُم أنفقَ مثلَ احدٍ ذَهبًا ما بلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ ولاَ نَصِيفَهُ) فاذا كانوا وهم أفضل الامة بلا خلاف وغزاة الله وأحزابه لاينقص قدرهم عريهم ولا جوعهم بل عدّ ذلك من كمالاتهم ومن أسباب فضلهم وشرفهم فلا عار على عساكر الدولة لو جاعوا أحيانا أو تمزقت ملابسهم فبدلا عما يتشدّق المتشدّقون بمثل هذه الاقوال الفارغة وهم فى سكرة تنعمهم فى ظل الدولة عليهم أن يوقظوا ويعظوا الامة المتنعمة بنعمة الله تعالى فى عز هذه الدولة بمساعدتهم اخوانهم العساكر الذين هم تحت السلاح فى الحر القايظ والبرد القارص لحفظهم من المخالب ببعض دراهم أو ملبوسات اقتداء بما فعل جلالة الخليفة حفظه الله تعالى واتباعا لما ورد فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (المُسْلِمُ أخو المسلمِ لاَيَظلِمُه ولا يَشتُمُه ومن كان فى حاجةِ أخيه كان اللهُ فى حاجتِه ومن فرّجَ عن مسلمٍ كُرْبةً فرّجَ اللهُ بها عنه كُرْبةً من كُرَبِ يومِ القيامة ومن ستَرَ مسلماً ستره الله تعالى يومَ القيامة) وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ان النبى صلى الله عليه وسلم قال (لايستر عبدٌ عبداً فى الدنيا الا ستره اللهُ يومَ القيامة) ثم ومن أهم مايجب على المسلم أن لايغتاب أحدا ممن يرى أفعاله لايرتاح اليها ضميره وبالاخص خليفة المسلمين وقد قال الله تعالى (ولا يَغْتَبْ بعضُكم بعضاً أيُحِبُّ أحَدُكم أن يأكُلَ لَحْمَ أخيهِ مَيْتاً

فكرهتموه الآية الخ) حتى ولو كان فى المغتاب ما يقال عنه فلا يجوز ذكره فقد ورد فى صحيح مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أتدرون ما الغيبة قلت الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قلت وان كان فى أخى ما أقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته) ولا يغتر بما يراه من الفتن فقد ورد فى صحيح مسلم عن سعد بن أبى وقاص انه أقبل مع النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم من العالية حتى اذا مر بمسجد بنى معاوية دخل فركع فيه ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلاً ثم انصرف الينا فقال سألت ربى ثلاثاً فأعطانى اثنتين ومنعنى واحدة سألت ربى أن لا يهلك أمتى بالسنة (١) فاعطانيها وسألت ربى أن لا يهلك أمتى بالغرق فأعطانيها وسألت ربى أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشى والماشى فيها خير من الساعى من تترف لها تستشرفه ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذ به) وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (اياكم والظن لأن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا (٢) ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا (٣) وكونوا عباد الله اخواناً كما أمركم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا التقوى ههنا التقوى ههنا ويشير الى صدره بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله ان الله لا ينظر الى

---

(١) أى القحط والجدب
(٢) أى لا ترغبوا فيما رغبه الغير من أسباب الدنيا وحظوظها
(٣) أى لا تقاطعوا

منازلهم فمن فعل شيئاً من ذلك فقد نكث عهد الله وعهد رسوله ولا يحمل على الرهبان والاساقفة ولا من يتعبد جزية ولا غرامة وأنا أحفظ ذمتهم أينما كانوا من بر أو بحر فى المشرق والمغرب والجنوب والشمال وهم فى ذمتى وميثاقى وأمانى من كل مكروه وكذلك من يتفرد بالعبادة فى الجبال والمواضع المباركة لا يلزمهم مما يزرعونه لا خراج ولا عشر ولا يشاطرونه لكونه برسم أفواههم ولا يعاونون عند إدراك الغلة ولا يلزمون بخروج فى حرب وقيام بجبرية ولا من أصحاب الخراج وذوى الاموال والعقارات والتجارات مما هو أكثر من اثنى عشر درهما بالجملة فى كل عام ولا يكلف أحد منهم شططاً ولا يجادلون إلا بالتى هى أحسن ويحفظونهم تحت جناح الرحمة يكف عنهم أذية المكروه حيثما كانوا حيثما حلوا وان صارت النصرانية عند المسلمين فعليها برضاها ويمكنها من الصلاة فى بيعها ولا يحال بينها وبين هوى دينها ومن خان عهد الله واعتمد بالضد من ذلك فقد عصى ميثاقه ورسوله ويعاونوا على مرمة بيعهم ومواضعهم وتكون ذلك مقبولة لهم على دينهم وفعالهم بالعهد ولا يلزم أحد منهم بنقل سلاح بل المسلمون يذموا عنهم ولا يخالفوا هذا العهد منه أبداً الى حين تقوم الساعة وتنقضى الدنيا انتهى

ولا حاجة الى زيادة ايضاح فى هذا القبيل بعد ايراد هذه الوصية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أوصى عقلاء المسيحيين الذين هم من رعايا حكومات الاسلام وعلى الاخص الدولة العليـة التى لها كثير منهـم بل معظمهم بأن يتـدبروا فى الامور ومعاملاتهم مع حكوماتهـم وخلطائهم المسلمين لانهم خـير لهـم من الاجانب الذين يظهرون لهم بياض أسنانهم والشفقة عليهم ويخدعونهم بانواع الاوهام بالاستقلال وما شاكله وفى الحقيقة هم يخـدمون مصالحهـم ومصالح دولهم ليس الا ولقد انخدعت الامة البولونية وغيرها وكان عاقبتها ماهو معلوم من تمزيقها واذلالها

حتى أنهم منعوا أن يتكلموا بلغتهم الاصلية وغير ذلك من أنواع الاذلال على يد من خدعهم من أهل ملته ولا عبرة بمن نال الاستقلال الموقت اذ ان الظروف قضت بذلك رغما عن الجميع الى انتهاز الفرص وأما الدولة العلية أيدها الله بنصره فانها منحت المسيحيين وغيرهم الحرية التامة فى دينهم ومعابدهم ولغاتهم ومدارسهم مع احترام رؤساء دياناتهم ومعافاتهم من العسكرية وغير ذلك من تلقاء نفسها قديما وحديثا مما لايتحصلون على معشاره من غيرها وليعلموا انهم اذا صاروا تحت يد دولة أجنبية لاقدر الله يكونون غرباء فى بلادهم وأذلاء يساقون فى الجيش الى الامام فى المواقع الحربية لان ضباطهم الاجانب يفضلون بقاء أبناء جنسهم عنهم ويجعلونهم شبه خدمة لهم كسياس ونحوهم بخلاف ماذا عرفوا حق حسن العشرة مع الدول الاسلامية فيكونون أعزاء وتحفظ نعمهم وراحاتهم مع عزهم عند الاجانب أيضا ولعلهم لايشعرون بالنعم التى هم فيها الآن لان الانسان لايشعر بقيمة النعم غالبا الا بعد زوالها كما ولا يشبع من الطمع الوهمى فالعاقل من يعلم الاشياء من قبل التجارب قياسا على ما مضى وما هو معروف والحاصل ان طلباتهم الوهمية هى كطلبات بنى اسرائيل اذ قالوا لَن نصبرَ على طعامٍ واحدٍ فادعُ لنا ربَّك يُخرِجْ لَنا مِمّا تُنبتُ الارضُ من بَقلها وقثّائها وفُومها وعَدَسها وبَصلها فردّ الله عليهم بقوله (أتَستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خيرٌ) أو كانسان سئمت نفسه من المأكولات الفاخرة فمالت الى غيرها ولو أدنى منها فالعاقل هو الذى يتأمّل ويتفكر فى الامور ليختار أحسنها وأسلمها عاقبة والله الموفق للصواب ولاأعنى بذلك الاالذين تنطبق عليهم هذه الحالة خاصة

قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا ألا تستنصرُ لنا ألا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذُ الرجل فيُحفرُ له فى الارض فيُجعلُ فيها ثم يُؤتى بمنشار فيُوضع على رأسه فيُجعلُ نصفين ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحمه وعظمه مايصدُّه ذلك عن دينه والله ليتمنَّ اللهُ هذا الامرَ حتى يسيرَ الراكبُ من صنعاء الى حضرموت لايخافُ الا اللهَ والذئبَ على غنمه ولكنكم تستعجلونَ) وأوصيهم أيضا بالمحافظة التامة على اقامة شعائر دينهم وعدم قبول مساسها مطلقا حتى لا يكونوا من الذين خسروا أنفسهم فى الدنيا والآخرة من أجل حطام الدنيا الفانية فاذا استضعف الناس ولم يحافظوا على كرامة دينهم خشية الاذى فقد حقت عليهم الذلة ولا عذر لهم لدى الخالق جل وعلا يوم القيامة فقد قال الله تعالى (إنَّ الذين توفَّاهم الملائكةُ ظالمِى أنفسِهم قالوا فيمَ كنتم قالوا كنَّا مستضعفين فى الارض قالوا ألم تكنْ أرضُ الله واسعةً فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنَّمُ وساءت مصيراً الا المستضعفين من الرجال والنساء والوِلْدان لا يستطيعونَ حيلةً ولا يهتدُونَ سبيلاً فأولئك عسَى اللهُ أنْ يعفُوَ عنهم وكانَ اللهُ عفُوًّا غفُوراً ومنْ يهاجرْ فى سبيل الله يجدْ فى الارض مُراغماً كثيراً وسَعةً ومَن يخرُجْ من بيتِه مُهاجرًا الى الله ورسوله ثم يُدركْهُ الموتُ فقد وقَعَ أجرُهُ على الله وكان الله غفوراً رحيما) وفى الحديث (من فرَّ بدينه من أرضٍ الى أرضٍ وان كان شبراً من الارض استوجبتْ له الجنةُ وكان رفيقَ ابراهيمَ ونبيِّه محمدٍ صلى الله عليه وسلم) وبالاختصار انه لايجوز للمسلم ان يقيم فى بلد لا يستطيع أن يحفظ دينه فيها وبمعنى أوضح ان من لم يتمكن من اقامة دينه فى بلد كما يجب وعلم أنه يتمكن من اقامته فى غيره حقت ووجبت عليه المهاجرة حيث لله الحمد بابها مفتوح فى كل وقت الى الاراضى الواسعة فى بلاد الدولة العلية ولما كان أهم شئ فى هذه الدنيا للمسلم حفظ دينه فقد فرض الله عليه الجهاد والقتال لاجل ذلك ولكنه لا يجوز

للمسلم ان يقاتل المسالمين من غير أهل ملته و بالاخص عساكر الخليفـة أيده الله تعالى بنصره ومصـداق ذلك انه خرج من مكة أناس ممن أسلموا ولم يهاجروا الى غزوة بدر مع المشركين فقتلوا فانزل الله تعالى فيهم وفى أمثالهـم (ان الذين توفاهم الملائكة الآية الماضية) ثم أوصى من يزعم من المسلمين بجواز ايصال الاذى الى غير أهل ملته الغير المحارب بين بان هذا الزعم باطل ومن يفعل شيأ من ذلك فقـد خالف الله ورسوله والشريعة الاسلاميـة وأن الواجب هو معاملتهم بالمعروف ومكارم الاخلاق وناهيك بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك الواردة فى كتاب منشآت السلاطين ونصها (بسم الله الرحمن الرحيم هـذا كتابُ كتَبهُ محمدُ بنُ عبـدِ الله الى كافة الناس أجمعينَ رسولُه بشيراً ونذيراً ومُؤتمَناً على وديعة الله فى خَلْقه لئلا يكونَ للناسِ على الله حُجَّةٌ بعدَ الرسلِ وكان الله عزيزاً حكيماً كتبه لأهلِ ملَّة النصارى ولمن تَنَحّل دينَ النَّصرانية من مشارقِ الارض ومغاربها قريبها وبعيدها فصيحها وعجمها معروفها ومجهولها جُعل لهُم عهداً فَمَنْ نكثَ العَهْدَ الذى فيه وخالفَهُ الى غيره وتعدّى ما آمَرَهُ كان لعهـد الله ناكثاً ولميثاقه ناقضاً وبدينه مُستهزئاً وللَّعنةِ مُستوجباً سُلطاناً كان أمْ غـيرَهُ من المسلمينَ وان احتمى راهبٌ أوسائحٌ فى جبلٍ أو وادٍ أو مغارةٍ أو عُمْرانٍ أو سَهْلٍ أو رَملٍ أو بِيْعـةٍ فانا أكونُ من ورائهم أَذُبُّ عنهم من كلِّ غَـيْرةٍ لهم بنفسى وأعوانى وأهلى وملّتى وأتباعى لأنهم رعيّتى وأهلِ ذمّتى وأنا أعْزِلُ عنهمُ الأذَى فى المُؤَنِ التى يَحملُ أهلُ العهدِ من القيامِ بالخراج الا ما طابت له نفوسُهم وليسَ عليهـم جـبرٌ ولا اكراهٌ على شئٍ من ذلك ولا يُغيَّرُ أسقُفٌ من أسْقُفيّتـه ولا راهبٌ من رَهبانيّته ولا حَبيسٌ من صَوْمعته ولا سائحٌ من سياحَته ولا يُهدمُ بيتٌ من بيوتِ كنائسهم وبِيَعهم ولا يَدخل شئٌ من مالِ كنائسهم فى بناءِ مساجدِ المسلمين ولا فى بناء

﴿ الحكومة المطلقة ﴾

يدس أعداء الدولة العلية بين المسلمين من وقت الى أخر الدسائس لايجاد الفتن ويصفون الدولة باسوء الاوصاف ويقولون انها والاسلام على وشك السقوط والزوال (لا قدر الله ذلك) . يريدون بذلك شراً لها على الخصوص والاسلام على العموم لمآرب في النفوس وكراهة في الصدور. نعم أن المسلمين الآن فى تأخر زائد وكثيراً منهم وقعوا فى مخالب الاجانب لانحرافهم عن الشرع الشريف وانشقاقهم وتفرقهم ولقد كانوا فى قوة هائلة وحضارة زاهرة لحد القرن السادس ثم باستمرار تفرقهم وانشقاقهم وقتال بعضهم بعضاً سلط الله عليهم الامة التترية من الشرق والافرنجية من الغرب فالاولى استولت على ثلثاى ممالك الاسلام تقريباً والثانية استولت على معظم الشام وهددت مصر مراراً فكانت وطأة الاولى هائلة وفظيعة فوق ما يتصور ولكن الله منّ على الامة الاسلامية بعد تأديبها باسلام التتر فعادت القوة لها كما كانت بل واكثر. واما الثانية فبعد الحروب العديدة المتقطعة بينها وبين المسلمين المعروفة بالحروب الصليبية نحو قرن ذهبت مغلوبة من حيث أتت وبعد انقراض الدولة العباسية فى منتصف القرن السابع قطعت أمال المسلمين من رجوع القوة الاسلامية ولو باقل مما كانت عليه قبلا ولم يمض على ذلك قرن حتى من الله تعالى برجوع القوة وزيادة كما ذكر فظهرت الدولة العثمانية خلدها الله تعالى الى يوم القيامة بقوة عظيمة وبهجة عجيبة كالبدر فى أفق السماء بما ابهر العقول وبعد ثلاثة قرون وثلث تقريبا اصابها ما اصاب دول الارض من الفتن الداخلية والمشاغب الخارجية واستمرت الحروب معها بالرغم منها لان جسم الدولة مركب من عناصر كثيرة مختلفة الاجناس والاديان

والمذاهب متباينة المشارب والاغراض يبغضون ويقاتلون بعضهم بعضا كما هو المشاهد عيانا لحد الآن فاذا كانت الامة تريد راحة بالها ورجوع القوة الى اصلها وازيدفما على أفرادها الا أن يحبوا بعضهم بعضاً بتأليف القلوب بينهم والمعاملة بالعدل والانصاف والاستقامة سواء كانوا اهالى او حكاما وعدم خروجهم عن احكام الشرائع السماوية ومع ذلك فتمسك جميع هذه العناصر بمحبة الدولة اوشخص جلالة السلطان من المحال والدليل على ذلك أن أعداء الانبياء صلوات الله عليهم كانوا يقولون فيهم اشنع مما يقول اعداء الدولة فيها مع انهم معصومون وموصوفون بجميع الكمالات البشرية منزهون عن النقائص ولا يفعلون الا بوحى سماوى فلذا يرى أن أقوال الاعداء التى من هذا القبيل لا تشين الدولة التي أقل اوصافها هى محاسن الاخلاق والشهامة والمروءة والشفقة واغاثة الملهوف ونصرة المظلوم وقبول من يلتجىء اليها مستغيثاً من غير تحيز لجنسه ولا دينه ولا مذهبه وحمايته مما يخاف ولو من عدو جبار كما تثبت ذلك التواريخ ولقد أغاثت فرنسا من اسبانيا وملك أسوج من بطرس الكبير وغيرهما فأى شىء من هذه الخصال الحميدة فى دولة غيرها؟ على أننا نرى الآن القوى اذا افترس بضعيف مظلوم يملأ هذا الآفاق بصراخه ولا يجد من يغيثه مع ان سكان الجبال الهمجية اذا تعدى أحد منهم على آخر اجتمع كبراؤهم ومنعوا الظالم عن المظلوم منهم فالدول الزاعمة بالتمدن المتناهي اذا كانت صادقة فى زعمها هذا فلتتفق منهن على الاقل ثلاث لاغاثة الحكومات الضعيفة بغير تعصب ولا ميل ى لا ملة كانت أو جنس كان والا فلا تمدن ولا شهامة ولا مرءوة! فلذلك ترى المؤمنين والعقلاء يقدسون ويعظمون سلاطين آل عثمان حيث أيد الله بهم الاسلام ستة قرون وربع وهي تقرب من نصف حياة الاسلام ونسأل الله تعالى أن يؤيد الاسلام بهم الى يوم القيامة. ثم نذكر

فريقا من الامة الاسلامية وهم المخلصون المحبون للدين والدولة والوطن المتسلط
على أفكارهم القنوط واليأس من رجوع العز والعظمة للاسلام بان هذا غير جائز
لا شرعا ولا عقلا ولا عادة فقد قال الله تعالى (لا تقنطوا من رحمة الله) ورحمته تعالى
ليست مقيدة بالآخرة بل كل شىء يصيب الانسان من نعمة الله من جلب نفع
أودفع ضر فهو من رحمة الله (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) فارسال سيدنا محمد عليه
الصلاة والسلام في الدنيا متعلق بما ذكر من دنيوى وأخروى وقال تعالى (ولا
تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) وقال تعالى
(ويخلق ما لا تعلمون) وغير ذلك مما فى القرآن والاحاديث وأما عقلا فليعلم مثل
هؤلاء ان الاسلام بدأ بشخص واحد وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خديجة ثم
أبو بكر رضى الله تعالى عنهما ثم أفراد وأزواج وهم محاطون بالالوف من طغاة
وعتاة وصناديد كفار قريش ويعذبون من قدر عليه ذلك منهم بأنواع العذاب حتى
أعز الله الاسلام شيأ فشيأ وما كان يصدق فرد واحد من البشر بان سكان جزيرة
العرب يملكون بلاد فارس والروم في ذلك الوقت في ظرف ربع قرن كما حصل
بل ولا الى يوم القيامة فضلا عن ذلك فان بعد انتقال الرسول عليه السلام ارتد
أكثر أهل اليمن فقاتلهم أبو بكر والصحابة رضى الله عنهم حتى أعز الله الاسلام بما
لا يتصوروا واذا قال قائل ان ذلك كان لاجل النبي واظهار دينه واخلاص الصحابة فى
الدين فنقول ان الرسول عليه السلام أرسل الينا جميعا بشيرا ونذيرا لاعلاء كلمة الله
ولم يكن لرسالته ميعاد تنتهي اليه وما يمنعنا نحن من الاخلاص فى الدين مثل الصحابة
حتى تكون لنا النصرة كما كانت لهم ولما كانت خطتنا الاختصار فى هذا الكتاب
فتكفى هذه الامثال لهؤلاء الرجال لرجوعهم عن هذه الاوهام ولا يجعلون ثقتهم
بالله قليلة ونسأل الله التوفيق . ثم ان فريقا آخر عليهم واجبات هم مقصرون فيها وهم

الاغنياء والرؤساء والحكام فالا ولو لعدم مساعدتهم لحكوماتهم بما يعينهم على مشروعاتهم الخيرية لحفظ بلادهم فان بعضهم اذا قام ببعض مساعدات بعد تكرار التردد والوساوس ولم يحصل عقب ذلك ما كان يؤمله من أمور الدنيا ندم على هذه المساعدة وعزم وجزم على أن لا يساعد مرة أخرى فليعلم هؤلاء الاغنياء أن النصرة لا تأتى بهذه الاحوال وانما الاعمال بالنيات ولله خزائن السموات والارض فالصحابة رضى الله تعالى عنهم كانوا ينفقون ماملكت ايديهم فى سبيل الله فاغناهم الله تعالى بعد الشدائد الهائلة لسلامة نياتهم وصبرهم وقد ورد في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ما من يوم يصبح فيه العباد الا وملكان ينزلان يقول أحدهما اللهم اعط منفقا خلفاً ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا) وفيهما عنه أن رسول الله قال (قال الله تعالى أنفق ينفق عليك) وفيهما عن اسماء بنت أبي بكر الصديق قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنفق ولا تحصى فيحصى عليك ولا توعى فيوعي عليك) أى لا تشحى فيشح الله عليك ويجازيك بالتقتير فى رزقك ولا يخلف عليك. ألم يعلم هؤلاء الاغنياء ان الاعداء اذا سادوا على بلادهم لا قدر الله ذلك لا تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم التى هم حريصون عليها شيئاً فضلا عن ذهاب مجدهم وعزهم وربما يذهب منهم دينهم أو دين أولادهم وذرياتهم على تمادي الايام. ألم يعلم هؤلاء ان الانسان يأمن على وديعته عادة عند الاغنياء أمثالهم فكيف لا يأمنون على وديعتهم عند مالك الممالك سبحانه وتعالى مالك الدنيا والآخرة بانفاق بعض من أموالهم فى سبيله وقد قال الله تعالى (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم) وقال تعالى (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) الى غير ذلك مما يطول شرحه وقد وعد الله الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله بمضاعفة الجزاء من عشرة الى سبعمائة الى ما لا نهاية كما

قال الله تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) وقال سبحانه وتعالى (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) وقال جل وعلا (ومن يوق شح نفسه فاؤلئك هم المفلحون) وفي النسائى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (شر ما فى الرجل شح هالع وجبن خالع (١) وفيه (لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى جوف عبد أبداً ولا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد أبداً) والحاصل ان المؤمن يجب عليه أن يتذكر ان شدة الحرص على الاموال ربما أوجبت اتلافها بمصائب غيبية كأصحاب الجنة الذين ذكرهم الله تعالى فى سورة ن بقوله تعالى (انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم) الآية . ومعنى ما ورد عنهم انهم كانوا اخوة من أهل الصلاة وكانت هذه الجنة لابيهم بقرب صنعاء اليمن وكان يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقى على المساكين فلما مات قالوا ان فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الامر فعزموا وحلفوا على أن يصرموها خفية عن المساكين فاحرقها الله تعالى جزاء على شح أنفسهم بمنع المساكين. والحاصل ان من يعتقد ان ماينفقه فى سبيل الله من ماله الحلال ينقص أمواله ويترتب عليه فقره فهو قليل الثقة بالله وربما يحرم من ماله بهذا السبب فنعوذ بالله من ضعف الدين وشح النفس. انما يتذكر أولو الالباب

وأما واجبات الرؤساء والحكام فهي اتحادهم وانضمامهم الى بعضهم لايجاد القوة المترتب عليها حفظ بلادهم واتحاد الجميع مع أكبرهم شأناً وأقواهم عملاً وهو الخليفة الاعظم سلطان الدولة العلية لان كلا منهم يعتبر نفسه بأنه أعظم وأشرف

(١) الهلع شدة الجزع والخلع شدة الخوف الذى يكاد ينخلع منه الفؤاد

من الآخر وهذا هو الضلال المبين والبلاء الجسيم ورأس كل المصائب وهو عين التفرق الممنوع شرعا والمنهى عنه بل ان هـذا التنافس الفاسد والوهم العقيم هو السبب الوحيد في خراب البلاد وضياعها وتشويه وجه أهل الاسلام عموما ألم يأن لهم أن يتداركوا هذه العلة القاتلة للاسلام بمحوها ويتخذوا بدلها طرق الرشاد وهي الاتحاد والتعاون والتعاضد والتحابب فى الله تعالى كما أمر بقوله تعالى (انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم) واتباعا لما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة اين المتحابون بجلالى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى) ولا يترتب على ذلك حرمان أحد من حكومته أو مملكته بل انما يترتب عليه حفظ البلاد من الاغتيال ولا يغرنهم الدسائس المقصود بها دوام التفرق بين المسلمين لسهولة الاغتيال ولقد مر علينا من أمثال ذلك ما يكفى لايقاظنا ولعل حضرات علماء الاسلام من جميع العناصر فى مشارق الارض ومغاربها يتوسطون في أحياء الاتحاد العام والتحابب بواسطة تزاورهم واتحادهم بالاخلاص التام فيما يعظون به الامم الاسلامية وحكامها اذ هم أولى بذلك فاذا قاموا بهذه المهمة التي هي أكبر خدمة للاسلام حيث ينقذونه من الخطر العظيم المحدق به فقد قاموا بوظائفهم الحقيقية المفروضة عليهم حيث انهم ورثة الانبياء وهم محترمون لدى العالم والحمد لله قد صار المسلمون الآن اكثر من كافة الاعصار الماضية وهم ثلثمائة مليون تقريبا اكثر من ثلثى المسيحيين ويقرب عددهم من نصف سائر الامم وعلى الاغنياء والحكام اعانة هؤلاء الافاضل بما يمكنهم من قيامهم بهذه المهمة من مال وغيره حيث قضاء الحاجات لا يكون الا بالدراهم والا فلا تعود عادة عظمة الاسلام كما كانت ثم ان السبب الوحيد لانحطاط قدر المسلمين

هو شيء واحد وان كان له فروع وذلك هو الانحراف عن الشرع الشريف الحاصل من الامم وقد قال الله (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) وليست نفس الاصابة من الانسان وانما أسبابها أعمال الانسان كما قال تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ان الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وقال تعالي (واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب) فلو نظرنا بعين البصيرة لوجدنا الحالة في الشعوب أصعب مما يتصورها الانسان وانما الشعوب لاهية الا القليل وهكذا اذا فشت فى أمة أو بلدة عادة قبيحة فاهلها لا يشعرون بها مثل الامة المستقيمة فيا أيها العلماء والعظماء ان اعوجاج الامم عن الشرع الشريف قد بلغ الى أسوأ حال أفلا تسعون فى اعتداله ولو بازالة جزء منه بقدر ما فى الامكان فكل راع مسؤل عن رعيته وقد كثر الفساد وزادت البدع مع ماهو جار من العوائد القبيحة المخالفة للشرع التى كانت في الامم قبل اسلامهم مثل الندب والوشم وأمثالهما ولكن فى الاعصار الماضية كان العلماء والامراء يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر ويقيمون عليهم الحدود فكان الله حافظهم فى بلادهم من تسلط غيرهم عليهم لان الله لا يحب الجهر بالسوء وربما يستغرب البعض من ضربنا الامثال بالندب والوشم وهما من عادات العامة التى يظنون انها جائزه مع أنه ورد فى الصحيحين عن عبدالله بن مسعود (لعن الواشمات والمتوشمات) (١) فهو منهى عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية)فلو استقامت الامم ما أصابتها هذه المصائب وما جاءت الا من ارتكاب المحرمات انتقاما

(١) الوشم هو الدق المعروف والواشمات فاعلات الوشم والمتوشمات طالبات الوشم لانفسهن

من الله ومن البديهي انه لا يمكن وجود حكومة رؤفة شفوقة لينة العريكة مع شعوب عاصية عاتية قد كثر فيها الكذب والفسوق والعصيان بالقتل والسرقة وشهادة الزور والغيبة والنميمة وأكل الحرام منهمكة فى ارتكاب المحرمات سرا وجهرا وكذلك لا توجد حكومة جائرة ظالمة في أمة مستقيمة الاحوال مطيعة لله ورسوله وأولى الامر منهم بل كما يكونون يولي عليهم فقد قال الله تعالى (وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً) وبالاختصار انه اذا استقامت الامة فلا تقدر حكومتها على ظلمها وهذا لا ينافي وجود بعض حكام أو ولاة دأبهم الطمع والظلم وهم غافلون عن أنهم مسؤلون عما يعملون فانهم رعاة وكل راع مسؤل عن رعيته كما جاء فى الحديث الشريف فليعلم هؤلاء الولاة أنهم ان ظلموا أوجاروا فمسؤليتهم لدى الخالق سبحانه وتعالى لا تشبه مسؤلية الافراد لان الفرد يقدر أن يظلم فردا مثله فقط وأما هم فيمكنهم أن يظلموا بكلمة واحدة آلافا أو ملايين من النفوس فاذا وضع الله هذه الذنوب فى كفة موازينهم فكيف يكون الحال (ومن خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ماهية نار حامية) فليتقوا الله وليتذكروا فقد ورد في الحديث الشريف عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أحب الناس الى الله يوم القيامة وأدناهم عنده مجلسا امام عادل وأبغض الناس الى الله وأبعدهم منه مجلساً امام جائر) (الترمذى) وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا) ومن المعلوم ان الله سبحانه وتعالى منزه عن الجوارح والمكان وأن ماورد في الحديثين الشريفين وأمثالهما من قرب وبعد ونحو ذلك فالتأويل راجع الى تفضل الرب على العبد

بما يسره وأما الوصف كاليد ونحوها فقد ورد على صيغة يفهمها البشر ولها تأويل يليق بجلال الله سبحانه وتعالى وان كان هذا أمر معروف فى كتب الاسلام لكن أوضحناه هنا مختصرا حتى اذا اطلع من لم يعلم ذلك على هذين الحديثين وأمثالهما أراح نفسه من الاعتراض المشين أو الارتباك والحاصل ان مثل عدل الحاكم الكبير كمثل غيث يعجب الزراع فيحيي به الله قوت آلاف أو ملايين من النفوس وكذلك ظلم الحاكم الكبير كمثل رجل أشعل فتيلة ألغام هائلة فانفجرت فأهلك بها الالوف من الناس أو كزلزلة عظيمة هلك بها ألوف أو ملايين فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ولذا نقول ان الدول والامم تشبه الافراد من حيث تعرض لها الامراض فالاختلالات الداخلية فى الممالك تشبه الامراض الباطنية وأسبابها الحكام الجهلاء الظالمون ودواؤها الحكام العادلون مع الحزم والعلم والمشاكل الخارجية كالقروح الظاهرة فى الاجسام ودواؤها القوّة واليقظة ولقد أصيبت الدولة العلية من هذه الامراض بما لو كان فى غيرها لكانت القاضية والحمد لله قد تجدّدت لها حياة جديدة قوية فهى فى النمو المستمر نسأل الله تعالى دوام نموّها وتزايد قوّتها الى ماشاء الله انه على كل شئ قدير وبالاجابة جدير وأطال الله عمر مولانا السلطان الاعظم عبد الحميد خان الثانى وأنجاله الكرام وخديوينا المعظم عباس الثانى وأنجاله الكرام آمين

---

١ السلطان عثمان الاول

السلطان الاول هو السلطان عثمان خان الغازى بن ساوجى بك بن أرطغرل بك
ابن سليمان شاه بك بن قيا ألب رئيس قبيلة قابى بآسيا الوسطى والى هذا ينتهى
النسب الصحيح وما بعده مختلف فيه وكانت ألقابهم (قابى خان) ومعناه
خان قابى وكان من أمرهم انه لما ظهر التتر من أقصى آسيا واستولوا على
البلاد الاسلامية وأفسدوا فيها بالقتل والسلب والنهب هاجر سليمان شاه من وطنه
مدينة ماهان بقبيلته العظيمة البالغ عدد محاربيها ألفا فارس الى الاناضول فى
القرن السابع من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام
فاقام بمدينة اخلاط فلما انتشر التتر وقربوا من تلك المدينة هاجر منها الى أذربيجان
وبعد مدّة أراد الرجوع الى وطنه الاصلى فسار مع قبيلته الى أمام قلعة جعبر
من أعمال ولاية أورفه وعند عبورهم نهر الفرات وقع فيه سليمان شاه ومات
غريقا ودفن تحت القلعة المذكورة وكان له أربعة أولاد وهم سنقور تكين
وكون طوغدى (١) وهذان عادا الى وطنهما ولم يعلم لهما أحوال وأرطغرل بك
(٢) ودندان وهذان سارا بالقبيلة الى أرضروم بالاناضول ووضعوا خيامهم بمحل
يسمى (صرملوچقور صحراسى) - (٣) وصار أرطغرل بك رئيسا على القبيلة
وأرسل ابنه ساوجى بك الى السلطان علاء الدين السلجوقى يلتمس منه مسكنا له
ولقبيلته ومرعى لمواشيهم وكان سلطانا على جزء عظيم بالاناضول فاجاب له الطلب
وتوفى ساوجى بك وهو عائد الى أبيه ثم تصادف ان فرقة من التتر كانت تحارب
عساكر السلطان علاء الدين واذا بأرطغرل بك مار عليهم فهجم بقبيلته على التتر
فانهزموا شر هزيمة فكافأه السلطان علاء الدين بطومانيج واسكى شهر (٤) بواديهما
ثم انه مات فى سنة ٦٨٠ هجرية بالغا من العمر فوق ٩٠ سنة فصار حفيده

---

(١) أى ابن النهار أو طلعة الشمس (٢) أى رجل عقاب (٣) أى صحراء
نقرة القصب (٤) أى المدينة القديمة وهى مدينة مشهورة

عثمان كوندز ألب (١) رئيسا على القبيلة وهو المؤسس للدولة العثمانية خلدها الله الى يوم الدين ولنذكر بعض وقائعه المهمة قبل توليته السلطنة وذلك ان والى الولايات التابعة لامبراطورية القسطنطينية أعنى دولة بزنتيس التى كان مقرها وقتئذ الاستانة كان يسمى تكفور فالتكفوريون المجاورون لعثمان وقبيلته كانوا يعتدون على قبيلته فيضطر للمقاومة وفى أغلب الوقائع يكون النصر له حتى استولى على جملة قلاع وجهات كثيرة وصار يضم مايكتسبه الى ممالك السلطنة السلجوقية حتى انه استولى فى سنة ٦٨٥ هجرية على (قره‌جه‌حصارى) - (٢) فلقبوه بالغازى ودعوا له فى الخطبة ولما استشهد أخوه فى هذه الواقعة خاف تكفور بله چك من استفحال العداوة فاراد الغدر بقتل عثمان وتفصيله ان تكفور المذكور تزوّج بابنة تكفور (يارصار) فى سنة ٦٨٩ ودعا عثمان للوليمة فى صحراء چاقر بيكار وأعدّ رجالا للفتك به وكان رسول الدعوة يسمى كوسه ميخال حاكم حِرْمَنْ قيا وكان وفيا لعثمان وصديقا له باطنا بسبب محاسن أخلاقه وشجاعته ومروءته فاخبره سرا بما هو منوى فشكره عثمان على ذلك وأجاب الدعوة وقال له انى سأحضر وبعون الله لايحصل لى ضرر ثم انه جمع فرقة من شجعان الفرسان وجعل بعضهم كمينا وأرسل ٤٠ شجاعا فى زى مساكين الى قلعة بله چك وأمرهم بضبط القلعة حال اشارته اليهم

أما هو فانه ذهب الى الوليمة وجلس متيقظا واذا برسول أتاه بضبط القلعة بمن أرسلهم فقام وأظهر شبه الفرار واذا برجال الغدر ظهروا وراءه وعند وصولهم الكمين ظهر عليهم واقتتلوا معهم فانهزم رجال الغدر فغنم عثمان العروس وما معها وأرسل فى الحال محافظا للقلعة وفتح أيضا قلعة إِنَّه كُول وسميت العروس نِيلُوفَرْ وزوّجها لابنه أورخان فولدت منه سليمان باشا والسلطان مراد الاول وهى التى بنت كبرى نهر بروسه المشهور ولحد الآن يسمى نهر وادى بروسه

(١) أى قهرمان النهار وهو ابن ساوجى بك السابق ذكر وفاته

(٢) محل مشهور بالاناضول

نيلوفار على اسمها وهى مدفونة بمدفن أورخان بعلها ببروسه وفى سنة ٦٩٩ هجرية الموافق ١٢٩٩ ميلادية انقرضت السلطنة السلجوقية بموت السلطان علاء الدين السلجوقى فى قونية بلا ذرية فاجتمع الوزراء والاعيان وقرروا أنه لايليق للسلطنة سوى عثمان الغازى فعرضوا عليه هذا الامر فأجاب طلبهم وصار سلطانا من هذا التاريخ وجعل مقر سلطنته يكى شهر (١) ثم ان التكفوريين الاربع وهم حكمدار بروسه وحكمدار اطره نوس وحكمدار كستل وحكمدار كتّه اتفقوا على معاداة السلطان عثمان وهجموا على مدينة يكى شهر محل السلطنة فقابلهم السلطان بجوار قيون حصار وبعد قتال انهزم المتفقون وقتل تكفور كستل وهرب تكفور كتّه الى ارنوس وفى سنة ٧١٧ أنشأ السلطان قلعة على مسافة ربع ساعه من بروسه بالقرب من المياه المعدنية الموجودة الآن وعين عليها ابن أخيه الاصغر آق تيمور وأنشأ قلعة أخرى وعين لها مملوكه بلبان چق سردارا فحاصر بروسه وقد أسلم كوسه ميخال المعهود فعينه السلطان رئيسا على فرقة من الجيش فاستولى هو وأورخان بن السلطان على قره حصار ولغكة وجادر لق ويكيجه بغير قتال وعلى آق حصار (٢) وتكفور بيكار بالحرب وعلى قلعة قره جيش بعد أسر محافظها وكذا استولى أورخان على بروسه صلحا وعقب ذلك مرض السلطان عثمان فى سنة ٧٢٦ وأوصى ابنه أورخان بما لزم ثم توفى رحمة الله عليه وكان مولده فى سنة ٦٥٦ ومن المصادفات الغريبة ان مولد هذا السلطان كان قبل انقراض الخلفاء العباسيين فى بغداد بسنة واحدة ولله فى خلقه شؤن

﴿ أسماء معاصرى السلطان عثمان من الملوك وجهاتهم ﴾

أوروبا

الاستانة ...... برنتيس أى امبراطورية الاستانة

الاستانة ...... ميخال بالولوغوس

---

(١) أى المدينة الجديدة (٢) أى الحصار الابيض

الاستانه .... اندير يقو بالولوغوس ثم ابنه ميخال اندير يقوس الثالث

الاندلس .... عمر المرتضى .... حاكم

فرنسا .... فيلب الرابع ثم ابنه لوى العاشر ثم جان الاول ثم فيلب الخامس ثم شارلى الرابع .... ملوك

انكلترا .... ادوارد الثانى ثم وارغون الثالث .... ملوك

قاستيل .... فردنيند الرابع ثم ابنه الفونس الحادى عشر ثم ملك قنبور ادوار ثم ولارس الرابع

بوهميا ولهتسان (بولونيه) . وان سلاس الرابع ثم جان .... ملوك

المجر .... شارلى روبرت .... ملك

المانيا .... فردريك الثانى ثم قوزاد الرابع ثم ريشاردوس ثم رودولف الاول ثم هنرى .... ملوك

ساردنيا .... فيلب الاول .... امبراطور

نابولى .... شارلى .... امبراطور

آسـيا

بغداد .... بايرو خان ثم كمن جاتو خان .... حاكم

الروم .... السلطان ركن الدين ثم ابنه غياث الدين كى خسرو الثالث

خرسان .... أرغون خان .... حاكم

آسيا .... محمود غازان خان ثم محمد خدا بنده ثم أبو سعيد بهادر خان

عراق العجم .... الامير مظفر .... حاكم

الصين .... قابله قانه منقوخان ثم ابنه وبعد خلعه تايتو

لاهور .... السلطان جلال الدين ثم ابنه أبو سعيد عثمان

أفريقيـــا

تونس .... المستقر بالله .... حاكم

مصر .... الحاكم بأمر الله العباسى ثم المستكفى بالله ثم السلطان الملك الناصر .... خلفاء

فاس .... يعقوب بن عبد الخالق ثم ابنه أبو سعيد عثمان .... حكام

٢ السلطان أورخان الاول

السلطان الثانى هو السلطان أورخان وقد ولد فى سنة ٦٨٠ وتولى السلطنة فى ١٧ رمضان سنة ٧٢٦ بالغا من العمر ٤٦ سنه فمدّة سلطنته ٣٥ سنه وكانت عاصمته أولا يكى شهر ثم بروسه واتخـذ أخاه علاء الدين وزيرا له وفوّض له الامور الادارية وهو أول وزير فى الدولة العثمانية وفى سـنة ٧٢٧ أرسل امبراطور قسطنطينية امدادا عظيما الى تكفور أزميد لمحاربة أورخان وانبنى على ذلك استيلاء عبدالرحمن الغازى وقوركور ألب على حصار قندرة ومحاصرتهما قلعة ايدوس فأرسلت ابنة محافظها مكتوبا الى عبـد الرحمن الغازى ترشده عن الطـرق المسهلة لفتح القلعة ففتحت بسببها وأرسل الغازى المشار اليـه الغنائم مع البنت المذكورة الى السلطان فأكرمها غاية الاكرام وزوجها بعبد الرحمن الغازى المذكور وفى سنة ٧٢٨ فتح السلطان بنفسه أزميد وقيون حصارى وغيرهـا وفى سنة ٧٢٩ سنّ الوزير علاء الدين قانونا للادارة وفتح ضرب خانه فضرب نقودا كثيرة باسم أورخان وأنشأ جيشا منتظـما من المسلمين باسم يكى جرى (١) وخير غـير المسلمين فى الدخول فى الجيش فدخل البعض وفى سنة ٧٣١ حصلت مناوشات بين الاروام والمسلمين نتج منها فتح مدينة ازمبيق وعين فيها سليمان باشا ابن السلطان محافظا وقدسلم الاروام الساكنون فى ضواحيها أنفسهم للمحافظ المذكور وفى هذا العام توفى الوزير علاء الدين وعين بدله سليمان باشا المذكور وفى أثناء ذلك طلب امبراطور القسطنطينية الصلح فقبله منـه السلطان ومن سنة ٧٣٢ لغاية سنة ٧٤٥ لم تحصل حروب بل اشتغل السلطان

(١) أى العسكر الجديد

بنظام الداخلية وفى سنة ٧٤٦ جدّد السلطان الصلح مع الامبراطور وذهب بعائلته الى اسكودار وهى مدينة بآسيا أمام الاستانه فاستقبله الامبراطور ثم عاد وبعد ذلك اتفق الامبراطور مع حكومة الونديك على مضادة السلطان وهذا أول اتفاق بين ملوك المسيحيين على مضادة العثمانيين فعين السلطان ابنه سليمان باشا الوزير سردارا فى عموم روملى ومعه كوسه ميخال و الحاج ايلى وغيرهما من الامراء وفى سنة ٧٥٦ عبروا البحر الابيض واستولوا على كليبولى وفى أثناء ذلك حصلت فتنة فى عائلة امبراطور الاستانة وطلب من سليمان باشا الاعانة فأرسل اليه رجالا واذا بالاروام وحكومات المجر والصرب والبلغار والافلاق اتحدوا على محاربة العثمانيين وطردهم من أوروبا وهذا الاتفاق الثانى منهم فاضطر سليمان باشا الى سرعة مقابلتهم وبعد قتال عنيف انتصر عليهم وأعقب ذلك زلزلة عظيمة فهدمت أغلب القلاع والمدن ولم تشغل سليمان باشا عن الحرب بل فتح تكفورطاغى وما حولها فطلب الاروام استرداد ذلك بدفع نقود تعويضا ولمصادفة فتح جهات أخرى بمعرفة الحاج ايلى لم يتم الاسترداد وعقب ذلك تصادم فرسه بشجرة عظيمة وهو راكب أثناء صيده فمات بذلك سنة ٧٦١ وبوصول هذا الخبر المحزن لابيه السلطان توفى أيضا بالغا من العمر ثمانين سنة وكان أولاده ثلاثا مراد وسليمان وقاسم فالاخير مات صغيرا

الاتفاق الاول

الاتفاق الثانى

﴿ أسماء معاصرى السلطان أورخان ﴾

اوروبا

قاستل ...... الفونس الحادى عشر ثم ابنه بترو .... ملوك

البرتغال ..... دانيزى .... ملك

انكلترا ..... أدوارد الثالث ثم ريشاريد الثانى .... ملوك

رومه .... أدرين السادس .... بابا

موسقو ...... ولادمير .... دوق

بزانتيس . . . . يوانى بلاالؤغوس . . . . امبراطور
فرانسا . . . . . . فيلب السادس . . . . ملك
الدانمرك . . . . . اديس الثامن ثم أخوه قلاسطوف ثم ألوف
نروج . . . . ألوف بن قرسطوف ملك الدنمرك . . . . ملك
غرناطه . . . . . . يوسف أبو الحجاج ثم ابنه محمد الرابع . . . . حكام
جبل طارق . . . . عيسى بن محمد . . . . حاكم
المجر وبلونيه . . . الوى ثم شارلى الرابع ابن امبراطور ألمانيا ثم ابنه ناسلانى . ملوك

آســـــيا

صادوخان . . . . السلطان ارتياه
درابزون . . . . . مانوأل ثم بازيل ثم ميخال . . . . ملوك
قبرص . . . . . . أوكست الرابع . . . . ملك
بغداد . . . . مرزا يلخانى ثم ابنه أويس . . . . أمراء
شمال الهند . . . السلطان علاء الدين ثم صفرخان
مصر . . . . الملك الناصر ثم ابنه الملك المنصور بعـد خلعه الملك الاشرف
علاء الدين ثم بعد نزعه الملك ناصر شهاب الدين ثم بعد خلعه
وقتله الملك صالح عماد الدين ثم الملك الكامل شعبان ثم الملك
المظفر ثم السلطان حسن
فاس ومراكش . أبو سعيد بن عثمان ثم ابنه أبو الحسن ثم بعد خلعه عمه يوسف
ثم أبو سالم ثم أبو ثابت سليمان ملك بالاســتقلال من بنى
مرسين . . . . ملوك

٣ السلطان مراد الاول

السلطان الثالث هو السلطان مراد الاول وقد ولد فى سنة ٧٢٦ وجلس سنة ٧٦١ بالغا من العمر ٣٥ سـنة فمدة سلطنتـه ٣١ سـنة وبينما هو مجتهد فى نظام

الداخلية واذا باولاد قرمان (١) قد اتحدوا مع بقية حكام المسيحيين المجاورين وهجموا على بروسة وازنبيق فقاتلهم السلطان وهزمهم واستولى على قلعة انقره فى سنة ٧٦٢ وفى سنة ٧٦٣ عين شاهين بك لاله (٢) سر عسكر وعين خليل جاندرلو قاضى بروسة بوظيفة (قاضى عسكر) لينظر فى قضايا عساكر الجيش وهو أول من تقلد بهذه الوظيفة المحدثة وبعدها تولى الصدارة العظمى ودعى بخير الدين باشا وهذه الوظيفة فى عصرنا هذا من الرتب العلمية ثم حصلت مناوشات حدودية فأرسل الحاج أيلى واورنوس بك ففتح قلاع بيطور وجورلى ومسللى وبرغوس وبرغاز وديمتوقه وكشان ثم فى شهر القعدة من سنة ٧٦٣ فتحت مدينة أدرنة العظيمة الشهيرة الى الآن وعين لها شاهين باشا محافظا وفى سنة ٧٦٤ عين أورنوس بك على سواحل روملى الجنوبية لفتح كوملجنة وتوابعها ففتحها وعاد السلطان الى بروسة وفى سنة ٧٦٥ فتح شاهين باشا مدينة فيلبه فى شمال روملى اذ ذاك وما حولها وفتح أورنوس بك جهات سيروز ومناستر وبهشتنة وموشنه وما حولهن وصارت أعمال هذه الجهات الاربع وتوابعها ولاية واحدة وعين فيها أورنوس بك واليا عليها بعد ان أنعم عليه برتبة أمير الامراء وفى سنة ٧٦٦ اتفقت الدول المسيحية لاخراج العثمانيين من قطعة أرض أوربا بالتماس البابا فاجاب كل من ملك المجر وملك بوسنه وملك الصرب وحكام افلاق وبعد ان جمعوا عساكرهم وهجموا على البلاد على حين غفلة قابلهم شاهين باشا والحاج أيلى بك ليلا فاندهشوا وتشتتوا بعد قتال شديد وكان عساكر الاعداء المتفقين ٦٠ ألفا وفى رواية ٣٠ ألفا وعساكر العثمانيين ١٠ آلاف ولولا اختلال نظام الاعداء وحسن نظام العساكر العثمانيين وشجاعتهم وتدبيرات ضباطهم وعناية الله بهم لما انتصروا عليهم وخذلوهم وفى سنة ٧٦٧ فتح السلطان بنفسه قلعة بيغا

الاتفاق الثالث

---

(١) هم أمراء شبه ملوك الطوائف بالاناضول
(٢) أى مربى وهو مربى السلطان فى صغره

ثم عاد الى بروسة واشـتغل ببناء جوامع ومدارس وأبنية خـيرية وختن أولاده بايزيد ويعقوب جلبى وساوجى بك ولما بلغـه أن الاروام ينوون له السوء ذهب الى أدرنة منتظـرا مايكون وأنشأ فيها السراية الشهيرة وجعلها مقرا للسلطنة ثم حصل بعد ذلك مناوشات فى الحدود وتبين ان الاعداء طلبوا الاعانة من دولة اسبانيا ووعدتهم بها فغضب السلطان وشمر عن ساعد الجدّ حتى استولى فى سـنة ٧٦٨ على جهات يكيجه ويانبولى وأيدوس وقرق كليسا وبيكار حصارى وويزا وما حولهن ثم عزم على الانتقام من اسبانيا واجتهد فى ايجاد القوة البرية والبحرية واصلاح الداخلية لغاية سنة ٧٧١ وفى سنة ٧٧٢ حصلت مناوشات فى حدود العرب فقابلهم شاهين باشا وانتصر عليهم واستولى على جهات سماقو واهتمان وما حولهما وفى سنة ٧٧٣ ذهب السلطان الى سماقو لترتيب وتنظيم أحوالها وفى أثناء ذهابه سلم له قسطنطين حاكم كوستنديل مملكته بغير حرب ولا نزاع فكافأه السلطان بتعيينه حاكما عليها ثم عاد الى بروسه وفى سـنة ٧٧٤ نهب رجال امبراطور القسطنطينية جهات ويزه فذهب السلطان فى الحال ومعه شاهين باشا ففتح بلونيه بعد محاصرتها خمسة عشر يوما ثم فتح مدينة قره جق وقلعة التنجه كز فى نظير اعتداء الامبراطور ثم عاد الى أدرنة وفى سنة ٧٧٥ لقب أورنوس بك بالغازى وعين خـير الدين باشا الصـدر الاعظم لحفظ جهات غربى روملى وأخذ بلاد من يتعدّى على الحدود وبمعيته الغازى المذكور ففتح قوالة وما حولها ولم يتعرض للمجاورين لها ثم عاد بجيشه وفى سنة ٧٧٦ ذهب السلطان والصدر الاعظم الى بروسة لاشتغالهما بنظام الداخلية واصلاحها واذا بملك الصرب لازارى تسلط على بلاد الدولة فى سـنة ٧٧٧ فغضب السلطان وذهب بنفسه الى حدود الصرب فهرب لازارى الى الجبال فدعاه الى الحرب والا يستولى على بلاده تأديبا له فلم يقابله فاستولى على قلعة نيش فطلب منـه لازارى الأمان وقبل ان يدفع ويركو ولا يتعرض لبلاد الدولة مرة أخرى فقبل منه ذلك وسحب جيشه عائدا الى بروسة على غير رغبة الجيش حيث كان قادرا

على الاستيلا على جميع بلاد الصرب بالسهولة وقال للجيش إننا لسنا بمعتدين وفى سنة ٧٧٨ سلم حاكم سلستره بلدته المذكورة الى السلطان فكافأه بتعيينه حاكما عليها وعاد الى أدرنة ومن هذه السنة لغاية سنة ٧٨٣ لم يحصل اعتداء من أحد على بلاد الدولة بل اشتغل السلطان فى هذه المدّة بتنظيم واصلاحات الداخلية وصار ينتقل من أدرنة الى بورسة ومنها اليها وفى سنة ٧٨٤ طلب ابن كرميان أحد ملوك الطوائف بالاناضول تزويج ابنته لبايزيد بن السلطان وجهزها من بلاده بمدينتى كوتاهيه وسما وبقلعتى اكرى كوز وطوشانلى والحاقهن بالممالك العثمانية فقبل منه السلطان ذلك أما أولاد قرمان الذين هم من ملوك الطوائف أيضا فصاروا يعتدون على ممالك الدولة فى جهات قونيه فارسل السلطان سفيرا مخصوصا الى من يسمى حسين بن حميد منهم لمشترى حقوقه من البلاد وهى اسبارته وما حولها فقبل وألحقت بممالك الدولة وفى أثناء ذلك فتح قلعتا برلبه ومانستر بهمة تيمور طاش باشا ولغاية سنة ٧٨٦ لم تحصل حروب وفى سنة ٧٨٧ مات خير الدين باشا الصدر الاعظم فى يكيجه وعين بدله ابنه على باشا قاضى عسكر

﴿ واقعة غريبة ﴾

ذهب السلطان الى أدرنة بعد ان نصب ابنه ساوجى بك محافظا على بروسه وهو يومئذ شاب فاستولت على عقله لذة السلطنة فأمر الخطيب ان يخطب باسمه ففعل طاعة للامر ولما بلغ السلطان الخبر عاد مسرعا الى بروسه فجهز الولد جيشا ممن أطاعه لمحاربة أبيه فأرسل السلطان اليه من ينصحه فلم يقبل فوقع الحرب فى وادى كته وانهزم عسكر الولد بعد أن أسر ولما أحضر أمام أبيه عاتبه على هذا الفعل الشنيع فرد عليه بما يغاير الادب فجال فى فكر السلطان ان ابقاءه يكون سببا لسفك دماء المسلمين فأمر بفقء عينيه وقد اتضح انه كان متفقا مع ابن امبراطور القسطنطينية ان كلا منهما يعصى أباه ويأخذ منه المملكة اما الامبراطور فانه لم ينتصر على ابنه حتى استعان بالسلطان فاعانه وغلبه وفعل

بابنه مافعل السلطان بولده وفى سنة ٧٨٨ ذهب الى أدرنه وجاءه الخبر بفتح صوفيـه بمعرفة أينجه بلبانجق أحـد قواد الشجعان فى الحدود ثم جاءه الخبر بان على بك بن قرمان مدّ يده على أخذ ماسبق مشتراه من حسين بك بن حميد المتقدم ذكره فأسرع السلطان بالذهاب اليه بعساكر روملى وبوصوله الى قونيه أسر على بك المذكور وشتت شمل أعـوانه فطلب العفو فعفا عنــه وعاد وفى سـنة ٧٨٩ اتخذ ملك الصرب لازارى مشغولية السلطان بحرب على بك فرصة لنقض العهد واتفق مع حكام المسيحيين بعـد ان أغراهم بأن السلطان لا يستطيـع المقاومة مع اشتغاله بابن قرمان فاستولوا على بعض بلاد فارسل اليهم السلطان شاهين باشا بعشرين ألفا وكان واليا سلستره واشقودرة اللذان سبق تسليمهما بلادهما برضاهمـا للسلطان وكافأهمـا بتعيينهما واليـين على بلادهما متفقين سرا مع لازارى فبوصول شاهين باشا الى بوسـنه أسرعا بمقابلتـه تملقا ورجع لازارى بعسكره الى بلاده فأمر شاهين باشا عسكره بالنهب من بلاده كما تعدى بنهب بلاد الدولة فتفرقوا عنـه واذا بحاكم اشقودرة أرسل من يخبر لازارى ملك الصرب سرا بأن شاهينا باشا لم يكن معه من العساكر الانحو ألف فاتحد لازارى مع ملك بوسنه وهجما على شاهين باشا فقتلوا أكثر من معه وخمسة عشر ألفا من العساكر المتفرقة ونجا شاهين باشا بكل صعوبة وهذا الاتفاق الخامس ضد العثمانيين وفى الاثناء التمس امبراطور القسطنطينية من السلطان قبول زواج بناته الثلاث احداهن له والاثنتان لولديه بايزيد ويعقوب لربط القرابة بينهمافقبل منه ذلك وأجرى رسوم الافراح فى صحرا يكى شهر واذا بخبر شاهين باشا الآنف ذكره أتاه ففى الحال أرسل على باشا الصدر الأعظم بثلاثين ألفا وذهب هو أيضا على أثره بفرقة عظيمة من العساكر ففتح الصدر الاعظم قلاع براوادى وترنوى وشمنى ثم استقبل السلطان وفى سنة ٧٩٠ طلب السلطان صوجماتو حاكم ينكى بولى وسلستره المسيحى الى الجيش السلطانى كالعادة فتوهم ان هزيمة شاهين باشا ماهى الا من ضعف الدولة فاظهر مافى ضميره من العصيان وأبى عن الحضور فذهب اليه على باشا

الاتفاق الرابع

الاتفاق الخامس

الصدر الاعظم وحاصر ينكى بولى فطلب الامان و وسطه لدى السلطان فى العفو عنه على شرط تسليم قلعة سلستره فقبل بشرط ان لايعصى مرة أخرى و بعد ذلك غدر فلم يسلم القلعة وعصى فأرسل اليه الصدر الاعظم ثانيا بقوة عظيمة فاستولى على قلاع درفجيه وخيرهرار وخروات من ولايته ثم ذهب الى سواحل نهر الطونة وأما صوجماتو فانه تحصن فى قلعة ينكى بولى قليلا ثم طلب الامان و وسط الصدر الاعظم فقبل وعرض الامر على السلطان فعفى عنه وردّ له كافة أمواله وفقط عزله عن وظيفته حتى لا يعصى مرة أخرى وفى حرب قوصوه الشهيرة فى سنة ٧٩١ سعى لازارى ملك الصرب لدى حكام وملوك المجر وجهتان و بولونيه وبوسنه والبانيا وخروات وغيرها من سائر الحكومات المسيحية المجاورة للاتفاق ضدّ العثمانيين فجمعوا جيشا نحو المائتى ألف لاخراجهم وطردهم من أقاليم أوربا فاسرع السلطان بجلب عساكر الاناضول اليه بقيادة أولاده وباقى عظماء الحكام والضباط وفى يوم الثلاث ١٥ شعبان من هذه السنة اشتبكت الحرب فى صحراء قوصوه وكانت هائلة فحصل كرب عظيم للمسلمين من كثرة عساكر المتحدين فى أول الامر وبعد الصبر والاقدام حمل بايزيد بن السلطان بفرقته على الاعداء حملة منكرة فادهشهم وانهزموا شر هزيمة وأسر منهم كثيرون وقتل ملك الصرب (مؤسس العصابة) وبعض من البرنسات لكن أعقب ذلك أسف شديد إذ بينما السلطان يمر بين القتلى والجرحى لرؤية رجاله اذ قام صربى جريح من بين القتلى و أظهر حركة يرى منها ان مراده تقبيل قدمى السلطان بعد ان أظهر اسلامه واذا به قد أخرج خنجرا من ملابسه وطعن به السلطان فى بطنه فمات هو والقاتل فى الحال رحمة الله عليه رحمة واسعه وهو الذى أحدث الراية العثمانية على هيئتها الحالية وكان أولاده ثلاثا بايزيد وساوجى بك ويعقوب شلبى

الاتفاق السادس

﴿ اسماء معاصرى السلطان مراد الاول من الملوك وجهاتهم ﴾

أوربا

قريم .... أوزبك من فاميله جانكيزخان التترى ثم جان بك ثم روس بك ثم سيد مراد خان .... أمراء

روسيه ... الكسندر الثانى ثم برنس الوان الاول بعد انضمام دوقة موسقو. ملوك

فرنسا .. شارلى ثم انقسمت قسمين ارمنتاس من درليان وبرغون .... دوقات

قاستيل .. ترستامار الثانى دوق ثم هنرى ثم جان الاول

انكلترا .. برنس نوار ثم ابنه رشياد الثانى وبعد خلعه هنرى الرابع

بوهميا ... الفونس الرابع

المانيا ... شارلى من فاميلية لوقسمبروغ ثم ملك بوهميا ثم ابنه وان سلاس الخامس

اسقوجيا . روبرق الثانى ثم استوار روبرق الثالث ثم البرنسيس جاقه ثم ألحقت الى دوقية البانى

دانمرك ... الملكة مرغاريت

نروجيا .. «

اسوجيا .. «

ايطاليا .. كانت منقسمة جملة أقسام ثم آلت الى البابا بتوا

نابولى ... شارلى دوراى ثم ابنه لادسلاس بوسائط والدته سيلا ثم أخته جان

آسـيا

بغداد ... الشيخ حسن بن الامير حسين ثم أويس بن ايلخان ثم حسين ثم الشيخ على حفيد أويس ثم السلطان حسين ثم السلطان أحمد

أفريقيـــا

مصر ... الملك سفر بعده سيف الدين سالار ثم المنصور أبو بكر ثم محمد بن قلاوون ثم السلطان حسن من الايوبيين

٤ السلطان بايزيد

السلطان بايزيد هو الملقب بيلدرم وسبب تلقيبه بذلك سرعة حركاته الحربية وشدّته على الاعداء وقد ولد فى سنة ٧٦١ وجلس عقب وفاة أبيه فى سنة ٧٩١ وعمره ثلاثون سنه وبويع له بميدان الحرب فى قوصوه ثم قام بالجيش وعاد الى العاصمة وبنى المسجد المشهور باسمه فى بروسة ثم أرسل تيمورطاش باشا الملقب بروملى بيكلربكى الى حدود الصرب وباشابك الى أسكوب وفيروزبك الى ودين أما تيمورطاش فانه استولى على بعض من بلاد الصرب فطلب ملكه الجديد أن يكون تابعا للدولة العثمانية وتزويج أخته المشهوره بالجمال المسماة مليحه للسلطان بايزيد فقبل منه وبعدها ذهب الباشا المذكور الى بوسنه وفيروزبك الى افلاق ثم عاد بالغنائم الى بروسه وفى سنة ٧٩٢ هاجم على بك بن قرمان البلاد العثمانية ثم خاف وهرب فذهب السلطان الى قونيه فحاصرها فطلب أهلها ان يكونوا تبعا للسلطان بايزيد وسلموها له فعلا وأحيلت ادارة هذه الجهات الى تيمورطاش باشا وكذا البلاد المجاورة مثل أقشهر وغيرها وألحقت بالممالك العثمانية ثم ان على بك طلب الامان فقبل منه السلطان وأعطى له جهات لارنده وايج ايل وتوابعهما وعاد السلطان الى بروسه وفى سنة ٧٩٣ اعتدى كوتورم (من ملوك الطوائف) حاكم قسطمونى على البلاد العثمانية المجاورة له بالاناضول واعتدى حاكم الافلاق على بلاد الدولة بروملى فى آن واحد فأسرع السلطان بالذهاب الى افلاق وبوصوله طلب الحاكم المذكور العفو والامان فعفا عنه وفى أثناء ذلك هجم على بك بن قرمان على تيمورطاش باشا على حين غفلة فأخذه أسيرا ومعه كثيرين أيضا فلما بلغ الخبر السلطان أسرع بالذهاب اليه فتعجب الناس من سرعة وصوله مع بعد المسافة فلقبوه بيلدرم أى الصاعقة وأما على بك فانه أسرع بالهروب من شدّة الخوف فانكب به فرسه وأخذ أسيرا وأعدم وسجن ابنه محمد بك فى بروسه وفى سنة ٧٩٤ تعدى برهان الدين رئيس قبائل جانكيزخان الباقين فى جهات

قيصرية وسوَاسْ سكان الخيام النقالة على الحدود فذهب اليـه السلطان بجيشه فهرب الى جهة خربوت فقابله قره عثمان بك حاكم ديار بكر بعسكره و اقتتلا فقتل برهان الدين وهرب أعـوانه فضم السلطان قيصرية وسوَاسْ و توقاد وملحقاتهن الى الممالك العثمانية وعاد الى بروسه وفى سنة ٧٩٥ ذهب الأوردى الهمايونى الى قسطمونى لتأديب كتودم السابق ذكره الذى مات قبل وصول الجيش اليه وهرب ابنه اسفنديار الى قلعة سينوب وضمت قسطمونى وصامسون وما حولهما الى الممالك العثمانيــة ثم هرب اسفنديار المذكور والتجأ الى تيمورلنك المشهور حاكم عموم فارس وخراسان و أفغان وسمرقند وغيرها وفى سـنة ٧٩٦ اتفق حكام الونديك و الافرنج والجنويز برا وبحرا على محاربة العثمانيين (وهو الاتفاق السابع) فأرسلوا سفنهم الى سلانيك ومنها تجاوزوا الحدود العثمانيـة فذهب السلطان اليهم وانتصر عليهم برا وبحرا واستولى على قلعة سلانيك ويكى شهر وتوابعهما ثم عاد الى بروسه وفى سـنة ٧٩٧ اتفق بالولوغوس امبراطور القسطنطينية مع المجر والصرب وفرنسا على العثمانيين فغضب السلطان وأخذ الأوردى الهمايونى وحاصر القسطنطينية وضرب الاستحكامات بالمنجنيقات لكن عبر ملك المجر ومن معه نهر الطونة وهجم على صوفيه وودين ويكى بولى فاضطر السلطان لترك محاصرة القسطنطينية وذهب بجيشه لمحاربة المتفقين وتقابل الجيشان بجوار الاجه حصار واقتتلا قتالا شديدا وأخيرا انتصر السلطان وانهزم عساكر المجر وفرنسا وباقى المتفقين وهرب ملك المجر بحالة صعبة وقتل من الطرفين ثمانون ألفا وعاد السلطان فى أواخر سنة ٧٩٨ وفى سنة ٨٩٩ أرسل السلطان تحسين بك بن تيمور طاش باشا طليعة الى الاستانة فبوصوله الى سواحل البحر الاسود استولى على حصار شيله ثم وصل الاوردى الى بوغاز البسفور فأنشأ هناك حصار الاناضول فخاف الامبراطور وأرسل للسلطان هدايا ونقودا وعرض عليه دفع الجزية سنويا وعجل بدفع جزية السنة وتعهد بعدم الغدر وعدم الاتفاق مع أحد على الدولة ثم اقترح الصدر الاعظم إضافة الشروط الآتية على تلك المعاهدة

الاتفاق السابع

وهى اسكان المسلمين بالاستانة ببعض محلات معينة وبناء مساجد لهم وضرب نقود باسم السلطان فقبل الامبراطور ذلك ونفذه فعلا وفى سنة ٨٠٠ أرسل أمير بخارى للسلطان بايزيد سيفا على سبيل الهدية والتعظيم وكذلك أعطى الخليفة العباسى الموجود بمصر للسلطان لقب وعنوان (سلطان أقاليم الروم) ثم استولى على مقدونيه ومورا وأتينه وقلعة طرحان وهدّد فرنسا والمجر وأما الاناضول فان تيمورطاش باشا ألحق ملاطيه وكردستان وسيودك وكاح وغيرها بالممالك العثمانية فى سنة ٨٠١ وفى سنة ٨٠٢ استفحل أمر تيمورلنك الاعرج الآنف الذكر المشهور الذى هو من أولاد الامير جوبان ومعناه الغنام وصار يسلب بلاد الاسلام بآسيا الوسطى من أيدى ملوكهم حتى وصل الى بغداد وعراق العرب فهرب حاكمهم السلطان أحمد جلاير من شره وكذلك هرب حاكم أذربيجان قره يوسف والتجآ بعائلتيهما الى السلطان بايزيد فارسل تيمورلنك الى السلطان بايزيد سفيرا بتسليمهما اليه فأبى ورجع السفير خائبا فغضب تيمورلنك وفى سنة ٨٠٣ هدم قلعة سواس وقتل ارطغرل بك بن السلطان بايزيد محافظها واستولى على ملاطيه واعطاها الى قره عثمان ثم ذهب الى الشام ضد السلطان برقوق سلطان مصر واستولى على قلعة حلب ومدينتى حماه وحمص وقلعة بعلبك ثم وصل الى دمشق فقابله وكيل سلطان مصر بجيشه واقتتلا قتالا شديدا فانتصر تيمورلنك أخيرا ثم خرب قلعة النجق وما حول ماردين وبغداد ثم ذهب الى تبريز وفى أثناء ذلك ضبط السلطان اذربيجان التى كانت من أملاك طاهر الدين الكردى تحت حماية تيمورلنك وسلمها لقره يوسف وفى سنة ٨٠٤ زاد تيمورلنك فى التسلط على الاملاك العثمانية يوما فوق يوم فدعاه السلطان بايزيد للحرب فحضر ومعه عشرين أميرا مستقلين تحت حمايته بينهم أمراء شروان وأمير كيلان وديار بكر وكردستان وبدخشان وخان تركستان الى انقره وأراد أخذ قلعتها من يد يعقوب بك محافظها واذا بالسلطان بايزيد وصل بجيشه الى (توقاد) أمام جيش تيمورلنك ففى يوم الجمعة ١٩ ذى الحجة من العام المذكور ابتدأ بالقتال

وكان جيش تيمورلنك سبعمائة ألف (١) وجيش السلطان بايزيد مائة وعشرين ألفا فلما رأى العساكر التتر الموجودون ضمن جيش بايزيد ان جيش تيمورلنك تترا مثلهم تركوا بايزيد وانضموا الى جيش تيمورلنك وكانوا خمسين ألفا فانهزم جيش بايزيد واشتغل الامراء بتخليص أولاده وأما هو فلم ينهزم ولم ييأس من النصرة بل صعد مع خواص رجاله على ربوة اما تيمورلنك فانه أرسل محمودخان من نسل جنكيزخان بفرقة للقبض على بايزيد فلما وصل اليه انكب فرس بايزيد به قضاء وقدرا فاخذ الى تيمورلنك أسيرا فاهتم بالسؤال عن أولاده فارسل تيمورلنك رسلا للبحث عنهم واحضارهم فلم يجدوا سوى موسى شلبى فابتلى بايزيد بمرض الصدر والخفقان وبعد أربعة أشهر من أسره مات فى يوم الخميس رابع شعبان تلك السنة بالغا من العمر أربعة وأربعين سنة فارسل تيمورلنك جنازته مع ابنه موسى شلبى المذكور الى بروسه ودفن بجوار مسجده المعلوم بها رحمه الله رحمة واسعة وكان أولاده سليمان شاه وموسى جلبى وعيسى جلبى ومحمد جلبى وقاسم جلبى ومصطفى جلبى وأرطغرل بك الذى قتله تيمورلنك كما مر

وقائع الاثنى عشر سنة الفاصلة بغير سلطان

لما حصل أسر وموت السلطان بايزيد كما مر حصل اختلال كلى فى الممالك العثمانية وتزاحم أولاده على السلطنة فنهم سليمان شاه ذهب فى سنة ٨٠٥ الى بروسه واستولى على الخزينة ثم ذهب الى أدرنة وجلس على كرسى السلطنة بغير مبايعة خلافا للمعتاد لكن ظهر بالاناضول كثيرون يريدون الاشتراك فى السلطنة حتى من لم يكن من العائلة السلطانية خصوصا أولاد قرمان فانهم اغتصبوا جهة قونيه وأما عيسى جلبى فانه اختبأ فى جهة بروسه وأما محمد جلبى فانه ذهب الى اماسيه وصار يدافع عن البلاد من الاعداء الخارجية وفى سنة ٨٠٦ ذهب

(١) هكذا الاصل وربما لايبلغ هذا القدر

سليمان شاه خوفا من تيمورلنك الى الاستانة وقابل الامبراطور واتفق وتحالف معه على الدفاع وفى نظير ذلك ترك له بعض مدائن بملحقاتها ورهن ابنه قاسما عند الامبراطور وفى أثناء ذلك ذهب موسى جلبى الى روملى من قبل محمد أخيه فعاد سليمان شاه الى أدرنة مسرعا وطرد أخاه موسى المذكور الى افلاق ثم عاهد جمهورية الونديك وأراد العودة الى الاستانة فى سنة ٨٠٩ فقتل من يد بعض العساكر ولم أقف على الكيفية تماما وفى سنة ٨١٠ حضر موسى جلبى بمساعدة أخيه محمد وحاكم افلاق الى روملى ثانيا وفى سنة ٨١٣ ضبط أدرنة ولم يعارضه على باشا الذى كان وزيرا لابيه ثم لاخيه سليمان شاه وفى سنة ٨١٤ مات الوزير على باشا المذكور وتولى الوزارة ابنه ابراهيم باشا وفى سنة ٨١٥ رأى موسى جلبى ان أكثر أمراء وأعيان العثمانيين ميالون لاخيه محمد وقام بظنه ان نتيجة ذلك مهاجمة الاعداء فأخذ جيشه وضايق الاستانة فطلب الامبراطور من محمد جلبى مددا له مع اشتداد الاختلال بالاناضول فترك موسى مضايقة الاستانة ووضع جيشه فى ويزه وعزم على الاستقلال والجلوس على كرسى السلطنة أما محمد أخوه فان أعيان وأمراء العثمانيين مثل أولاد أورنوس بك وميخال بك بايعوه وقابلوا بجيوشهم موسى وطلبوا منه ان يسلم لاخيه محمد السلطنة فابى فاقتتلوا فقتل هو وانهزم جيشه وأما عيسى فانه لما خلا له الجو لمشغولية أخيه محمد فى حروب روملى ضبط بروسه بمعاونة تيمورطاش باشا وأقام بها حاكما مدة ثم ان أخاه محمد ذهب اليه فى سنة ٨١٦ وشتت شمل عساكره وقتل هو أيضا وفى هذا العام دعا تيمورلنك محمد جلبى فارسل اليه الخوجه بايزيد صوفى بالنيابة عنه وفى سنة ٨١٧ عاد الى روملى وأعلن الجهات بجلوسه على عرش السلطنة

٥ السلطان محمد جلبى الاول

ولد هذا السلطان فى سنة ٧٨١ وتولى فى سنه ٨١٧ بالغا من العمر خمسة وثلاثين

سنة وفى هذه السنة ذهب قاسم بن سليمان شاه الذى كان مرهونا عند امبراطور الاستانة الى جهة افلاق للاستيلاء عليها بمن معه من اخلاط الناس فأرسل اليه السلطان عسكرا شتتوا شمل أعوانه وأسروه ولعدم ميله للسلطان بالنسبة لما حصل أتلف عينه واعطى له ولاخته ما يقوم بكفايتهما من الجفالك فى جهة بروسه وأمر باقامتهما فيها وفى هذه السنة هجم اولاد قرمان على بروسه فسار اليهم السلطان فأوقدوا فيها نارا وهربوا الى بلدهم فذهب اليهم السلطان وأخذ من بلادهم مدائن اقشهر ويكى شهر وسيدى شهر ومراكز سعيدايلى فقابلوه بقتال فلم يثبتوا وهرب كبيرهم وأبقى ابنه مصطفى بك فى القلعة فحاصرها السلطان ثم مرض هناك بعلة القلب والخفقان ولما طال الحصار كاتب بايزيد باشا الوزير بن قرمان بالحضور والصلح ووعده بمايسره فحضر ابن قرمان والد مصطفى بك المحصور بالقلعه فلما قرب من الجيشين فما كان من بايزيد باشا الوزير المذكور الا انه هجم عليه ليلا وقبض عليه وأحضره الى السلطان فقبل أقدامه وحلف له يمينا على أن لايعود فعفا عنه وأعيد الى حكومته ورد له بلاده سنة ٨١٨

محاربة مجر وافلاق

فى سنة ٨١٩ غدر حاكم الافلاق المسيحى وعصى السلطان بدسائس واتفاق من ملك المجر فاضطر السلطان الى الذهاب اليه ولما رأى الحاكم كثرة جيش السلطان خاف وطلب العفو على أن يدفع ذخيرة ثلاث سنوات فقبل منه وسحب جيشه وذهب به الى بلاد المجر فلما وصل ونظر الملك كثرة الجيش أرسل الى السلطان ثلاثة أمراء من عائلته بهدية عظيمة طلبا للصلح متعهدا بعدم غدره مرة أخرى فقبل ورجع وفى سنة ٨٢٠ أظهر قاسم بك بن اسفنديار مودته للسلطان فانعم عليه بايرادات (طوسيه) وكنغرى وباقركوره سى وقسطمونى من ملحقات ولاية قسطمونى وأشعر أباه اسفنديار بذلك ثم ان اسفنديار أرسل وزيره محمد الواعظ

بهدايا الى السلطان واستعطفه بعدم تنفيذ هذا الامر حيث ان مدار معايشه على قسطمونى و باقر كوره وانه غير راض عن ابنه قاسم المذكور فبناء عليه اكتفى السلطان بكنغرى لقاسم بك وقبل طلبات أبيه وفى سنة ٨٢١ حصلت زلازل هائلة فى جهات قسطمونى وبروسه وامتدت الى حدود اماسيه وتوقاد واستمرت ثلاثة أشهر واضطر الاهالى الى الاقامة بالاودية وأعقب ذلك حصول محاربات ومنازعات وفتن بين ملوك الطوائف المجاورين لبلاد الدولة وفى سنة ٨٢٢ ذهب السلطان بجيشه الجرار الى اماسيه التى هى مستقر ولاية ولى عهده مراد فخاف رؤساء الفتن وانكمش كل منهم ولزموا الحياد وضبط بلاد صامسون وألحقها بالبلاد العثمانية وتصادف حصول فساد من قبيلة منت بك من طوائف التتر فى صحراء اسكليب فلقطع الفساد صار نقلهم الى روملى واسكانهم فى تتار بازارى من ملحقات فلبة وعاد السلطان من أدرنه الى بروسه وبنى بها مسجدا ومدارس وأبنية خيرية كثيرة ثم أرسل السلطان أمور بك بن تيمور طاش باشا بعساكر كافية لاسترداد هركه وككبوزه وداريجه وقارتال وبنديك وسائر الجهات من يد امبراطور الاستانة وفى سنة ٨٢٣ ظهر رجل يسمى مصطفى يورك ليجه وهو الذى كان كتخدى للشيخ بدر الدين قاضى عسكر فى مدة موسى جلبى وقت الفتنة الماضية وادّعى انه خليفة الشيخ بدر الدين وجمع من الاهالى البسطاء نحو عشرة آلاف نفس ورغب استقلاله فى جهة ايدن وكان الشيخ بدر الدين مقيما فى أزنبيق وله ألف أقجه (١) شهريا فقام من هناك خوفا من التهمة فى اشتراكه مع مصطفى المذكور وذهب الى جهة حاكم افلاق بواسطة ابن اسفنديار فأمر السلطان ابنه وولى عهده مراد والى اماسيه بضبط مصطفى المذكور ورفيقه (طورلق هو د كمال) والتنكيل بهما فأرسل ولى العهد بايزيد باشا طليعة له ومضى هو على أثره فضبط هو مصطفى المذكور فى قره بيرون كما ضبط بايزيد باشا (طورلق هو د كمال) المذكور فأعدماهما وشنقا من معهما

(١) الاقجه عملة تركية فى ذلك الوقت

وقتل الشيخ بدر الدين بالصلب بناء على فتوى شرعية وعاد السلطان محمد الى أدرنة وبعد ثلاثة أيام اعتراه داء النقطة وهو على جواده فانكب عن فرسه ومات في أوائل سنة ٨٢٤ رحمه الله تعالى رحمة واسعة ومدفنه ببروسه بقرافة يقال لها جيلار مزارلغى وكان له من الاولاد خمسة مراد ومصطفى وأحمد ويوسف ومحمود أما أحمد فمات فى حياة أبيه وأما يوسف ومحمود فانهما ماتا بالطاعون فى بروسه وأما مصطفى فقتل شهيدا كما يأتى ولم يخلفه فى السلطنة الا السلطان مراد الآتى ذكره

﴿ أسماء معاصرى السلطان محمد شلبى وجهاتهم ﴾

أوروبا

روم ...... باله لوغ مانويل امبراطور الاستانة

فرنسا ...... شارلى السابع .... ملك

انكلترا ..... هانرى السادس .... ملك

دانمرك ..... قرستوف الثانى وبعده قرستوف الثالث .... ملوك

المانيا ...... شارلى الرابع .... امبراطور

اسوج ونروج . ماركو الثانى .... ملك

بورتغال .... زان ثم ادوارد .... ملوك

نابولى وسجليتين الفونس الخامس .... ملك

سردينا ..... أمده تورنيا ثم أمده الثامن .... ملوك

روسيا ...... البرنس واصيل الثانى ابن ديمترى أمير موسكو

مصر .... الملك المظفر أحمد ثم بعده الملك الصالح برسباى

آسيا

الحجاز واليمن .. حسن بن عجلان ثم ميشا بن محمد العجلانى ثم بعده على بن عنان جميعهم من بنى قتاره .... أمراء

بغداد ...... السلطان أحمد .... أمير
اذربيجان ... قره يوسف .... أمير
كردستان .... السلطان خليل .... أمير
سمرقند ..... الظاهر عيسى ثم تيمورلنك ثم بعدهما السلطان حسين
والسلطان خليل .... أمراء
خراسان ..... الشاه رخ ميرزا .... أمير
كرجستان وشيروان الشيخ ابراهيم والسلطان خليل .... أمراء
بلاد العجم ... الشيخ حنفي والشيخ صدر الدين والخواجه علي والسلطان
جنيد والسلطان حيدر .... أمراء
أرمنستان .... ميرزا عمر .... أمير

٦ السلطان مراد الثاني

ولد هذا الملك في سنة ٨٠٦ وجلس على سرير الملك في سنة ٨٢٤ بالغا من العمر ثماني عشرة سنة وجعل مقر سلطنته (بادرنه وبروسه) وفي أول جلوسه أرسل اليه أمير بخارى سيفا كما أهدى لجدّه السلطان بايزيد ثم أنه اجتهد في اصلاحات الداخلية وعقد صلحا مع الحكومات المجاورة لكن أراد امبراطور الاستانة أن يشغله فاتفق مع من يدعى مصطفى دوزمه على أن يدّعى أنه هو مصطفى شلبي ابن السلطان بايزيد الذي اختفى خبره في واقعة تيمورلنك مع السلطان بايزيد وانه هو الاحق بالسلطنة ثم ان مصطفى المذكور ذهب من كاليبولي الى سيروز وأعلن الجهات بسلطنته فاتبعه كثيرون من أعيان روملي منهم أولاد أولاد أورنس بك وميخال بك السالف ذكرهما باوائل هذا الكتاب وهجم على عساكر السلطان مراد بجهة أدرنه بقيادة الوزير الاعظم بايزيد باشا فظفر مصطفى المذكور بالوزير المذكور ثم اتخذه لنفسه وزيرا ثم قتله في سنة ٨٢٥ وكان السلطان مراد في هذا الوقت مشغولا بالاناضول لدفع فساد أولاد قرمان فلما وافاه هذا

الخبر اهتم بتداركه فأخـذ فى تجهيز جيش واذا بمصطفى المذكور توجه بجيشه الى بروسه فتقابل الجيشان بمدينـة أولوباد وكان جيش مصطفى خمسين ألف فارس وعشرين ألف بياده غالبهم من العرب وكان عساكر السلطان مراد لايزيدون عن العشر فدبر السلطان ووزراؤه وبالاخص عوض باشا ان يفهموا أعوان مصطفى المذكور الحالة وان هذه فتنة من امبراطور الاستانة فتفرق عنه جيشه أفواجا حتى فارقه وزيره الاعظم جنيـد فهرب مصطفى المذكور منخذلا الى كليبولى ونال من المشاق والصعوبات مالا يكيف وأسرع السلطان فلحقه فى سـنة ٨٢٦ وقبض عليـه بكليبولى المذكورة وصلبه بادرنه فخاف الامبراطور وأرسل فى الحال السفراء الى السلطان يبلغونه ان الامبراطور مخلص له فردهـم السلطان وجهز جيشا وهاجم به الاستانة فاغرى الامبراطور مصطفى جلبى أخا السلطان وأولاد قرمان فأمدوه وكان شابا فاستولى على أزنيق وكاد السلطان يستولى على الاستانة واذا بخبر أخيه وصله فاضطر لترك الاستانة وذهب بجيشه الى أزنيق وقبض على أخيه وأعدمه ودفن بجوار أبيه ببروسه وفى سنة ٨٢٧ استراح السلطان بادرنة وندم على قتل أخيه واشتد غضبه على الامبراطور وأولاد قرمان لتسببهم فى هذه الفتنة وفى سنة ٨٢٨ اعتدى ابن اسفنديار على الممالك العثمانية فذهب اليه السلطان واسترد منه ما أخذه وأدبه باخذ ممالكه عدا سينوب وما حولها ثم انه التمس من السلطان ان يتزوج بابنته فقبل منه وتزوّج السلطان بها وفى أثناء ذلك اتفق دره قولا حاكم افلاق مع الالبانيين وأروام موره ضـد الدولة وتجاوزوا الحدود ففى الحال أرسل السلطان الى المذكورين جيوشا فشتتوا شملهم فاظهر دره قولا التندّم ورهن أولاده للسلطان على عدم العودة الى مايكدر وفى هذا العام زوج السلطان اخواته الثلاث احـداهن لقاسم بك بن اسفنديار والثانية لقره جه باشا أمير أمراء الاناضول والثالثة لمحمود جلبى بن ابراهيم باشا الوزير الاعظم وفى سنة ٨٢٩ اهتم السلطان باصلاحات الداخلية واذا بخبر عصيان (قره جنيد) حاكم أزمير اتاه فأرسل اليـه تحسين بك بجيش فظفر به وقتله

وفى سنة ٨٣٠ أستولت دولة الونديك على سلانيك وجدّد السلطان المعاهدات مع ملكى المجر والصرب وسائر الحكومات المجاورة عدا حكومة الونديك وفى هذا العام ظهر شخص يدعى قزل قوجه مع اخوته الثلاث من طائفة التركمان وجمعوا كثيرين من الاشقياء واستولوا على اماسيه وتوقاد وما حولهما فأحال السلطان على يوركج باشا ازالتهم و تخليص البلاد منهم فكتب لهم مكتوبا مآله أنهم اذا حضروا لديه وذهبوا سوية للاستيلاء على ولاية (جانيك) فالسلطان يكرمهم ويعينهم ولاة فلما وصل لهم هذا المكتوب عزموا على الحضور لا للغرض المذكور بل لغرض الفتك بهذا الباشا والاستيلاء على ولايته وأمواله فلما أحس الباشا بما نووا عليه تمارض وأرسل ابنه لاستقبالهم وبحضورهم أظهر لهم الترحيب وأعدّ لرئيسهم مسكنا فاخرا ولاعوانه وأتباعه واخوته مساكن أخرى ولما أتى الليل هجم عليهم الباشا على غفلة وأهلكهم فى مساكنهم وتشتت الاشقياء الاخلاط بغير حرب وفى سنة ٨٣١ زار السلطان يعقوب بك بن كرميان أحد الامراء المستقلة فاندهش مما لاقاه من لطافة السلطان واكرامه اياه وعدالته فى الاحكام ونحو ذلك من الخلال الجميلة فلما عاد الى مملكته أوصى بالحاق ممالكه بممالك الدولة العثمانية بعد وفاته وتوفى فى السنة التالية بلا ولد ونفذت وصيته وأراد أن يستريح السلطان فى ادرنه واذا بخبر هجوم ملك المجر على قلعة (كوكرجنلك) وافاه فعين اسحاق بك حاكم بلاد لاس ومعه أمراء روملى لذلك فاحاط بجيش ملك المجر بجهة (سمندره) ثم أخرجهم وساقهم وشتتهم الى بلادهم وقبل ملك الصرب ان يدفع الويركو من جديد وأنعم السلطان على ابراهيم باشا جاندرلى الوزير الاعظم لحسن خدمته للدولة وصدق نيته لها برتبة (خان) غير انه أتاه الاجل الموعود فمات وعين بدله ابنه خليل باشا وفى سنة ٨٣٢ ذهب السلطان الى سلانيك وحاصر قلعتها أربعين يوما ثم استولى عليها وفى أثناء ذلك هدم أسطول (الونديك) قلعة الدردنيل ثم عقد الصلح وفى سنة ٨٣٣ ظهر فى بروسه وباء عظيم ثم زلزلة ثم قحط فمات كثيرون ومنهم أولاد السلطان

وفى سنة ٨٣٤ رغب أهالى يانيا الحاق بلادهـم بالممالك العثمانية فقبل منهـم السلطان ذلك وفى سنة ٨٣٥ حصل من قاستريونان حاكم جهة من بلاد البانيا حركة عدوانيـة فذهب اليه سنان باشا أمير أمراء روملى فأخـذ أولاده أسراء واستولى على ملـكه وفى أثناء ذلك حصل الاعتداء من المجر فذهب اليه المذكور وشتت شمله وفى سنة ٨٣٦ طلب الملك سجليسموند ملك المانيا الجديد المعاهدة بترك المحاربة فقبل منه السلطان على شرط دفع الغرامة الحربية وفى سنة ٨٣٧ لم تحصل وقائع تذكر وفى سنة ٨٣٨ اتحد ابراهيم بك بن قرمان مع ملـكى المجر والصرب على معاداة السلطان فذهب السلطان اليــه أولا وشتت شمـل أعوانه وهرب هو الى طاش أيل واسـتولى على ممالـكه فطلب الامان والعفو فعفا عنه ورد له بلاده وفى سـنة ٨٣٩ ذهب السلطان الى الصرب للانتقام فأسرع ملـكه بتجهـيز ابنتـه بجهاز عظيم والتمس من السلطان قبول زواجها لنفسه والعفو عما سلف فقبلها منه وعفا عنه اما ملك المجر فانه كان استولى على الاجه حصارى حين اشتغال السلطان بابن قرمان ففى سـنة ٨٤٠ أرسل السلطان اليه (أورنس بك) فطرد عساكر المجر منها وأخذ ملك بوسنه يظهر الانقياد لانه كان معينا لملك المجر فى اعتدائه وفى سـنة ٨٤١ وسـنة ٨٤٢ ذهب السلطان للاستيلاء على قلعة سمندره وأتاه هناك دره‌قوله أمير افلاق فأغضبه السلطان لامر مجهول وسجنه فى كليبولى وسجن ولديه فى قلعة (اكريكوز) وكان طلب حضور ملك الصرب ولاتفاقه مع ملك المجر لم يحضر بل هرب اليـه ففتـح السلطان القلعة المذكورة وضم بعض ممالك الصرب الى ممالـكه ثم عاد الى أدرنة وفى سـنة ٨٤٣ عاد السلطان الى بلاد الصرب وحاصر (بلغراد) عاصمة الصرب وعبرت فرقة من العساكر نهر (صوه) وأدخلت فى بلاد المجر وفى سنة ٨٤٤ انتهز ملك المجر مشغولية السلطان بالحرب فرصـة للمداخلة فى أمر حكومة افلاق فولى أحد أعيانها أميرا لها بدلا عن (دره قوله) المسجون ثم تجاوز الحـد بالاعتداء على بلاد الدولة وفى سـنة ٨٤٥ أرسل السلطان

(فريد بك) أحد الامراء بفرقة من العساكر الى جهة افلاق فهجم عليه وعلى من معه بغتة عساكر افلاق والمجر فقتلوه هو وأكثر من معه وأسروا كثيرين وانهزم الباقى فأرسل السلطان اليهم فرقة أخرى بقيادة (شاهين باشا قوله) فلم يثبت أمام العدو بل انهزم هو ومن معه من أمثاله من جبناء الامراء ولم يثبت الا عثمان جلبى متصرف (كوتاهيه) الشجاع مع قلة فرقته فقاوم العدو لحد الغروب ثم جرح وقتل أكثر رجاله ولفرار شاهين باشا الرئيس العمومى لم يتيسر مقاومة عثمان المذكور ثانى يوم فانتصر المجريون والافلاقيون واستولوا على صوفيه وعبروا بلقان وفى سنة ٨٤٦ لما رأى ابراهيم بك بن قرمان انهزام عساكر السلطان مرتين فى جهة روملى أظهر مافى ضميره من السوء ضد الدولة العثمانية فأرسل صهره حسن بك لتخريب ممالك الدولة فغضب السلطان وذهب اليه فهرب ابراهيم بك الى أيچ آيل وأخذ السلطان بلاده فتوسطت حرمه أخت السلطان فى العفو عنه فعفا عنه ورد اليه بلاده وكان مع السلطان فى هذا الحرب ابنه علاء الدين والى أماسيه وبعودته الى ولايته توفى وفى أثناء ذلك اهتم المجريون بالاتحاد مع بعض حكومات أوربا والصرب أيضا فهجموا على بلاد الدولة بجيش عظيم وقد ظهر أن ذلك ناشئ عن اتفاق ابراهيم بك بن قرمان معهم على محو الدولة العثمانية لتكون جهة روملى لهم والاناضول له ولما وصل هذا الجيش العظيم لحد أدرنه أسرع السلطان بالعودة الى روملى بعد نهو مسألة ابن قرمان كما سبق وسد الطرق من أمام جيش العدو الذى اندهش من كثرته ثم دخل فصل الشتاء واشتد البرد فاضطر الاعداء للرجوع الى بلادهم لكن العساكر العثمانيين لم تدعهم بل سعت خلفهم ولتدرب عساكر العدو على فنون الحرب لم يزالوا على هيئة منتظمة بدون أن ينال العثمانيون منهم شيأ يذكر حتى وصلوا (نيشا) وهناك انقلبوا ولكثرتهم وقلة عدد العثمانيين أحاطوا بهم واشتبكوا بالحرب حتى حميت بينهم فانتصر الاعداء وأخذوا محمد بك جلبى متصرف بولى أسيرا وذهبوا الى بلادهم وعاد العثمانيون منهزمين الى أدرنه ثم أخذ السلطان فى أسباب الاستعدادات الحربية

الاتفاق الثامن

لاخـذ الثار فى ربيـع القابل واذا بملك الصرب أرسل سفيرا مخصوصا للسلطان يطلب العفو عنه وهو يتوسط فى الصلح مع المجر ولملل العساكر العثمانيين والاهالى من توالى الحروب قبل السلطان منه ذلك ومضمون الصلح هو أن الصرب وبوسنه والافلاق يدفعون الجزية للسلطان كما كان وهو يرد قلعة (سمندره) للصرب ويطلق ولدى دره قوله من السجن مع أبيهما ويطلق محمود بك جلبى من الاسر وأن مدة الصلح ثلاث سنوات

اجلاس محمد الفاتح ابن السلطان مراد

فى سنة ٨٤٧ عزم السلطان مراد على التخلى عن السلطنة للاستراحة نظرا لما ألمّ به من الحزن والعناء على موت ولده علاء الدين وبلوغ تعصبات ملوك أوربا المجاورين له ضده الى درجة لا تطاق ورأى ان تولية ابنه بدلا عنـه ربما ترتب عليها راحة للعباد من غوائل الحرب فطلب ولده محمد المذكور وسلم له السلطنة ثم ذهب هو الى مغنيسا بخواص رجاله ومعهم رئيسهم اسحاق باشا ولكون منشأ كراهة الملوك المذكورين ليست لعيوب فى شخص السلطان بل هى كراهة دينية فلم يمض على المعاهدة سـنة كاملة حتى غـدر ملك المجر فى سـنة ٨٤٨ بأيعاز من امبراطور ألمانيا (والبابا) وابراهيم بك بن قرمان رئيس الفساد لظنهـم ان السلطان محمـد لاقدرة له ولا كفاءة على محاربتهم لحداثة سنه ولعدم تدريبـه على الحروب فانضم الى ملك المجر أمراء الصرب وبوسـنه وهرسك وبغدان وجهزوا جيشا يزيد عن ثمانين ألفا ودخلوا بلاد البلغار فطلب السلطان محمد أباه الى أدرنه للاقامة بها وليذهب هو الى ميدان الحرب ثم ان الاعداء قطعوا طريق السلطان مراد بسدّ معبر كليبولى فاضطر للذهاب الى بوغاز البحر الاسود فعبر منه خليل باشا ومعـه الصدر الاعظم وغيره من الخواص وبعض العساكر فوصلوا الى أدرنة وأما عساكر المتفقين فانهم لما وصلوا وارنه صادفهم السلطان مراد بمن معه من الفئة القليلة ودارت بينهم الحرب بصورة هائلة فوقع قرهجه باشا

وكثيرون من الامراء وكبار المسلمين شهداء وتفرقت عساكر السلطان بحالة انهزام أما هو فلم ينهزم بل صعد على ربوة ينتظر نصرة الهية وبعث من ينادى على العساكر المتفرقة بجمعهم اليه ولما رأى ملك المجر السلطان على هذه الحالة أسرع نحوه بجواده هاجما عليه فانتظر السلطان قربه ونادى أن لايقابله أحد فما كان ممن يسمى (قوجه خضر) الا انه هجم على ملك المجر المذكور وقطع رأسه فامر السلطان برفع الرأس مع نسخة المعاهدة على رمح وتشهيرهما بين الجيش بالطبل والمزمار فبهذا وحكمة الله قذف الله الرعب فى قلوب الاعداء فانهزموا بحالة اندهاش فتبعهم المسلمون قتلا مسافة يومين ولم ينج من الاعداء الا القليل ثم عاد المسلمون بغنائم كثيرة وعاد السلطان مسرورا ومعه رأس ملك المجر وجملة أسراء من فرسان المجر المشهورين اللابسين الزرد النضيد فارسل منهم كثيرين للجهات لرؤيتهم والتفرج عليهم ونشر لكافة سلاطين الاسلام بالبشائر ثم طلب من ابنه محمد عودته هو للجلوس ثانيا فأجابه ورجع الى ولايته الاصلية كما ان العسكر والوزراء التمسوا منه ذلك وكان فى سنة ٨٤٩ وفى سنة ٨٥٠ أخذ السلطان مراد فى اصلاحات الداخلية ثم عزم على الانتقام من امبراطور الاستانة حيث ظهرت منه بعض دسائس فى وقائع انهزام العثمانيين الماضية فلم يظهر السلطان غيظه اذ ذاك لكثرة الوقائع وعدم مساعدة الظروف الحالية فذهب بجيشه واستولى على كرم حصار وباللو بادره من ملحقات جزيرة موره ثم ذهب لتأديب الالبانيين فقاوم رئيسهم اسكندر بك وبعد حصار شهرين استولى السلطان على أقجه حصارى التى هى بمثابة العاصمة ثم أدّب باقى العصاة ورجع وفى سنة ٨٥١ دعا وكيل ملك المجر المدعو يانكو جميع أوربا للاتفاق ضد السلطان فاجابوه وهجموا بقوّة وافرة أضعاف عدد جيش واقعة وارنه الماضية فى سنة ٨٤٨ فاسرع السلطان بجمع جميع عساكر روملى والاناضول وذهب بهم الى صوفيه وقد هجم حاكم افلاق على أطراف ينيكى بولى بالتحزب فاتحد محافظها محمد بك بن فيروز بك مع أمراء الحدود وشتتوا شمل الافلاقيين وأخذ منهم أسراء كثيرين وجاء بهم الى السلطان

الاتفاق التاسع

فتفاءل بذلك خيرا وفى يوم الجمعة رابع شعبان من سنة ٨٥٢ اشتبكت الحرب فى (كوس أوده) من وادى (قوصوه) صباحا ومكثت لعصر ثانى يوم فمنّ الله تعالى على المسلمين بالنصر وانهزام الاعـداء وقتل حاكم (بلونيا) وحاكم (جـه) وقاوم ملك المجر لحـد الغروب ثم انهزم فتبعه العثمانيون وقتـلوا منهم كثيرين ثم عاد السلطان الى أدرنه وفى سنة ٨٥٣ زوج ابنه محمدا ابنة (اسفنديار بك) بوليمة فاخرة وبنى الجامع المشهور بثلاث منارات بادرنه وفى سنة ٨٥٤ مات امبراطور الاستانة وجلس قسطنطين (بالولغوس) بدله واسـتراح السلطان مدّة بادرنه ثم خرج يوما الى الصحراء للرياضة وبعودته اعتراه وجع الرأس واشتد به فطلب ابنه محمدا من ولايته مغنيسا ان يحضر على وجه السرعة ثم كتب وصية وأمر الصـدر الاعظم بالتنفيذ واجتهد فى علاجه الاطباء فلم يثمر ومات رحمه الله تعالى فى سنة ٨٥٥ بالغا من العمر ٤٩ سنة وكتموا موته ١٣ يوما حتى حضر ابنه محمد ثم دفن بتربته المخصوصة ببروسه وتصادف تاريخ موته (دعاى خير) وكان أولاده خمسة محمد وأورخان وعـلاء الدين وحسن وأحمد فمات علاء الدين وأحمد فى حياة أبيهم باماسيه ومات حسن وأورخان بادرنه

﴿ أسماء معاصرى السلطان مراد من الامراء والملوك وجهاتهم ﴾

أوروبا

فرنسا ...... لؤلى الحادى عشر شارلى الثامن .... ملوك

انكلترا ..... ادوارد هنرى الخامس من فاميلية يورمن

برتغال ..... جان الاول الفونس الخامس

ألمانيا ...... البرط

روسيا ..... واسيل الثالث يبوان الثالث

المجر ...... سيزسموند

الروم ...... الامبراطور باله لوغ مانويل وبعده ابنه جان باله لوغ

الصرب ..... استفان لازار .... ملك

بابا .... زوليان سزارينه بالتوكيل وبعده قلمان بالاصالة

آسـيا

الحجاز .... المعتضد بالله

عراق العجم ... حسين بك قره حمزه بك معز الدين جهنكير بن على الامير عز الدين الملك محمد

شروان ..... خليل الله.................... أمير

العجم ...... شاه رخ ميرزا علاء الدين ميرزا عبد اللطيف ميرزا

سمرقند...... عبدالله ميرزا ....أمير

الهند وتترستان الكبير وجزء من الشين السلطان محمد السلطان حسين هيوان جونغ أبو الخير من فاملية أخرى

مصر .... المستكفى بالله أبو نصر الخليفة العباسى

٧ السلطان محمد الفاتح

ولد هذا السلطان فى سنة ٨٣٣ وتولى فى سنة ٨٥٥ هجرية الموافق ١٤٥١ ميلادية بالغا من العمر اثنين وعشرين سنة ومدّة سلطنته احدى وثلاثون سنة وبعد جلوسه بمدّة قام ابراهيم بك بن قرمان معاديا وحرك أيضا أولاد كرميان ومنتشا وايدين فهجموا على كوتاهيا وما حولها فعين السلطان من وزرائه اسحاق باشا بدلا من عيسى بك أمير أمراء الاناضول وأعطى له عساكر كافية لمحاربة ابن قرمان وذهب السلطان على أثره فهرب ابراهيم بك ابن قرمان خوفا الى (ايچ ايلى) ثم التمس منه العفو وأنه منقاد لطاعته فعفا عنه وجعل مقر أمير الامراء فى كوتاهيه بدلا عن قونيه للقرب من الحدود ولمنع تعدى أولاد قرمان وكرميان المذكورين وأحيل ذلك على اسحاق باشا المذكور وفى أثناء هذا السفر والعودة

حصـل من اليكجرين بعض نفور ونشوز فعزل السلطان رئيسهم (توقاد بك) وعين بدله مصطفى بك ولما عاد السلطان فى سـنة ٨٥٦ بلغـه أن امبراطور الاستانة طالب مخصصات لاورخان چلبى حفيد سليمان شاه ابن السلطان بايزيد المقيم بالاستانة فغضب السلطان ثم زاد غضبـه لما بلغه ان الأمبراطور ساع فى الاتفاق مع الونديك فعزم على فتح الاستانة وأنشأ (روملى حصارى) فى ثلاثة أشهر وقيل فى أربعين يوما ثم أنشأ مدفعين من نحاس وزن كل منهما ثلثمائة قنطار وجهز المهمات الحربية فى سنة ٨٥٧ وجيش مائتى ألف وحاصر الاستانة برا وفى أثناء المحاصرة جاء اليها الاسطول أيضا بحرا والافرنج الجنويزيون الموجودون بالاستانة أعانوا الامبراطور برا وبحرا ووضعوا جنزيرا حديدا سادا للبوغاز فأمر السلطان بضرب مراكب العدو وضرب الاستانة نفسها بالمدافع وفى يوم الثلاثاء عشرين جمادى الاولى من السنة المذكورة فى الرابع والخمسين يوما من المحاصرة هجـم السلطان بعساكره على الاستانة فدخلوها وخرج الامبراطور من سراية تكفور بعساكر خاصة للمدافعة وهجم على فرقة اسلامية وبيده السيف مسلول فوجد نفرا عربيا مجروحا فأراد قطع رأسه فسبقه النفر العربى الجريح بضربة بسيفه قطع بها رأسه فتم الفتح وقبض على (نوطراس توماس) باش وكيل الامبراطور فسجن هو وأتباعه وأعدم أورخان چلبى ودفن الامبراطور فى المنزل العتيق بميدان وفا ثم سلم أهالى قلعة (سلورى) استيمانا وكذلك الاروام سلموا برغوس (وبوغادوس) بغير حرب وقد مضى من منشأ الاستانه الى يومئذ ألف وخمسمائة سنة ثم ان السلطان غير كنيسة (أياصوفيه) الشهيرة بشكل جامع والافرنج الساكنون فى غلطه بالاستانة المستقلون عن حكومة الامبراطور عرضوا على السلطان قبول تبعيتهم اليه وفى أثناء ذلك اتهم خليل باشا الصدر الاعظم بميـله للامبراطور فعزل وأعدم وعين بدله محمود باشا ثم أقام السلطان (سليمان بك) محافظا بالاستانة وغاد هو الى أدرنه سالما غانما وفى سنة ٨٥٨ قطع ملك الصرب طريق (اسكوب) فذهب السلطان اليـه فخاف منـه وهرب الى بلاد المجر

فاستولى السلطان على قلعة (استرويجه) وحصار (أموله) واكتفى بهذا التأديب وعاد الى أدرنه ثم ذهب الى أينوس التابعة لامبراطورية الاستانة فحاصرها برا ويونس بك بحرا فاستولى عليها وعلى عشرة مراكب حربية وعلى جزيرة (طاشوز) بغير حرب وفى سنة ٨٥٩ مات ملك الصرب الهارب فاستولى السلطان على قلعة (نوه برده) ثم على قلعتى (سربيجه) و(بخورى) وبعض جهات أخرى وزار السلطان مشهد جدّه المرحوم السلطان مراد الاول (بقوصوه) ثم عاد الى الى الاستانة على طريق سلانيك وفى سنة ٨٦٠ ذهب السلطان ومعه قره جه باشا قومندان عموم العساكر العثمانيين الى بلغراد لما بلغه من اتفاق حكومات المسيحيين المجاورين وذلك ان هونياد ملك المجر طلب من حكومات أوروبا تجييش جيش عظيم لطرد العثمانيين من أقاليم أوروبا فأجابوه وجهزوا جيشا يزيد عن ثلثماية ألف فترك السلطان محاصرة بلغراد وعاد الى الحدود وكتب الى جهتى الاناضول وروملى بجمع كل من يقدر على حمل السلاح لان جيشه حينئذ كان مائة وخمسين ألفا وعمل بعض استحكامات فلم يحصل حرب لحصول بعض اختلافات بين المتحدين وكفى الله المؤمنين القتال وفى سنة ٨٦١ لم يحصل اعتداء من أحد فاشتغل السلطان بأعمال وليمة عظيمة لختان ولديه بايزيد ومصطفى وفى سنة ٨٦٢ أراد السلطان الانتقام من المتحدين ضدّه لما تحقق له من شدّة عداوتهم فذهب الى جهة موره من طريق سيروز ويكى شهر واستولى على قلعة (فلكه) وما حولها فطلب الاهالى منه الامان فأمّنهم ثم فتح قلاعا وبقاعا كثيرة منها (منجلق) و(كورفوا) و(طوقاق) ثم ذهب بالجيش الى مدينة (أسكوب) وشتى هناك وأما محمود باشا الصدر الاعظم فانه انتقم من ملك المجر رئيس العصبة بالاستيلاء على جهات (رصاو) و(أموله) و(كروجه) و(برابجه) وغيرها ثم جاء الى السلطان بأسكوب وقد أعطى السلطان رخصة للعساكر بالذهاب الى بلادهم وعاد هو الى أدرنة وفى سنة ٨٦٣ لم يحصل حرب وفى سنة ٨٦٤ ولد للسلطان ولد سماه (جما) وفى سنة ٨٦٥ ألحقت جهات (قسطمونى)

الاتفاق (١١)

و (سينوب) و (طربزون) بالممالك العثمانية وفى سنة ٨٦٦ ذهب السلطان الى افلاق لان أميرها كان ضمن المتحدين ضـدّه فقاوموه و بعد ان قتل منهم سـبعة آلاف هرب الى بلاد المجر فاستولى السلطان على بلاد الافلاق وعـين لهارادول بك أميرا عليها ثم استولى على جزيرة (مدللو) وفى سـنة ٨٦٧ استولى على (بوسـنه) وقلاع (لوقجـه) و (أورحاى) و (يابجه) استيمانا وعلى (هرسك) بمعرفة محمود باشا و أعـدم ملك بوسنه لانه كان صاحب اليـد الطولى فى الاتحاد الضدّى السابق على مافى بعض الروايات وكان ساعيا فى تجديده وفى سنة ٨٦٨ حصل اختلال بواسطة أولاد قرمان فارسل اليهم السلطان (أحمد بك بير) بجيش عظيم فاستولى على حكومتهم وفى سنة ٨٦٩ اتفق (المجر) و (ونديك) مع البعض من حكومات أوربا وأعلنوا الحرب ضـدّ العثمانيين وأغاروا على قلعـة (يابجه) وما حولها فاستولوا عليها وفى سنة ٨٧٠ حاصرها العساكر الاسلامية وانتصروا عليهم وردوها منهم وشتت شمل عساكر المجر وفى أثناء ذلك عصى الالبانيون وفى سنة ٨٧١ صار تأديب العصاة وهرب رئيسهم اسكندر بك وفى سنة ٨٧٢ عزل محمود باشا الصـدر الاعظم عقب واقعـة الالبانيين وفى سنة ٨٧٣ صار الاستيلاء على قلعـة (اغريبوز) و (قزل حصار) وعين السلطان ابنه (جما) واليا على (قسطمونى) وفى سـنة ٨٧٤ تعـدّى حسن خان الطويل حاكم (أذربيجان وكردستان) على الحدود العثمانية فاعيد محمود باشا الى الصـدارة وأرسل بالجيش الى هناك فارسل مراد باشا بفرقة من العساكر طليعة فلم يلبث الا قليلا وقتل شهيدا وتشتت من معه من العساكر ثم وصل محمود باشا على الاثر فهزم حسن خان المذكور وتشتت من معه وفر هاربا ومضى أربع سنين بعدذلك لم تذكر لهم وقائع وفى سنة ٨٧٩ مات مصطفى بن السلطان فى قصبة (بور) وفى هـذا العام وشى بعض أصحاب الاغراض فى حق محمود باشا الصـدر الاعظم فقتل وعين بدله (أحمد باشا كدك) فذهب بالعسكر واستولى على قلعتى (كفه) و (أزاق) فى سنة ٨٨٠ وفى سنة ٨٨١ حصلت حروب كثيرة فى بغـدان

الاتفاق (١٢)

وألحقت ممالك (قوياويج) بالممالك العثمانية بطريق الاستيمان وفى سنة ٨٨٢ صار الاستيلاء على مملكة (اشقودره) (١) وفى سنة ٨٨٣ فتح أحمد باشا كدك الصدر الاعظم كثيرا من ملحقات (ايطاليا) وفى سنة ٨٨٤ ألحقت مملكة (طرول) باذربيجان الى الممالك العثمانية بواسطة سنان بك وفى سنة ٨٨٥ عين مسيح باشا سردارا للاستيلاء على رودس لأمن الطريق وقطع دابر (القرصان) (٢) فلم يتيسر وفى سنة ٨٨٦ وصل الجيش الى مرحلة ككبوزه ثم مرض السلطان ومات رحمه الله تعالى رحمة واسعة فى يوم الخميس الرابع من شهر ربيع الاول وكان أولاده ثلاثا بايزيد الثانى ومصطفى وجم فمات مصطفى فى حياة أبيه كما تقدم

﴿ بيان أسماء الملوك والامراء المعاصرين للمغفور له السلطان محمد الفاتح ﴾

أوربا

انجلترا ..... ادوارد الرابع ادوارد الخامس ريشارد هانرى السابع

فرانسا ...... لوى الحادى عشر ثم بعد عزله شارلى الثامن ثم بعد موته لوى الثانى عشر ابن عم شارلى الذى كان دوقة أورليان

برتغال ..... جان الثانى ثم البرنس بكتيار منويل

نابولى ...... لوى الثالث ثم فرديناند الاول ثم الفونس الاول ثم ابنه الفونس الثانى ثم فره دريك

سجليا ...... فرديناندو

بابا .... أوجن

ألمانيا ..... البرت الثانى ثم فره دريك الثالث ثم ابنه ماقسمليان

الروم ...... الامبراطور قسطنطين دراقوزه

الروسيا .... ايوان الثالث

---

(١) جزء من البانيا

(٢) هم قطاع الطريق واللصوص فى البحر

قاستيل ..... هانرى الرابع ثم الملكة ايزابله

وارغون وغرناته . أبو الحسن

اسبانيا ..... فرديناند الرابع

آســيا

العجم ..... ميرزا أبو سعيد خان ثم بعد قتله ميرزا بايزيد سلطان خرسان ثم بعد موته ابنه محمود شاه ثم بعد خلعه ميرزا ابراهيم سلطان ثم بعد قتله السلطان حسين بهادر

عراق العجم . . الامير حسن الطويل ثم بعد قتله حسين بيقرا

كردستان وتترستان وتركستان الامير ميرزا عبدالله الشيرازى ثم بعد قتله ميرزا السلطان أبو سعيد

الهندستان ... نظام خان

أفريقيــــا

مصر .... الملك الاشرف أبو نصر

أما الخلفاء العباسيون بها فهم

المستكفى بالله ثم بعد موته أخوه القائم بأمر الله ثم بعد خلعه أخوه المستنجد بالله

الحبش ..... سيغون جونغ ففور ثم بعد موته ابنه نبغ جونغ ثم بعد خلعه أخوه كينتى صار امبراطورا ثم بعد موته نبغ جونغ

٨ السلطان بايزيد الثانى

ولد المشار اليه سنة ٨٥١ وجلس سنة ٨٨٦ هجرية الموافق سنة ١٤٨١ ميلادية بالغا من العمر خمسة وثلاثين سنة ومدّة سلطنته احدى وثلاثون سنة وكسور وعاصمته الاستانة ولما توفى والده المرحوم محمد الفاتح كان هو

فى أماسيه فلما وافاه خبر وفاة أبيه أسرع بالحضور الى الاستانة وفى أثناء ذلك حصلت فتنة بالاستانة وذلك ان رؤساء اليكيجريين هجموا على بيوت الوزراء الذين خابروا سرا جما بن السلطان محمد والى قرمان يومئذ بوفاة أبيه لميلهم الى توليته السلطنة وقتلوا محمد باشا قره مانلى الصدر الاعظم فجاء السلطان بايزيد فى مدة ثمانية أيام فلاجل اطفاء الفتنة عفا عن الجميع وعين للصداره اسحاق باشا وفى ثانى يوم من جلوسه بالاستانة احتفل بدفن أبيه بعد أن صلى عليه الشيخ وفا ودفن بجامعه الشهير

وقائع جم أخى السلطان

لما جلس السلطان بايزيد لم يبايعه أخوه جم مع من بايعه من المعتبرين بل جمع كثيرا من أشقياء كرمان وهجم بهم على بروسه فأرسل السلطان العساكر اليكيشاريه بقيادة اياس باشا الى بروسه غير أنه لكراهة أهاليها لليكيشاريين لم يقبلوا اياس باشا بل استقبلوا جما وسلموا اليه المدينة ووقع اياس باشا وكثيرون ممن معه أسراء ثم ان جما استولى على ما حول بروسه أيضا وأمر الخطيب أن يدعو له وجمع كثيرا من العساكر فلما بلغ السلطان ذلك سنة ٨٨٧ ذهب بجيشه من جهة يكى شهر وأرسل من ينصح أخاه وعرض عليه ما يختار غير السلطنه فلم ينتصح فوقع الحرب ولاجل عدم كثرة اهراق الدماء دبر السلطان بايزيد هو ووزراؤه أن يخابروا اللالا يعقوب الذى هو مدبر أمور جم سرا بان يتخلى عنه ووعده وعدا حسنا ففى أثناء الحرب فارق جما وانضم لبايزيد فحصل الضعف فى الحال فى جيش جم وانهزم وفر هو جريحا الى جهة قرمان وبوصوله الى قونيه أخذ أتباعه وخواصه وذهب الى مصر سنة ٨٨٨ من طريق حلب والشام فأكرمه السلطان قايتباى وأما السلطان بايزيد فانه ذهب الى قرمان ولاية أخيه جم وضبطها وعين لها ابنه عبد الله واليا ثم عاد للاستانة وعزل اسحاق باشا من الصدارة ونفاه الى سلانيك وعين بدله داود باشا واشتغل بالامور الداخلية واذا

بخبر أتاه بأن قاسم بك ابن قرمان جمع الاشقياء وضيق على عبد الله فأرسل اليه في الحال مددا برئاسة أحمد باشا بن هرسك فلما وصل هرب قاسم بك الى طرسوس وأرسل جوابا الى جم لما بلغه انه عاد الى مصر بعد أدائه فريضة الحج يقول له ان العثمانيين ساخطون على أخيكم بايزيد فاذا جئتم يمكنكم ان تتحصلوا على سلطنتكم الموروثة فجاء المشار اليه الى حلب جاهلا الحقيقة فاستقبله هناك قاسم بك وقد انضم اليهما كثير من الاعيان والامراء وفي سنة ٨٨٩ خاف السلطان بايزيد من دخول أحمد باشا بن هرسك المذكور في جمعيتهما فامره بسرعة حضوره الى الاستانة بعد ابقاء عبدالله ابن السلطان في قلعة قره حصار خوفا عليه من تعدّى ابن قرمان فعزما على ذلك وقاما فعلا متوجهين الى قره حصار فقابلهما محمد بك الترابزوني بجيشه من قبل جم وابن قرمان فالتقى الجمعان و بعد مناوشة خفيفة ذهب محمد بك المذكور لمحاصرة قونيه أما السلطان بايزيد فانه أسرع بالذهاب اليها وكان السابق اليها جم غير انه بوصول أخيه هرب وقبض على محمد بك المذكور وأعدم وأرسل السلطان بايزيد الى أخيه جم جوابا يقترح فيه عليه اقامته في القدس الشريف مع خواص رجاله للاستراحة وهو يقوم بمرتباته و نصحه أن يقلع عن هذه الافكار الفاسدة فلم يصغ له بل طلب من حاكم رودس سفينة يعبر بها الى روملي فأرسلها اليــه فلما ركبها سار به رئيس السفينة الى رودس فما كان من حاكمها الا انه أرسله الى فرنسا ليعد ذلك منة على السلطان بايزيد و أخذ من الدولة نقودا عظيمة بهذه الوسيلة حيث ان السلطان بايزيد لم يقبل على نفسه منة لاحد ولا غرامة أحد من قبل أخيه و بعد اقامة جم بفرنسا مدة سبع سنين أرسلته فرنسا الى رومه وسلمته للبابا وأقام عنده ست سنوات ولما دخل الفرنساويون الى رومه قتل حاشية البابا جما بالسم فأحضر السلطان جنازته الى بورسه ودفن بالمحل المعروف بمراديه ثم ان قاسم بك طلب العفو من السلطان فعفا عنـه واعطاه جهة (ايج آيل) وعاد السلطان الى الاستانة وذهب منها الى أدرنه لتنظيم أحوال روملي وجدّد المعاهدات مع جمهوريتي (ونديك وراغورة) وفي أثناء ذلك

توفى الى رحمة الله تعالى عبد الله بن السلطان والى قرمان فاضطرب أبوه لذلك ثم استرجع وعين بدله ابنه (شهنشاه) وفى هذا العام أغار السلطان برا وبحرا على بغدان لسبب عصيان حاكمها وساعده على ذلك منيكلى أحد أمراء قريم بخمسين ألف جندى فكافأه السلطان بلقب (خان قريم) وعين بدله ديمترى بك ابن أخى حاكم بغدان العاصى ثم عاد السلطان وقتل أحمد باشا كدك أحد الوزراء لما تلاحظ له من حركاته الغير مناسبه فى وقائع جم وفى هذا العام مات قاسم بك بن قرمان وعين محمد بك من سلالته وجاء السفراء من دول الاسلام ومن دولة الشراكسة بمصر تبريكا للجلوس

تنبيـــه

يوجد اختلاف فى وقائع هـــذه السنوات الثلاث من جهة التقـــديم والتأخير وفى سـنة ٨٩٠ وردت تشكيات من أهالى الاندلس فى حق دولة اسبانيا لكثرة تعـديها فأرسل السلطان بعض عساكر فى سواحلها فأغاروا على بعض الجهات وفى سنة ٨٩١ ازداد النفور بين الدولة العثمانية ودولة الشراكسة المصرية بسبب فرار جم الى مصر وحماية ملك مصر له وفى رواية لتعدّى المصريين على ولاية ذو القدريه التابعة للدولة العثمانية فأراد السلطان بايزيد تأديب مصر فأمر محمد باشا قره كوز أمير أمراء قرمان بان يتحد مع حاكم عشائر ذو القدريه ووالى (ايج آيل) و(مرعش) لهـــذا الغرض فاستوليا على قلاع (سكيسى) و(اياسى) و(ترسوس) وأراد الرجوع واذا بخمسة آلاف من عساكر مصر تعرضوا لهما فالتقى الجمعان وانكسر العثمانيون ثم أرسل محمـد باشا المذكور موسى بك وفرهاد بك بعساكر فغفلا عن الاحتياط فقتلا مع كثير ممن معهما من العساكر فغضب السلطان بايزيد وأرسل داوود باشا الصـدر الاعظم بجيش عظيم وأخذ العشائر الميالة لجهـة مصر تحت طاعة الدولة العليــة ثم وجد ان العساكر المصريين تركوا الحدود وذهبوا الى بلادهم فضلا عن انه بلغه ان فى

روملى احـوالا ذات أهميـة فعاد الى الاســتانة و لتكرار تجاوز المصريين الحدود أمر السلطان فى سنة ٨٩٢ أحمد باشا ابن هرسك السردار صهره وعلى باشا الخادم ان يتحدا مع محمد باشا قره كوز فاتحدوا واستولوا على (طرسوس) و (أطنه) فغضب (قايتباى) سلطان مصر وأرسل جيشا هائلا وفى أثناء الحرب ترك محمد باشا قره كوز أحمد باشا السردار المذكور متربصا ان يصاب فيأخـذ وظيفتـه توهما منــه ان يقلدها فانهزم العساكر العثمانيون وأسر أحمـد باشا وفى سنة ٨٩٣ استردّ المصريون (طرسوس) و (أطنه) وانضم علاء الدولة (١) الى المصريين وقدوصل الشراكسه بعساكرهم الى قيصريه وفى سنة ٨٩٤ اهتم السلطان بايزيد بالتجهيزات الحربيـة ليذهب بنفسه لمحاربة المصريين هـذا ماكان من أمره وأما ماكان من أمر سلطان مصر فانه بوصول أحمد باشا المأسور اليـه أكرمه وأطلق سبيله وأرسله الى الاستانة معززا مكرّما وعرفه أنه لايسره محاربة المسلمين مع بعضهـم ثم توسط عثمان الحفيظى سلطان تونس فى الصلح فحصل الصلح بين مصر والعثمانيين فى سـنة ٨٩٥ وكفى الله المؤمنين القتال

﴿ حادثة غريبــــة ﴾

وهى ان السلطان بايزيد لماجهز الجيش لمحاربة المصريين كما تقدّم فى سنة ٨٩٤ فبوصوله الى (اسكودار) صباحا هاج السحاب فجأة وأظلم الجوّ بريح عاصف ثم تكاثر المطر مثل الطوفان ثم نزلت صاعقة فى معمل البارود بالاستانة فالتهب بسببها ولشدتها جعلت عالى المعمل سافله فانهدم ثلثمائة بيت واختل أربعمائة ومات فوق ألفى نفس وفى سنة ٨٩٧ مات يانكوا ملك المجر بلا ولد فحصل خلاف شديد وفساد كبير وتعاظم ذلك حتى امتدّ الى بلاد الدولة فاخبر حاكم (بلغراد) السلطان بايزيد بأن فريقا من المجر يريدون تسليم قلعتهم للسلطان فذهب السلطان فى الحال الى صوفيه فوجـد أن ملك (بولونيه) صار ملكا على المجر أيضا وان حاكم بلغراد عزل بسبب

(١) حاكم مرعش وما معها السالف ذكره

مخابرة السلطان بذلك فلم يشأ السلطان التداخل ولحصول عصيان الالبانيين بأعانة اخوانهم الخارجين عن حكم الدولة ذهب السلطان هناك وأدب العصاة واستولى على بعض من بلاد الخارجين عن نفوذ وحكم الدولة ثم عاد الى أدرنه وفى سنة ٨٩٨ تعدى المجريون على من بالحدود من العساكر العثمانيين فأرسل السلطان على بك ابن ميخال والى سمندره بعشرين ألفا فانتصر المجريون عليه واستشهد أكثر عساكره وعاد منهزما ثم أن ملك المجر أرسل (درنجيل يانى) ابن أخيه قائد هذا الجيش باثنى عشر ألفا الى بوسنه وانضم معهم حاكم (خروات) بعسكره مع انه كان تحت نفوذ الدولة العلية فقابلهم يعقوب باشا والى بوسنه بجيشه وبعد قتال شديد انتصر عليهم انتصارا باهرا وقتل منهم تسعة آلاف وهرب الباقون فأتبعهم قتلا وأسرا ثم عاد ومعه درنجيل القائد وكثيرون أسراء بغنائم عظيمة فى سنة ٨٩٩ وفى سنة ٩٠٠ أظهر ملك بولونيا العداوة للاسلام ودعا أمير بغدان للاتفاق معه فوافقه فى الظاهر وكان فى الباطن معينا للدولة وبحسن تدبيره انتصر المسلمون هناك على عساكر بولونيا وهرب ملكها منهزما شر هزيمة فاتبعوه حتى دخلوا بلاده وجعلوا أعزة أهلها أذلة ثم عادوا غانمين فى سنة ٩٠١ فكافأ السلطان أمير بغدان على ذلك مكافأة عظيمة وفى سنة ٩٠٢ أرسل السلطان وزيره اسكندر باشا لتأديب دولة (الونديك) فانتصر عليها حتى قارب محل العاصمة فى سنة ٩٠٣ لكن لكونها كانت على شكل جزيرة عجز عن التقدم اليها ثم عاد الى بوسنة وفى هذا العام تجددت المعاهدة التجارية بين الدولة العلية والروسيا وفى سنة ٩٠٤ صارت المعاهدة مع جمهورية الونديك غير انها بتحريكات حكومات ايطاليا غدرت فذهب السلطان بنفسه ومعه احمد باشا بن هرسك لفتح (اينه بختى) بقوة برية وبحرية منها ثلاث سفن حربية طول الواحدة سبعون ذراعا فوصلوا الى سواحلها فوجدوا ان دولة الونديك سدت بوغاز الدردنيل بمائة وخمسين سفينة وفى البر ايضا حصون منيعة بمدافع ضخمة فوقعت الحرب

بحرا بشــدّة فأغرق وأحرق بعض من سفن الدولة ومات نحو خمسمائة جنــدى خلاف بعض الامراء والضباط واخيرا انتصر العثمانيون فى سنة ٩٠٥ ودخلت السفن البوغاز واستولوا على القلعه وشتوا هنالك وأما الونديك فانسفنها استولت على جزيرة (كفالوينه) وأحرقت بعضا من سفن الدولة فى بوغاز بروزه وفى سنة ٩٠٦ فتح السلطان قلاع (متون) و(قرون) وغيرهما وعين على باشا محافظا على موره وملحقاتها ثم زاد على باشا المذكور بعض فتوحات وفى أثناء مشغولية السلطان بهذه الوقائع جمع مصطفى بك من احفاد ابن قرمان جمعا من الاشقياء ونهب جهة لارنده وما حولها فأرسل السلطان ابنه أحمد والى أماسـيا ومحمد باشا حفيــده والى يكى شهر اليهم فشتتوا شملهم وفى ســنة ٩٠٧ طلبت جمهورية الونديك من البابا وأسبانيا وفرانسا والمجر الاعانة على مضادة العثمانيين ومحاربتهم برا وبحرا فأجابوا طلبهم وأرسلوا اسطولا مختلطا بالبحر الابيض حتى وصل جزيرة مدللو فارسل السلطان فى الحال أحمد باشا ابن هرسك باسطول الدولة فبهمته وهمة كمال بك أحد رؤساء الاسطول أسر بعض سفن الاعداء بمن فيها ومنهم ابن أخى ملك فرنسا وانهزم الباقون واستردوا الجزيرة وأحيــل أمر تعميرها وتعمير قلاعها على سنان باشا والى الاناضول وعاد الاسطول سالما الى الاستانة ثم ان الونديك تخابرت مع دولة ايران التى أجابت الطلب فاضطر السلطان لمجاملة ومصالحة سائر حكومات أوربا وفى الاثناء صار فتح قلعتى (لوقجــه) و(دراج) بهمة اسكندر باشا والى بوسنة وفى سنة ٩٠٨ مات (علمشاه) بن السلطان وتعدّى الشاه اسماعيل بن الشيــخ حيــدر الصفوى شاه العجم على جهات (خربوت) و(مرعش) واستمال أغلب التركمان الساكنين فى جهات (تكه) و(ايج أيل) ورتب له منهم جيشا فأسرع السلطان بنقل باقى التركمان الى موره أما الشاه اسماعيــل فانه شعر بضعفه فعاد ثم حصــل بالاناضول وروملى وباء مهول استمر ثلاث ســنين وحصــل فيها وفى ثلاث ســنين أخرى قحط عظيم مات بسببهما خلائق لاتحصى وفى سنة ٩٠٩ ظهر شخص شقى يسمى (قره‌طورمش)

الاتفاق (١٣)

ومعه بعض سفن لقطع الطريق على التجار المسلمين فى جهة (سورى حصار) فأرسل اليه سفن كافية فتشتت شمل أعوانه وأخذ هو وصلب وأخذت أمواله وفى سنتى ٩١٠ و ٩١١ لم تحصل وقائع حربية بل اشتغل السلطان بترقية الزراعة والتجارة والصناعة وباعمال أبنية خيرية مثل كبارى وقناطر وانشاء طرق عمومية ونحو ذلك وفى سنة ٩١٢ حصل للسلطان مرض أوجب انحطاط قواه فخوفا من حصول الشقاق بين أولاده أحضر على باشا الخادم أمير أمراء موره وفوض اليه أمر الدولة وفى أثناء ذلك حصلت زلزلة هائلة استمرت شهرا فانهدم بسببها نصف الاستانه وخرج الاهالى والسلطان الى الصحراء وخيموا بها ثم أنشئ للسلطان بالصحراء بيت من خشب ونقل الى السرايته الكائنة (بديمتوقه) بالقرب من أدرنه وأقام فيها الى تمام عمارة الاستانة وفى سنة ٩١٣ اهتم على باشا الوزير الاعظم بعمارة الاستانة بالاخشاب واهتم أيضا بالتنكيل بمن يظهر من القرصانين ورفع المظالم عن الاهالى من الولاة ولما طال المرض بالسلطان أراد اتخاذ ابنه أحمد ولى عهده فوافقه الوزراء على ذلك وكان لابنه (قورقود) أمل فى أن يكون سلطانا بعد أبيه لكونه كان محبوبا عند العلماء فسافر الى مصر فى سنة ٩١٤ مظهرا أنه يريد تأدية فريضة الحج وهو فى الحقيقة غضبان فقابله سلطان مصر بالاعزاز والاكرام ثم أنه ندم وقدم لابيه المعذرة وطلب منه العفو فعفا عنه وأعاده الى ولايته (تكه) كما كان وفى سنة ٩١٥ طلب ابنه سليم والى (طرابزون) يومئذ التصريح اليه من والده بأن يحضر لزيارته وكان شجاعا مقداما محبوبا لدى الجيش خصوصا اليكيجريين وكان غرضه من الزيارة أن يتحصل على ولاية العهد فمنعه أركان الدولة فلم يكترث وفى سنة ٩١٦ عبر البحر الاسود الى قريم بروملى ومنها أراد التوجه الى أدرنه لوجود والده وقتئذ فيها فمنعه أركان الدولة أيضا وأعطوه وظيفة ولاية سمندره ولم يرضوا بمقابلته لابيه وفى سنة ٩١٧ تردد سليم فى أن يذهب الى ولايته الجديدة منتظرا حدوث عائق يمنعه عن الذهاب اليها ليتوجه الى أبيه أما أركان الدولة

فانهم طلبوا سرا (أحمد بن السلطان الاكبر وهو وقتئذ والى اماسيا) لاجلاسه بدل أبيــه فتصادف حصــول بعض فتن فى ولاية أخيــه قورقود بتــكه فقام منها الى ولاية (مغنيسا) فظن الاشقياء ان السلطان مات وذهب لجلوسه بدله فنصب من يدعى (شاه قولى) شيخ الطوائف الصوفية بولاية (تــكه) الذى له ألوف من الدراويش نفسه سلطانا وعثا فيها فسادا فاتخذ سليم هذه فرصة لعودته الى أدرنه فأرسل الوزراء جيشا من أربعين ألفا لمنعه من الحضور فقابلهم بشرذمة قليلة ولقلة عساكره اضطر الى الذهاب لجهة البحر الاسود فلحقه الجيش فى وادى (جورلى) وأرادوا القبض عليــه فخلصه منهم فرهاد بك من خواص اتباعه الذى صار فيما بعد صهرا ووزيرا له ولقب بفرهاد باشا ثم ذهب سليم الى جهة (كفه) أما أحمد فانه قام من ولايته اماسيا بناء على طلب الوزراء المتقدّم ووصل الى قرب (اسكدار) فما كان من اليكيجريين الا أنهم مانعوا فى جلوسه للسلطنة وهجموا على بيوت أكثر الوزراء وقتلوهــم وأصروا على جلوس سليم فتأثر السلطان من ذلك ومما أتى أحمد فى أثناء حضوره من الحركات الغير لائقة ودعى سليما الى الحضور رسميا وفى يوم السبت السابع من شهر صفر سنة ٩١٨ جاء سليم بموكب عظيم الى السراية وبعد تقبيل ركبتى والده وسماع وصيته أجلسه أبوه وألبسه العمامة المعدّة للبس السلاطين فبايعه أركان الدولة وأخوه (قورقود) ثم قام السلطان بايزيد ذاهبــا الى سراية (ديمتوقه) وبوصوله الى محــل يسمى (سوكودرلى دره) مات بالطريق وأحضرت جنازته الى الاستانة ودفن بالجامع الشهير باسمه الذى انشأه هو رحمه الله تعالى رحمة واسعة

﴿ أسماء الملوك والامراء المعاصرين للسلطان بايزيد وجهاتهم ﴾

أوروبا

فرانسا .... شارلى الثامن ثم لوى الثانى عشر .... ملوك

انجلترا ..... هنرى السابع ثم هنرى الثامن .... ملوك

ألمانيا ...... هنرى السابع ثم هنرى الثامن ...... امبراطوريه (١)
اسقوجيا ... چان سنسوار .... ملك
بابا .... الكساندر السادس ثم جول الثانى
اسبانيا ونابولى . فرديناندو................ ملك
بولونيا ..... سيزسمند الاول .... ملك
المجر .... فردريك الثالث من قبيلة هابسبورغ .... ملك
الونديك ..... روجه .... رئيس جمهوريه
جنويز ..... روجه .... رئيس جمهوريه
اسوج ..... جان .... ملك
الروسيا ..... ايوان الثالث .... حاكم

آسـيا

العجم ...... الشاه اسماعيل الاول .... شاه

كردستان .... } الامير السلطان أبو سعيد
تركستان ... }
تترستان .... }

الهند ...... نظام خان .... حاكم

أفريقيـــا

مصر .... المستنجد بالله الخليفة العباسى وسلطانها قايتباى الشهير
الحبش ..... نبغ جونغ .... ملك

---

(١) هكذا فى الكتب

٩ السلطان سليم ياوز الاول

ولد المشار اليه سنة ٨٨٥ هجرية باماسيا وجلس سنة ٩١٨ وعمره ٤٦ سنة فى حياة أبيه كما سبق ذكره وكان مشهورا فى شبوبيته بالشجاعة وحب الحرب فلذا كان محبوبا لدى الجيش ولما جلس أبقى أخاه أحمد فى ولايته على (أماسيا) و (سروخان) فلم يرض لاخيـه سليم المذكور بالسلطنة وتأخر عن المبايعـة له زاعما انه هو الاحق بها لكونه الاكبر سنا وأرسل ابنـه علاء الدين بعسكر الى بروسه فذهب اليه السلطان فولى هاربا بعسكره ثم اهتم بتجهيز جيش لمحاربة السلطان ولما بلغه ان السلطان عين مصطفى بك ابن داود باشا واليا على (أماســيا) و (سروخان) بدله غضب وهجم بعساكره على مصطفى بك وقبض عليه ولم يقتله بل اتخذه وزيرا له وكتب منشورا فى انحاء المملكة بانه هو السلطان بحكم السنّ فمال اليـه أغلب أمراء الاناضول وصاروا يستهزؤن بمن كان فى حزب السلطان سليم فبلغ ذلك السلطان من على بك ابن مالقوج وعـلاوة على ذلك مال بعض أمراء الجيش الى أحمد فاضطربت أفكار السلطان سليم وكثرت الوشايات فى حق أخيه قورقود وأولاد اخوته بان كلا منهم يريد السلطنة فامر بقتلهم فقتـلوا ثم أحضر ابنه سليمان من ولاية (كفه) ونصبه قائممقامه بالاستانة ثم قتل مصطفى باشا الصدر الاعظم وبعض من الامراء بتهمة الميل الى أحمد وعين أحمد باشا ابن هرسك صدرا أعظم فخاف أحمد وعلم انه لايفوز فالتجأ الى أخيه غير انه قتل قيل انه سئل السلطان سليم بعد مدّة عن قتل أخيه أحمد مع التجائه اليه فاجاب بان أعداء الدولة الخارجين كثيرون فاذا ذهبت الى الحرب استولت عليـه شياطين الانس والجن بالغش فيعمل مثل ما عمل ويترتب على ذلك اراقة دماء المسلمين فقتل واحد لاحياء كثيرين أمر واجب والله أعلم

وكان لاحمد ولدان مراد وعلاء الدين فالاول هرب الى العجم والثانى الى مصر ولما عاد السلطان الى أدرنة جاء سفراء جميع الدول سـنة ٨١٩ عدا سفير

شاه العجم للتبريك وتجديد المعاهدات لدولهم وأرسل لمحمد الكراى خان قريم خلعة وبراءة وجعل جمركا على البضائع الافرنجية الواردة من الخارج بواقع المائة خمسة فهو أول من أحدث ذلك

محاربة الفرس الشهيرة

فى سنة ٩٢٠ خابر الشاه اسماعيل شاه العجم ملك مصر قانصوه الغورى بما مضمونه ان السلطان سليم ذو جبروت وان الدولة العلية فى نمو مدهش ودولة العجم ومصر مهددتان منها وأخذ الشاه يستميل كثيرا من العشائر التابعة لنفوذ الدولة العلية فأخبر أمراء الاناضول السلطان بذلك فجهز جيشا مركبا من كل صنف مقداره مائة وثمانون ألفا وأعلن الشاه بالحرب وأقام ابنه سليمان بالاستانة مكانه وفى أثناء السير أمر الامراء بدقة ملاحظة العسكر وباشر ذلك بنفسه أيضا فرد كثيرا منهم وغالبهم من التجار قائلا انهم لايتحملون أثقال السفر والقتال وأبقى مائة ألف من أقوياء وشجعان العساكر فوصل أذربيجان وفتح (باى بوردى) وكتب جوابا للشاه يدعوه الى الحرب فلم يقابله الشاه بل رد عليه جوابا بالاستهزاء لزيادة غضب السلطان وتهوره حتى يتغوّل فى داخل بلاد العجم ليقطع عليه خط الرجعة فلما وصل الجواب مع السفير قتله السلطان بقصد اغضاب الشاه ليتعجله بمقابلته بالحرب ورد جوابه بما يوجب شدة غضبه أيضا لكن الشاه لم يظهر اهتماما بالمقابلة فصمم السلطان على الذهاب الى (تبريز) لكن أمراء العساكر ووكلاء الدولة أتعبهم طول السفر وأثر فيهم تغيير الماء والهواء فقالوا ان التوغل فى البلاد الاجنبية بهذه المسافات الطويلة ليس من السياسة فى شئ فارادوا ارجاع السلطان عن هذا التصميم بطريقة حسناء فلم يقبل فحركوا بعض العساكر للعصيان فهجموا على خيمة السلطان بحالة تشويش وغوغاء فقتل السلطان (همدم باشا) فهابه الوكلاء والامراء وفى الحال أمر بقيام الجيش والسير الى الامام ففتح قلعة

بايزيد ثم وصل الى صحراء (جالديران) وفى أثناء السير حصل من اليكيجريين مثل ماحصل من بعض العساكر من الغوغاء حتى انهم رموا بضرب الرصاص على خيمة السلطان فخرج من الخيمـة ونادى بينهم انه لايمكن الرجوع بغـير حرب مع العـدو وكل من يشعر منكمُ فى نفسه بالجـبن فليرجع وأما أنا فلا بد ان أحارب العدو ولو وحدى فلما رأوا منه هذه الجسارة الهائلة وانه نسبهم الى الجبن اتحدوا على السفر بكل غيرة ونشاط فساروا حتى وصلوا الى جبـل (جالديران) ونصبوا به الخيام وعملوا الاستحكامات اللازمة وأرسل للشاه جوابا بالفاظ توبيخيه محرضة على المقابلة للحرب ثم بلغه ان الشاه آت بجيشه فرتب عساكره صفوفا وجعـل (سـنان باشا) سرعسكر الاناضول فى الجناح الايمن (وحسـين باشا) سرعسكر روملى على الجناح الايسر وهو ووزراؤه فى القلب واليكيجريين فى الوسط فنزلوا من الجبل الى الوادى بهذه الهيئة أما الشاه اسماعيل فانه رتب عسكره صفوفا أيضا فجعل (محمدخان) والى ديار بكر وبغداد ومعه بعض أمراء على الجناح الايسر أمام عساكر الاناضول وآخرين على الجناح الايمن أمام عساكر روملى وهو فى الوسط بار بعين ألفاخيالة من ذوى الملابس التى بالزرد وفى صباح يوم الاربـع ثالث شهر رجب سنة ٩٢٠ اشتبك الحرب بضرب البنادق أولا وبعد ساعة حصـل هجوم من الاجنحـة فلما رأى ذلك حسن باشا رئيس الطوبجية أمر باستعمال ضرب المدافع البطاريات بحركة شديدة فبدأ الاضمحلال فى العساكر قيادة محمد خان المذكور وبعد برهة قتل هو ووالى بغداد وظهر الانكسار فى الجناح الايسر من عساكر العجم فلما رأى الشاه ذلك هجم بشـدّة مع الاربعين ألفا المزردين فظهرت علامات الانكسار مرارا فى عساكر روملى وأخيرا وقع الشاه جريحا فانقذه أحـد أتباعـه المدعو خضر وأركبه على فرسه وفر هاربا الى تبريز وانهزم جيشه فأرسل السلطان أحمد باشا ابن دوقه كين الى تبريز لاعطاء الاهالى الامان فلما بلغ ذلك محافظها أخذ ما قدر عليه من الاشياء النفيسة من خزينة الحكومة وهرب ثم وصل السلطان اليها ودخلها بموكب عظيم ثم أراد أن يقضى مدّة الشتاء هناك لاجل

استئناف القتال فى الربيع القادم بقصد اعدام الشاه ومحو المذهب الرفضى لكن لم يوافقه الوزراء والامراء وعصاة اليكيجريين على ذلك فأخذ ألفا وخمسمائة نسمة من أرباب الحرف المتنوعة المجلوبين من خراسان وسائر بلاد فارس الى تبريز وأرسلهم مع أشياء كثيرة ذات قيمة الى الاستانة وبعد أسبوع قام بجيشه وعبر نهر أرس ثم وصل الى (روانه) وكل من قابله فى الطريق من الاشقياء والعصاة جازاه بما يستحق بجريمته ثم فتح قلعة (ماين) وعزم على فتح بلاد الكرج ووصل (جوبان كبريسى) (١) فقابله حاكمها بهدايا فاخرة وطلب عدم مساس بلاده فقبل منه ولم يتعرض له ولا لبلاده بسوء ثم عاد الى أماسيا وأراد أن يشتى هناك فعصى اليكيجريون أيضا فنسب السلطان ذلك الى أحمد باشا ابن دوقه كين فقتله ثم استولى على الحكومات المستقلة تحت حماية العجم مثل حكومة (آل رمضان) و (أولاد ذوالقدرية) و (أمراء الاكراد) و (شروان) وغيرها ثم عاد الى الاستانة وجازى كثيرين ممن حصل منه عصيان فى السفر من العساكر اليكيجريين وفى سنة ٩٢١ اهتم بزيادة وتنظيم القوّة البحرية لتعادل قوّة دولتى الونديك واسبانيا وعند وصوله الى الاستانة وردت له الهدايا من الدول المسيحية المجاورة مثل الونديك والمجر واسبانيا وايطاليا وفى هذا العام برئ الشاه اسماعيل من جرحه وحاصر مع سرداره قره خان (ديار بكر) فقابلهما محمد باشا قبا بيقلو (٢) بجوار جبل (وأرجيش) فوقعت محاربة عظيمة وفى أثناء ذلك استولى خسرو باشا أمير أمراء قرمان على (خربوت) ثم لحق محمد باشا المذكور فاشتد القتال وانهزم عسكر العجم وكان السلطان قام بجيشه من الاستانة للذهاب الى هناك فبوصوله الى صحراء كاح جاء الخبر بانتصار محمد باشا وخسرو باشا فأرسل لمحمد باشا المذكور وملّا ادريس خلعة فاخرة وجوائز حيث كان للثانى يد بيضاء فى النصرة

(١) معناه كوبرى الغنام
(٢) ذو الشنب الكثيف

محاربة السلطان الغورى بمصر

عزم السلطان على الانتقام من ملك مصر الغورى نظـرا لما شاع من مخابرة الشاه معه فى العام الماضى كما تقدّم ففى أوائل جمادى الاولى أشاع السلطان انه عازم على السفر لمحاربة العجم فجمع خمسين ألفا وأقام ابنـه سليمان مقامه فى أدرنة وبيرى باشا فى الاستانة وأحمد باشا ابن هرسك فى بورسة وأرسل سفراء الى ملك مصر يدعوه للسفر الى الشرق يموّه بذلك على بلاد العجم أما الغورى فقيل انه أبدى للسفراء بعض تحقير ثم أظهر لهم حسن المعاملة وقال انه ما كان يريد من حسن علاقته مع الشاه اسماعيل الا التوسط بينه وبين السلطان فى تأليف القلوب ومحو النفور وأرسل بهـذا المعنى جوابا للسلطان فلم يقبل منـه هـذا الاعتذار بل جدّ فى السير حتى وصل الى حلب وفى سنة ٩٢٢ قابله الغورى بعساكره فى مرج دابق وفى بعض النسخ وابق ووقع الحرب واشتدّ لهيبها ثم وقع الغورى قتيلا وانهزم عسكره فدخل السلطان مدينة حلب وولى عليها قره جه باشا ثم ضبط حما وحمص بالسهولة ثم دخل دمشقا وانقاد له الدروز والعربان ومشايخهم واستولى على قلاع نابلس والقدس وغزه ومنها ذهب الى السويس وأما أمراء مصر فانهم انتخبوا طومان باى ملكا على مصر فاجتهد وأخذ فى تجهيز عساكر لطرد السلطان سليم عن مصر والشام ووقعت الحرب وانهزم طومان وعساكره وفى سنة ٩٢٣ ذهب السلطان الى مصر فقابله طومان باى ثانيا بخمسين ألفا من الخيالة واستمرت الحرب اسبوعا بالمرامات ثم أرسل السلطان سنان باشا بفرقة من العساكر خدعة لاحتلال مصر من جهـه واشتغال المصريين عن مواقع الحرب من جهة أخرى فقبل وصوله قتل وعين بدله يونس باشا صدرا أعظم ثم اشتدت الحرب وانهزم عسكر مصر الى مصر العتيقة فدخل عساكر السلطان سليم مصر فصارت نساء مصر ترميهم بالاحجار والحدايد والمثقلات من الشبابيك انتقاما قيل ان القتلى من سكان مصر فى هذه الواقعة يبلغون خمسين ألفا والله أعلم ثم ان

طومان باى لم يقطع الامل من انتصاره على السلطان سليم فجهز فى الجيزة جيشا مركبا من الشراكسة والعرب فأرسل اليه السلطان يونس باشا الصدر الاعظم بعشرين ألفا وأربعين مدفعا فاشتبكت الحرب بشدّة عظيمة واستمرت بعناد من الطرفين حتى لم يبق من العساكر العثمانيين سوى ستة آلاف ومن عساكر طومان باى أربعة آلاف ولم ينهزم طومان باى حتى أخذ أسيرا وصلب فى باب زويله

وذكر فى بعض تواريخ مصر ان طومان باى المذكور رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام وقال له ياطومان انك ستكون عندنا غدا فقام فى الحال وذهب الى السلطان وسلم له نفسه فقتله صلبا والله سبحانه وتعالى أعلم وبموت طومان باى انقرضت دولة الشراكسة بمصر غير ان السلطان سليم ولى على مصر خيرى بك الشركسى والى حلب سابقا لمدّة حياته وذلك ان السلطان سليم لما وصل قبل الحروب المصرية المذكورة الى حلب ذهب اليه واليها خيرى بك المذكور فقال له انى أكره أن أحارب المسلمين سواء كانت مصر لك أو للسلطان الغورى فأنا لا لك ولا عليك فانسر منه السلطان سليم جدًا وقال له انى سأوليك على مصر لمدّة حياتك فوفاء لهذا الوعد عينه كما تقدّم وقد ذكر فى بعض تواريخ مصر ان السلطان سليم لما فتح مصر واستولى عليها وعين خيرى بك واليا عليها أراد ان يركب فرسه واذا بخيرى بك قال له مستفهما هل تقبل أولاد الشراكسه فى العسكر وتبقى لهم أموالهم وعقاراتهم بمصر وملحقاتها كما كانوا أم لا فقال له نعم وكيف نأخذ أموالهم ونمنع أولادهم من الجيش أليسوا بمسلمين فقال الصدر الاعظم ذهبت أتعابنا سدى فأمر بقتله فى الحال فقتل ورجل السلطان اليسرى فى الركاب واليمنى على الارض ثم ركب جواده وسار بمن معه من أمراء العثمانيين وكبراء مصر المشيعين له وهو يحدثهم ويحدثونه حتى وصل الخانقاه السريقوسيه (الخانكه) فتجاسر بعضهم باللطف وقال للسلطان اننا لم نفهم ذنبا للصدر الاعظم يستوجب قتله فقال اننا نحب أن نوفى بالوعد فعينا خيرى بك واليا على مصر وفاء للوعد وتركنا للشراكسه أموالهم حيث لاتحل لنا وقبلنا أولادهم فى الجيش كسائر المسلمين

فأراد الصدر الاعظم أن يوقعنى فى الذنوب وأما قتله فهو خوفا من أن يكر رعلى ذلك ملحا وربما أثر عندى فأقع فى هذه الذنوب والله أعلم

وقد حضر الى السلطان سليم شريف مكة المكرمة المسمى (أبا النمى) ابن محمد أبى البركات للتبريك وسلمه ماكان بيده من الآثار الشريفة والمخلفات فقبلها منه ثم جاء اليه سفير شاه العجم طلبا للصلح فلم يقبل منه بل سجنه وفى أثناء هذه الحروب حصلت تعديات كثيرة من أوروبا على روملى فأخذ السلطان سليم المتوكل على الله آخر خلفاء العباسيين بمصر معه وعاد للاستانة وفى سنة ٩٢٤ ظهر من يدعى الشيخ جلال وادّعى أنه مهدى آخر الزمان واتخذ له مغارة فى جهات (بوزوق) و(تقات) وجمع ألوفا من الاوباش فأرسل السلطان الى والى مرعش بمحوه فقتله وشتت شمل أعوانه ثم ظهر فى اماسيا شخص مجهول وادّعى انه مراد بن أحمد أخى السلطان سليم وادّعى السلطنة لنفسه فقتل وفى سنة ٩٢٥ عزم السلطان على فتح جزيرة رودس لكنه لم يمهله الاجل المحتوم بل مرض وتوفى فى شهر شوال سنة ٩٢٦ رحمه الله تعالى رحمة واسعة ولم يكن له أولاد غير السلطان سليمان

﴿أسماء الامراء والملوك المعاصرين للسلطان سليم الاول وجهاتهم﴾

أوروبا

فرنسا ...... شارلى الثامن ثم لوى الثانى عشر ثم فرانسوا الاول . ملوك

انكلترا .... هانرى السابع ثم هانرى الثامن

المجر ...... مانياس

دانمارك .... كرستيان الثانى

اسكوجيا .... جاك تتوار الخامس

ألمانيا ...... الامبراطور فردريك ثم ماقسمليان

بوهيميا ...... لادسلاس السادس

بلونيا .... سيزسموند الاول

الروسيا ..... ايوان الثالث

برتغال ...... أمانويل

غرناطه ..... أبو الحسن

البابا ...... انيوسان ألك ساندر ايون العاشر

اسبانيا .....
سجيليا .....
ساردونيا .... } شارلكان الخامس
فلمنك ....
مكسيقا .....

آسيا

شاه العجم .... الشاه اسماعيل

الهند .... نظام خان

أفريقا

مصر .... قانصوه الغورى الشركسى ثم طومان باى ثم بعد قتله خيرى بك

١٠ السلطان سليمان القانونى الاول

ولد المشار اليه فى أول شعبان سنة ٩٠٠ وتولى فى ٤ شوال سنة ٩٢٦ واجتهد أول جلوسه فى نفى الزنادقة والمبتدعين فى الدين وفى سنة ٩٢٧ عصى (جانبرد) غزال والى الشام فارسل اليه السلطان فرهاد باشا امدادا لقره جه باشا محافظ حلب فاشتبك الحرب مرارا بالقرب من حلب وأخيرا انهزم عسكر غزال العاصى بعد ان قتل وتولى بدله على الشام اياس باشا أما فرهاد باشا فانه ذهب الى حدود

العجم لمقابلة عساكر الشاه الموجودين هناك وفى هذا العام تداخل ملك المجر فى امور بلادبوسنه فارسل اليه السلطان سفيرا عاليا ليفهمه ماهو اللازم لامور الصلح الدائم فما كان من ملك المجر الا انه قتل السفير فغضب السلطان غضبا شديدا وأرسل أحمد باشا ومعه عساكر روملى وهو على أثره فبوصوله الى صحراء صوفيه أرسل باليا بك والى بوسنه الى بلاد خروات وخسرو باشا محافظ سمندره الى بلغراد ومحمد بك ابن ميخال الى تران سلوانيا أما أحمد باشا فانه استولى على حصار (بوكردلن) واستولى الصدر الاعظم (بيرى باشا) على قلعة (الزمين) وجهات (سرم) بالقوة وأما السلطان فانه حاصر (بلغراد) فهدم استحكاماتها بضرب الالغام وبعد شهرين ونصف من محاصرتها فتحها فى ٢٦ من شهر رمضان سنة ٩٢٧ وألحقت بولاية سمندره وتعين لولايتها والى بوسنه ثم فتحت قلاع (اسلان قش) و (كونك) و (ايق) و (ايرشوه) وغيرها ثم عاد السلطان الى الاستانة وقبل وصوله جاءه خبر وفاة ولديه مراد ومحمود بمرض الجدرى وفى سنة ٩٢٨ ظهر باليمن شخص يسمى اسكندر سعى فى الارض فسادا فعزم السلطان على ارسال من يؤدبه واذا برجال الخارجى المذكور قطعوا رأسه وبعثوه الى الاستانة وفى هذا الوقت كانت جزيرة رودس تابعة لسلطة البابا وكانت مجمعا للقرصان يتسلطون على قطع طرق البحر وسلب أموال المارين من التجار والحجاج فعزم السلطان على فتحها لأمن الطريق فارسل مصطفى باشا الصدر الاعظم بسبعمائة سفينة متنوعة بمهمات حربية وعلى أثرهم أسطول الدولة فدخل الى مينا أوكوزبرونى (١) ثم عزل مصطفى باشا المذكور وعين بدله للصدارة العظمى (أحمد باشا) فبعد محاصرتها ستة أشهر فتحت فى ٦ صفر سنة ٩٢٩ وأعقب ذلك وفاة خيرى بك الشركسى والى مصر فى سنة ٩٢٣ وعين بدله مصطفى باشا المذكور ثم استولى السلطان على قلاع (استانكوى) و (بودروم) و (لندوس) و (تختالو) و (سويتاك) ثم عزل مصطفى باشا المذكور عن ولاية مصر وولى بدله أحمد باشا الذى كان

(١) معناه أنف الثور

سردارا فى حرب مجر وصدرا أعظم الآن وعين بدله للصدارة ابراهيم باشا أحد القرناء أما أحمد باشا المذكور فانه عصى وخطب باسمه وضرب النقود برسمه وأعلن استقلاله فارسل اليه السلطان اياس باشا الوزير الثانى بعساكر الاناضول فلما وصل الى صحراء كوتاهيه وصل رأس أحمد باشا المذكور مقطوعا فعاد الى الاستانة وفى سنة ٩٣٠ ذهب ابراهيم باشا الصدر الاعظم الى مصر لوضع ادارتها على محور النظام وأقام مقامه اياس باشا وبعد اتمام هذه المأمورية ولى سليمان باشا على مصر وعاد الى الاستانة وفى هذا العام توفى الشاه اسماعيل شاه العجم وتولى بدله الشاه (طهماسب) وفى سنة ٩٣١ هجم بعض اليكيجريين على بيتى الصدر الاعظم والدفتردار (١) فاعدم السلطان باليا أغا كتخدا مصطفى باشا وحيدر شلبى رئيس الكتاب المحركين لهذا الفساد و أدب رئيس اليكيجريين وأحضر فرهاد باشا الوزير الثالث ومحافظ سمندره للاستانة و أعدم لما ظهر منه من الشقاوة والفساد ثم وجه السلطان اهتمامه بانشاء مراكب حربية بكثرة فى ترسخانة البحر الاحمر لحفظ السواحل الهندية والحجازية وأرسل لذلك مامورا عاليا وفى هذا العام اتحدت دولة العجم مع ملك المجر ضد الدولة العلية فغضب السلطان وجمع عساكر الاناضول وروملى وقام فى احدى عشر رجب سنة ٩٣٢ للانتقام من المجر وكان عدد الجيش مائة وسبعين ألفا وطلب سعادة كراى خان قريم للحضور لديه خوفا من ان يقصد سوءا ببلاد الدولة فى غياب السلطان وكتب فرمانا لحاكمى افلاق وبغدان يأمرهما بالاقامة على الحياد فلما وصل الى بلغراد أنشأ كبارى على نهر صاوى حتى تمكن العسكر من العبور الى بدون ثم استولى على قلاع (راچه) و (وارادين) و (ابلوق) و (ارك) و (غراغوربجه) و (جروبك) و (برقاص) و (دمتروقجه) و (توكاى) و (بوادخ) و (براچه) و (دوكن) و (صوتين) و (لقوار) و (رادار) ثم ذهب الصدر الاعظم ابراهيم باشا بستين ألفا الى صحراء (مهاج) فقابله جيش المجر البالغ عدده مائة وخمسين ألفا فلما رأى كثرة جيش

الاتفاق (١٤)

---

(١) ناظر الماليه

العدو استعمل ضرب المدافع بشدة حتى حفظ مركزه واذا بالسلطان لحقه بميدان الحرب بمن معه وأظهر على الاعداء صولته المعلومة وشجاعته المشهورة فرغما عن المدد العظيم الذى أتى للاعداء من حكومة خروات انهزم المجريون بعد أن قتل منهم ثلاثون ألفا وهرب ملكهم وفى أثناء هروبه وقع فرسه به فمات وفى ثانى يوم وضعت خيام السلطان بالصحراء المذكورة وأجريت رسوم التهنئة بالفتح على حسب قاعدتهم وقتئذ ووزع على العساكر الاحسانات العظيمة وحررت للجهات فرمانات البشرى ثم قام بجيشه وسار الى (بودين) عاصمة المجر فطلب منه الاهالى الامان وقبلوا أن يكونوا من رعاياه فأجابهم السلطان لطلبهم ثم استولى بغير قتال ولا حصار على مدينة (وارادين) وقلاع وقصبات (بشنه) و(مكدين) و(باجقه) و(تتل) و(باج) و(بسر) و(سينا) و(بانقه) و(بيرلك) و(قيني) و(فلك حاجى) وجهات كثيرة ثم نصب (بانوس يانى جابوليه) من سلالة امراء مملكة أردل ملكا على المجر وكان مسيحيا وعاد الى الاستانة وعقب ذلك عصت عشائر التركمان وأمراء ذو القدريه بجهة قرمان فأرسل السلطان اليهم (خرم باشا) أمير أمراء قرمان فشتت شمل العصاة وأعقب ذلك خروج من يدعى (قلندر) ابن الحاج بكتاش (١) الشهير فى جهة اماسيا وتغلب على أمرائها وأمراء الاناضول فذهب اليه الصدر الاعظم ابراهيم باشا بجيش جرار فمحاه هو وأعوانه وفى سنة ٩٣٣ استولى أمراء بوسنه على قلاع (يايجه) و(بوشدغة) و(صوقول) وغيرها وفى سنة ٩٣٤ هاجم فردينناندوس أرشيدوق دولة أوستريا على قلعة بودين وهرب بانوس ملك المجر الى أردل فلما سمع بذلك السلطان ذهب بجيشه فى سنة ٩٣٥ الى بلاد المجر فهرب الارشيدوق خوفا من السلطان فعاد بانوس

---

(١) هو من أشهر الصوفية ببلاد الاناضول والاتراك يعتقدون ولايتـه كاعتقاد المصريين بسيدى أحمد البدوى ويزعم الينكيجريون انهم على طريقته ونحن نجهل حقيقته ولكن أكثر الزاعمين انهم على طريقتـه ليسوا فى شئ من الصلاح والاستقامة الدينية

وأجلسه السلطان ثانيا كما كان فبناء عليه ذهب الصدر الاعظم بثلاثمائة ألف عسكرى الى ويانة عاصمة أوستريا وحاصرها وفى أثناء ذلك ثار أحمد بك والى عزيز من ملحقات أدرنة وابن أخيه السيد بك ومن معهما من الاشقياء بتحريك شاه العجم فارسل السلطان اليهم بيرى بك فشتت شملهم وقتل منهم نحو الثمانمائة وأعقب ذلك حصول ثورة من الحلب وقتلوا حاكمها قره قاضى فنفى المحركين وأنعم السلطان بوظيفة سر عسكر على الصدر الاعظم ابراهيم باشا علاوة على وظيفة الصدارة وأرسل له فرمانا ممتازا بذلك وفى سنة ٩٣٦ اشتد البرد فى فصل الشتاء فاضطر الصدر الاعظم الى ترك محاصرة ويانا وأرسل العساكر الى بلادهم وختن السلطان أولاده الثلاث مصطفى ومحمد وسليم وفى سنة ٩٣٧ جاءه السفراء من الروسيا ومن سائر الدول بهدايا كثيرة ومن أوستريا أيضا بطلب بعض تكاليف تختص ببلاد المجر فلم يلتفت الى طلبات أوستريا فبناء عليه حاصر الارشيدوق السالف الذكر قلعة بودين واتفق معه جميع الالمانيين فاهتم السلطان بالتداركات الحربية وفى هذا العام ولد جهانكير بن السلطان وفى سنة ٩٣٨ ذهب السلطان الى أوستريا بجيش يزيد عن المائتى ألف وأرسل بحرا أحمد بك القبودان بثمانين سفينة فأسرع أمراء بلاد خروات الى الالتجاء الى الظلة السلطانية وفى سنة ٩٣٩ فتح قلاع (قيونى) و(برزنجه) و(سلواد) و(شرويل) و(قدواد) و(بابروجه) وغيرها بعد قتال متعدد ولم تثبت عساكر الألمان ولا أوستريا فاستعانوا بدولة اسبانيا بحرا لمشغولية السلطان وقبول الصلح ثم طلبوا الصلح فقبل منهم السلطان ومضمونه أن أوستريا لا تتعدى مرة أخرى وأن السلطان كذلك وبعد ان استرد من اسبانيا قلعة (ورون) و(موره) عاد الى الاستانة وعين ابنه مصطفى واليا على صاروخان وجعل اياس باشا الوزير الثالث وزيرا له وفى سنة ٩٤٠ لم يكتف الشاه طهماسب شاه العجم بأغرائه لاحمد بك وابن أخيه السيد بك ومن معهما ضد الدولة فى جهة أدرنة كما تقدم بل حاصر بغدادا فأرسل اليه السلطان الصدر الاعظم ابراهيم باشا بجيش عظيم فبوصوله

الاتفاق (١٥)

الى حلب دخل فصل الشتاء فاقام هناك مدّة الشتاء وفى أثناء ذلك جاء خير الدين بك حاكم الجزائر بعشرين سفينة الى الاسـتانة وطلب الحاق بلاده بممالك الدولة فولاه السلطان على الجزائر وأنعم عليه برتبة باشا وسلم له مائة سفينة وأما الصدر الاعظم ابراهيم باشا فانه استولى من بلاد العجم على قلاع (وادى الجوزا) و (أخلاط) و (أرجيسى) و (أوينك) ثم قام السلطان من الاستانة اليه فبوصوله الى أرضروم ترك الصدر الاعظم الجيش واستقبله وفى سنة ٩٤١ قام الشاه طهماسب من خراسان وجاء الى المدينة السلطانية فذهب اليه السلطان فهرب منه ولما دخل فصل الشتاء اكتفى السلطان بهـذا التأديب وسحب جيشه من هناك ولما قرب على بغداد من ملحقات بلاد العجم هرب حاكمها محمـد خان بخواص رجاله فسلم الاهالى مفاتيح مدينـة بغـداد للسلطان وكذلك سلم أهالى مدائن (شهريان) و (هارونيه) و (أقوك) وقلاع (كركوك) و (الحله) و (نجف) وأما الشاه فانه عاد وحاصر (وانا) فذهب اليه السلطان فلما قرب منـه هرب فاستولى على جهات (لودستان) و (كالحوزستان) و (مشعشع) وغيرها وفى سـنة ٩٤٢ طلب الشاه الصلح فقبل السلطان ومضمونه الكف عن الحرب وابقاء ما استولى عليه السلطان له وعاد الى الاستانة فدخلها بموكب فاخر ثم غضب السلطان على ابراهيم باشا الصدر الاعظم فأمر بقتله فقتل ولم أقف على السبب وعين بدله أياس باشا وفى سـنة ٩٤٣ حصل اختلال فى بلاد الالبانيين فذهب السلطان اليها وفى سنة ٩٤٤ أدب العصاة وأعاد بها الأمن ومات أياس باشا بمرض الطاعون وعين بدله للصدارة لطفى باشا وبعد مدّة وجيزة عزل وعين بدله سليمان باشا وفى هذا الحين اعتدت دولة الونديك على أسطول الدولة فغضب السلطان وذهب اليها واستولى على بعض قلاع (وقرى) ثم عاد الى الاستانة وفى سنة ٩٤٥ اتفق أمير بغدان مع البابا واسـبانيا والونديك وتسلطوا على بلاد الدولة فذهب السلطان بجيشه الى بغدان فشتت شمل عساكر الاعداء وهرب حاكم بغدان فولى بدله غيره ولم أعرف اسمه وفى هذا العام طلب (جهان بناه) ملك الهند اعانة من السلطان

(١٦) الاتفاق

فارسل اليه سليمان باشا بجملة سفن حربية وأرسل أيضا خير الدين باشا والى الجزائر بباقى أسطول الدولة للانتقام من الدول المتفقة مع حاكم بغدان السالف ذكره فقابله الاميرال أندريه دورية المشهور باساطيل الدول المتفقة فاقتتلوا قتالا هائلا حتى احمر البحر من كثرة الدماء وأخيرا انتصر خير الدين باشا واستولى على جملة مراكب وجزائر (اسكيروس) و (اسكنوس) و (اندره) و (كربه) وفى سنة ٩٤٦ تحصن اندريا الاميرال المذكور فى قلعة (نوه) فذهب اليه خير الدين باشا فدمرها وأسر من فيها فأرسلت دولة الونديك فى سنة ٩٤٧ سفراء بطلب الصلح على أن تدفع ثلاثمائة ألف ذهب علاوة على ما استولى عليه السلطان فى أثناء الحرب فقبل منها وتم الصلح وفى سنة ٩٤٨ توفى بانوس ملك المجر المنصوب من قبل الدولة كما تقدم فتداخل دولتا أوستريا وألمانيا فى أمر بلاد المجر وهجما عليها فارسل السلطان الوزير الرابع محمد باشا وخسرو باشا والى روملى برا وخير الدين باشا بحرا وتوجه هو على أثرهما فبوصوله الى هناك طرد الاعداء وأدب رؤساء العصاة من المجر المنضمين الى الدولتين المذكورتين ثم وجد أن ابن الملك المتوفى قاصرا فأجلسه ملكا ونصب مارتيشوز وصيا عليه لحين بلوغ رشده واستولى على قلعتى (اسطبورد) و (زنشوه) وأهلك خير الدين باشا كثيرا من عساكر المانيا ثم عادوا الى الاستانة وفى سنة ٩٤٩ أرسل ملك أوستريا سفيرا الى الاستانة يطلب أن يكون ملكا على المجر أيضا ويدفع سنويا مائة ألف ذهب ويركو وأعقب ذلك انه هجم على قلعة بودين وحاصرها فغضب السلطان وذهب اليه وهذه عاشر دفعة الى بلاد المجر فبوصوله هرب محاصروا القلعة فدخل سنة ٩٥٠ فى بلاد أوستريا وبعد قتال استولى على قلاع (البوسيقلوس) (واسترغدن) و (استونى) و (بجوى) ثم عاد الى الاستانة وفى سنة ٩٥١ مات محمد بن السلطان والى مغنيسا وأحضرت جنازته الى الاستانة وفى هذا العام التجأت دولة فرانسا الى السلطان فى طلب امداد فأرسل خير الدين فأنقذها واستولى على قلعة (مسنيا) ومدينة (نيسا) وفى سنة ٩٥٢ استولى على

الاتفاق (١٧)

قلعتى (ويشغران) و(حبطوان) ثم حصل الصلح مع أوستريا بترك الحرب ثمانية عشر شهرا وفى سنة ٩٥٣ حصلت المعاهدة بينها وبين الدولة على أنها تدفع للسلطان ثلاثين ألف ذهب بواسطة امبراطور المانيا ودولة فرنسا وجمهورية الونديك مظهرين الاتفاق بينهم وفى سنة ٩٥٤ هرب ميرزا القاضى أخو طهماسب من أخيه المذكور والتجأ الى السلطان شاكيا من ظلم وغدر أخيه وانه لا يليق أن يكون شاها فبناء عليه هجم الشاه المذكور على بلاد الدولة سنة ٩٥٥ فغضب السلطان وسلم عساكر الاناضول لميرزا القاضى فى أخذ بلاد العجم من أخيه وضمها الى بلاد الدولة ويكون هو الشاه من قبل الدولة فذهب اليها ودخلها وفى سنة ٩٥٦ وصل السلطان أيضا الى تبريز واستولى على بلاد قارص وبايزيد وغيرهما ثم عاد الى حلب لتمضية فصل الشتاء هناك وفى سنة ٩٥٧ عاد السلطان الى الاستانة أما ميرزا القاضى فانه لم يحسن السياسة الحربية بل مكن فيه الاعجام فقتلوه وعادت العساكر العثمانيون وفى سنة ٩٥٨ اعتدت دولة أوستريا على البلاد الاسلامية المجاورة لها فأرسل السلطان محمد باشا أمير أمراء روملى بجيش فعبر به نهر الطونا وتغلب على الاعداء واستولى على قلاع (جنات) و(ليبوه) و(بجكرك) و(صولنق) ومدينة (طمشوار) فاتحد فرديناند ملك النمسا ولوى ملك بلونيا وجمعا عساكر كثيرة وتحاربا مع محمد باشا المذكور واستردا قلعة ليبوه ولما بلغ السلطان ذلك عين أحمد باشا الوزير الثانى سردارا على بلاد المجر وأرسله بجيش عظيم وفى سنة ٩٥٩ هجم على الاعداء المتفقة وانتصر عليهم واسترد القلعة المذكورة واستولى على أغلب أموال وذخائر الاعداء وفى أثناء ذلك استولى طهماسب شاه العجم على بلاد أرضروم لخلوها من العسكر الكفاية فعين السلطان أحمد باشا المذكور سردارا على الشرق ومضى هو على أثره وفى سنة ٩٦٠ وصل الى يكى شهر وأرسل ابنه بايزيد محافظا على أدرنة وأخذ معه ابنه سليما وفى أثناء ذلك عزل السلطان رستم باشا عن الصدارة وعين بدله أحمد باشا قيل ان السبب فى ذلك هو أنه أورى

الاتفاق (١٨)

السلطان أن ابنه مصطفى مغرم بحب السلطنة لنفسه ويوشك أن يؤامر السلطان فأثر كلامه على أفكار السلطان خصوصا وهو ذاهب الى الحرب فأمر بقتله فقتل ثم ندم لحصول الشك عنده فأدّبه بالعزل وأعقب ذلك وفاة ابنه جهانكير فحزن عليهما كثيرا ثم أتم سفره فوصل الى صحراء قارص ثم أرسل للشاه جوابا يدعوه به للحرب فلم يحضر وفى سنة ٩٦١ أغار على عشائر (شرابخانة) و (نيل فراق) و (بيك أرون) حتى وصل الى (أسراباد) فلم يقابلهم الشاه فأرسل الصدر الاعظم له جوابا يدعوه للحرب وفى سنة ٩٦٢ أرسل الشاه سفيرا يطلب الصلح ويترك قلعة قارص وما حولها من البلدان للدولة العلية فقبل منه السلطان وعاد الى الاستانة وفى سنة ٩٦٣ اعتدت اسبانيا وايطاليا فأرسل السلطان الاميرال طورغود الى سواحلهم فضربها وعاد بالغنائم منصورا ثم تسلط اسطول دولة البرتغال على سواحل بحر عمان فاضطر السلطان لارسال الاسطول العظيم الموجود بالبحر الاحمر فدخل فى مينا مسقط والهرمز وطرد أسطول البرتغال من هناك كليا وفى أثناء ذلك اعتدت اسبانيا على بلاد الغرب بضرب سواحلها فأرسل السلطان بياله باشا الاميرال المشهور ومعه صالح باشا فطردا الاسبانيين من سواحل البربرية وفى سنة ٩٦٤ اعتدى المستحفظون الالمانيون الموجودون بالحدود فقابلهم المستحفظون العثمانيون بالمثل ثم تغلب العثمانيون ودخلوا فى الحدود واستولوا على بعض قلاع فاعتذر الامبراطور فرديناندوس وطلب الصلح على أن يدفع سنويا مائتى ألف ذهبا بشرط أن يكون ملكا على بلاد المجر وأردن فقبل السلطان الاول وهو الصلح البسيط بعدم الحرب ولم يقبل الثانى أى أخذ المائتى ألف الذهب وأعطاء المملكتين المجر والاردن وفى سنة ٩٦٥ أغرى بعض المفسدين أعداء الدولة من جهة ايران بايزيد بن السلطان على أخذ ولاية صاروخان من أخيه سليم فجمع عسكره وحارب أخاه ثم انهزم وهرب سنة ٩٦٦ والتجأ الى شاه العجم وسكن بمدينة تبريز خوفا من أبيه وفى سنة ٩٦٧ قتل شاه العجم بايزيد المذكور وأولاده الخمسة فأحضروا

الاتفاق (١٩)

جنازاتهم الى ســيواس وفى هذا العام اعتدت اسـبانيا واستولت على جزيرة صربه وفى سـنة ٩٦٨ ذهب بياله باشا و الرئيس طورغود فشتتا شمل سفن اسـبانيا وأسرا أميرالها وابن أميرال آخر واسـتردا الجزيرة ثم عاد الى الاستانة وفى سنة ٩٦٩ تحررت المعاهدة فى مدينة فرانكفورت بين الدولة وأوستريا بدفع ثلاثين ألفا ذهبا ويركو سنويا من طرف الثانية وفى سنة ٩٧٠ أرسلت دولتا ايطاليا و بولونيا سفراء بطلب الامتيازات التجارية فأجيبا وفى سـنة ٩٧١ حصل بالاستانة سيل عظيم فخرب بيوتا كثـيرة وكبارى وغير ذلك مما أوجب صرف نصف مليون ذهبا لاعادة ما هـدم وفى سنة ٩٧٢ تكرر تعرض أهالى جزيرة مالطة فغضب السلطان وجهز أسطولا و أرسـله الى الجزيرة بقيادة بعض المأمورين فمن سوء تدبير حركاتهم عادوا بلا ثمرة وفى سـنة ٩٧٣ حصل اختلال فى بلاد المجر فذهب السلطان بعساكره اليها وبوصوله الى تاتاربازار أصابه مرض النقرس واشتد عليه فتجلد حتى وصل الى صحراء ذمون وفى سنة ٩٧٤ حاصر قلاع (أوسك) (وسكنوار) وغيرهـا واستولى عليهم ثم اشتد به المرض فتوفى فى ٢٣ صفر رحمه الله رحمة واسعة

الاتفاق (٢٠) (واقعة مهولة) فى سنة ٩٧٤ قبل وفاة السلطان وقيل فى سنة ٩٧٥ اتفقت حكومات أوربا على محو الدونانمة العثمانية فجمعت قوة هائلة مركبة من خمسمائة وثلاثين سفينة حربيـة متنوعة فاضطرب فكر السلطان وطلب خـير الدين باشا الشهير والى الجزائر وكان فريد عصره فى فنون الحروب البحرية فحضر وعينه السلطان أمير الاعموميا وأمر كافة الاميرالات بطاعته وفوّض اليـه الامر فقام هذا البطل بهذه المأمورية المهمة أحسن قيام وذلك أنه تفقد سفن الدولة العلية الحربية وفرز منها ثلاثمائة وخمسين سفينة من أجودها و فرز من الضباط والعساكر مالزم ثم ذهب لمقابلة الاعداء ثم فرز من هـذا القدر مائة وعشرين سـفينة من أجودها وجعـل الباقين كالحصن حسب فن ذلك الوقت وهاجم الاعداء بالمائة والعشرين سـفينة بمهارة فائقـة فاشتدت الحرب وتزايد كربها ثم انتصر على

الاعداء انتصارا باهرا فأغرق البعض وأحرق البعض واسر البعض وشتت شمل الباقى ثم عاد الى الاستانة فجعل السلطان استقباله كاستقبال الملوك وأنعم عليه بانعامات فائقة الحد وبالاسف أن هذا الباشا والسلطان سليمان ماتا فى سنة واحدة ثم تعصبت الدول واعدّت قوة بحرية هائلة لاخذ ثاراتهم ومحو الدونانمه العثمانية وتمكنوا من ذلك كما سيأتى وقد وافق تاريخ وفاة السلطان سليمان هذه الكلمات (شهيد رآه حق سلطان سليمان) ومآثره الخيرية فى بناء المساجد والمدارس وغيرها لاتحصى أما أولاده فهم مصطفى ومحمد وسليم وبايزيد وجهانكير وابنته مهرماه توفى فى حياته جميع الذكور كما تقدم ماعدا سليما

(أسماء معاصرى السلطان سليمان من الملوك والامراء وجهاتهم)

أوربا

فرانسا ...... فرنسو الاول .... ملك

انجلترا ..... هانرى الثامن ثم أنسروه

اسبانيا ..... } الامبراطور شارلكان .... امبراطور
المانيا ......

البورتغال ... أمانويل ثم جان الثالث .... ملوك

روسيا .... ايوان الثالث ثم واسيل الثالث

آسيا

العجم .... طهماسب .... شاه

شيروان .... الشيخ شاه

الهند ...... السلطان علاء الدين ثم بهلول ثم نظام

لاهود ..... الشاه محمد ثم حسين

١١ السلطان سليم خان الثانى

ولد المشار اليه فى ٦ رجب سنة ٩٣٠ وتولى السلطنة فى سنة ٩٧٤ وعمره أربع وأربعون سـنة ومدّة سلطنته ثمان سنين وخمسة أشهر وفى ثالث يوم من جلوسه ذهب الى بلغراد لاستقبال الجيش فبوصوله عملوا جلوسه وقد حصل فى أثناء عودته للاستانة من اليكيجريين اختلال كثير فأظهر محمد باشا صوقوللى الصـدر الاعظم حزما ونشاطا فى مجازاة الرؤساء المتسببين فى الاختـلال وأوقف كلا منهم عند حدّه لكن سبب الاختلال هو عدم وجود النقود فى مالية الدولة وتأخير مرتبات العساكر لمدة طويلة حتى حصل لهم صعوبات جمة فى عودتهـم للاسـتانة ولما وصلوا اليها تصادف وصول بيالة باشا الاميرال عائدا من ايطاليا بغنائم كثيرة فتمكنت الدولة من صرف بعض المرتبات المتأخرة للجيش ثم أمر السلطان باعمـال زينة فاخرة شكرا لله على انتصار الدولة فى الحرب واعلانا للجلوس ولتحويل أفكار العامة من حدوث الاراجيف وفى سنة ٩٤٥ جاءت الهدايا من دولة العجم وبولونيا على أيدى السفراء وفى سنة ٩٧١ عصت الاعراب الساكنون فى شواطئ بغداد وبصره فحاربهم والى البصرة وظهر فى الوقت نفسه اختـلال عظيم فى اليمن فدخـل أغلب الجهات فى يد من يدعى مظهرا من مشايخ الزيدية المنسوبين الى زيد بن على بن زين العابدين بن سـيدنا الحسين فأرسل اليـه السلطان مصطفى باشا والى الشام سردارا وعثمان باشا بوظيفة أمير أمراء وعـين سنان باشا أخا اياس باشا واليا على مصر فبأسـباب ما كان بين سـنان باشا وبين الباشوين المذكورين قبله من المنافسات أجبرهما على الهروب وتحصل هو على سردارية اليمن فذهب اليها ولمضى زمن طويل بين ظهور الاختلال وبين وصوله استولى الشريف مظهر المذكور على جميع بلاد اليمن فاهتم سـنان باشا بفتح اليمن ثم مات الشريف المذكور وانهزم من كان معـه من الاعراب فتم الفتـح ولقب بفاتح اليمن وفى هذا العام حصل اختلال بطرابلس الغرب فارسل السلطان

أسطولا فأعيد الأمن فيها وفى أثناء ذلك استغاث أهالى الأندلس الباقين الذين طردوا من غرناطة الى الجبال من مطاردة الاسبانيين لهم فأرسل السلطان امدادا الى محمد المنصور من سلالة الملوك المنقرضة بالاندلس فتغلب على الاسبانيين وحاصر غرناطة وكاد أن يستردّها واذا بمدد كبير أتاه من حكومات الافرنج الاسبانيين فطلب محمد المنصور من الدولة العلية امدادا جسيما ولمشغوليتها فى طرابلس الغرب وفى قبرص وحرب اليمن وغيرهم لم يتيسر ارسال امداد آخر فاضطر محمد المذكور الى ترك حصار غرناطة وفى سنة ٩٧٧ رأت الدولة صعوبات زائدة فى ارسال العساكر الى حدود الشرق عند اللزوم فعزمت على حفر وتوسعة نهر وولغا الذى يصب فى بحر الخزر ليصلح لمرور السفن الحربية والنقالة لسهولة ارسال العساكر والمهمات كما ذكر فعينت قاسم باشا الشركسى سنجقا على كفة وأحالت عليه هذه المهمة وأرسلت الاوامر الى دولة كراى خان قريم باعانته بما يلزم وأعطت لقاسم باشا ستة عشر ألف عامل وثلاثة آلاف يكيجرى وعشرين ألفا من فرسان الاتراك وخمسين من فرسان التتر وما لزم من المهمات كالفوس والكركات وغيرهما فاهتم قاسم باشا بالعمل حتى أنهى ثلثيه غير أن الروسيا دست الدسائس بين التتر والعمال بواسطة الجواسيس قائلين لهم ان البرد لايطاق فى هذه المنطقة فبحلول فصل الشتاء تموتون من البرد فاشيعت هذه الاقوال بين العساكر والعمال فحصل هياج و اختلاف فوعظهم قاسم باشا وقال لهم أن هذه دسائس من الروسيا ولا أصل لهذه الاقوال وان بلاد الروسيا أبعد من هذه المنطقة شمالا فما بالهم لايموتون فلم يسمعوا مقاله بل تفرّقوا وتركوا العمل وانصرفوا الى بلادهم فتبدّدت المهمات والذخائر فغضب السلطان على الصدر الاعظم غضبا شديدا غير أن مصطفى باشا لاله (١) تكلم مع السلطان بما يوافق مشربه ويسكن غضبه مجاملة للصدر الاعظم ومحو ما كان بينهما من الضغائن والعداوة فسكن غضب السلطان ونجا الصدر الاعظم من الخطر ثم ذهب خان قريم بثلاثين ألفا من

(١) اى مربى السلطان

الشجعان الفرسان وما لزم من البيادة الى بلاد الروسيا للانتقام فى نظير الدسائس الماضية فخرب مدينة موسكو وفى هذا العام أتمت دولة أوستريا تنظيم عساكرها أخذا من نظام الدولة العلية بعد اشتغالها مدة عشرات من السنين تقصد بذلك مقاومة عساكر الدولة العلية وفى سنة ٩٧٨ عين مصطفى باشا اللاله المذكور سردارا على قبرص بناء على التماس الصدر الاعظم مكافأة له على ماسبق من تسكين غضب السلطان عليه كما تقدم وكان معه خمسون ألفا من العساكر رماة البنادق والطوبجيــة واللغمجيــة ومائة وخمسون سفينة بقيادة بيالة باشا وعلى باشا أولوج فذهب وحاصر قبرصا ولمتانة الحصون والاستحكامات والقلاع مكث ستة شهور وأخيرا أطلق المدافع بشدّة على مدينة ماغوسه فاضطر الاهالى الى التسليم ورغبوا نقلهم الى جزيرة كريد وأما صاحب قبرص المدعو براغازينو فأنه قتل جميع أسراء المسلمين ثم تزيى بزى الونديكين بالملبوس الاحمر وأراد الهروب فلما بلغ ذلك مصطفى باشا أخرج أسراء الافرنج وقتلهم ثم قبض على براغازينو المذكور وقتله وقيل ان المذكور بعد ان تزيى بزى الونديكين كما تقدم خرج من القلعة ودخل وسط الجيش العثمانى لامر مجهول فضبط وقتل نظير قتله لاسراء المسلمين وقد لام بعضهم مصطفى باشا على ذلك وقيل ان الافرنج جعلوا فى تواريخهم هذه المسألة من أشنع الفظائع مع أن البادى أظلم وهو براغازينو فى قتله الاسراء ولم تكن فظائع اسبانيا ضد الأندلسيين فى نظرهم شيأ مذكورا وما هذا الا من التعصبات القديمة والحديثة

المحاربة البحرية الهائلة

قد تقدم واقعة فتح قبرص ولقد هلك فيها نحو الخمسين ألفا من المسلمين ويقال ان سبب هلاك هذا القدر العظيم هو جهل مصطفى باشا المذكور عن الادارات الحربية وسوء تدبيراته فاتحدت حكومات الونديك واسبانيا والبابا وايطاليا ومالطة وغيرهم على محو الدونانمة العثمانيــة فجمعوا قواهم البحرية برئاسة الاميرال

(الاتفاق ٢١)

المشهور المسمى دو نجوات بن الامبراطور كارلوس الخامس وفى جمادى الاول سنة ٩٧٩ جهزت الدولة مائة وثمانين سفينة بقيادة على باشا بن المؤذن وعلى باشا أولوج والى الجزائر وجعفر باشا والى طرابلس الغرب وحسن باشا بن خير الدين باشا المشهور وجميعهم تحت رئاسة برتو باشا الوزير الثانى فاختلفت الباشوات فى الآراء فمنهم على باشا أولوج قال ان قوّتنا البحرية ناقصة وضرورى من استكمالها لاول ربيع القادم وكرر ذلك ولرغبة محمد باشا الصدر الاعظم فى كسر نفوذ برتو باشا المذكور لم يصغ لمذكرات على باشا المذكور بل استمال فكر على باشا بن المؤذن فى ترجيح الدخول فى الحرب حالا ثم قال على باشا أولوج لعلى باشا بن المؤذن بعدم لزوم التوغل بالسفن فى عرض البحر ونادى بذلك بأعلى صوته مرارا فلم يقبل قولا منه انى لاأظهر شبه فرار حتى يقول الاعداء فرت الدونانمة العثمانية بل أسرع بالهجوم فغضب على باشا أولوج وناداه ثانيا وقال ان الهوى ضدّ مراكبنا وصالح لمراكب الاعداء فلم يصغ لقوله وأما الاعداء المتفقون فان الهوى كان مساعدا لهم فرتبوا سفنهم ترتيبا حسنا واستعدّوا للمقاومة والمدافعة فوقع قتال فى محل يسمى قاتلى بورون بقرب موره ومعناه الانف الدامى فاستشهد على باشا ابن المؤذن من سفينة اسبانية وابنه مات محترقا وتكسرت سفينة برتو باشا الوزير الثانى ووقع فى البحر فأخرجوه حيا بالحبال وأما على باشا أولوج فأنه أظهر من الشجاعة والمهارة فى تفريق واغراق سفن الاعداء مايحير الافكار وهو السبب الوحيد فى عدم استئصال دونانمة الدولة ولقد مات أكثر من ثلاثين ألفا من المسلمين خلاف من أسر من العساكر والذوات فقطعوا رؤسهم وعلقوها على صوارى السفن المأسورة وعلقوا الرايات والاسلحة منكسين احتقارا وانتقاما وتشفيا وكان المنظر بشيعا هائلا والخسائر على الدولة جسيمة والسبب فى ذلك كله حصول الاختلاف والضغائن والغايات الشخصية كما تقدّم فلما بلغ ذلك السلطان اغتاظ غيظا شديدا وأما الصدر الاعظم فأنه ندم على مافرط منه لانه لم يحسب أن الحالة تبلغ لهذه الدرجة فاهتم اهتماما زائدا فى تزايد القوّة البحرية ونظامها وأعقب

هـذا الانكسار ان الاسبانيين استأصلوا بقايا المسلمين بالاندلس بقتلهـم الا من هرب الى أفريقيا حتى صارت أوربا من جهـة الاندلس خالية من كل مسلم ولم تقتنع اسبانيا بذلك بل طردتهم بعـد الاستيلاء على جميع أملاكهم وديارهم الى أفريقيا واستولت على بعض جهات منها أيضا وأعانتها ملوك تونس من بنى حفاض وملوك فاس تملقا ولم يتم ذلك بل تسلطت اسبانيا على سواحـل تونس فأرسل السلطان على باشا أولوج صاحب الذكر الحسن آنفا بعـد ان غير لقبـه بلقب قليج ومعناه السيف ومعه دونانمة الدولة وذهب فى سنة ٩٨٠ الى سواحل تونس فطرد عساكر اسبانيا منها وشتت شمل دونانمة مالطة واستولى على تونس ونصب حيدر باشا وكيلا عنـه ببعض عساكر قليـلة فما كان من السلطان حسن حاكم تونس سابقا الا انه التجأ الى اسبانيا وطلب منها عساكر لاسترداد تونس من الدولة العلية وفى نظير ذلك يكون لاسبانيا السواحل والكمارك فقبلت منه وأرسلت جيشا مع حميد بن السلطان حسن المذكور الى تونس فقابلهم حيدر باشا بالف من العساكر ولم يثبت لقلة عساكره بل هرب واستولى حميـد بعساكر اسبانيا على تونس وكذلك استولت ايطاليا على طرابلس الغرب التى كانت مستقلة يومئذ فغضب السلطان من تلك الاحوال وأرسل سنان باشا سردارا ومعـه بعض عساكر فحاصروا تونس ولما وجـد سنان ان السلطان حسن سلم بلده الى اسبانيا أمر بضبطه فضبط ثم فتحت القلعة وقلعة حلق الوادى وغيرهما وشكل ولاية فيها وفى سنة ٩٨١ أتم السلطان سليم بناء الجامع المشهور باسمه فى أدرنة وبنى كوبريا جسيما فى قصـبة چكمجه ورمم جامع أبا صوفيا الشهير بالاستانة واشترى البيوت الملتصقة وجعل مكانها ميدانا ومدرسة وفى سنة ٩٨٣ فى شهر رمضان وقع السلطان فى الحمام الجديد فى السراية بزلقة رجليه فكانت سببا فى موته رحمة الله عليه وكان له ستة أولاد مراد ومصطفى وسليمان وعثمان ولم أقف على أسماء الاثنين الآخرين

﴿ أسماء الملوك والامراء المعاصرين للسلطان سليم خان الثانى وجهاتهم ﴾

أوروبا

الروسيا ..... قدور الوانويج .... حاكم

بولونيا ..... سيزسمند الثانى ثم هنرى من بيت جاجا .... حاكم

ألمانيا ...... كارلوس الخامس ثم شارلكان ثم فارديناندو .. امبراطورات

فرانسا ...... فرانسو الاول .... ملك

اسبانيا ..... فليب .... ملك

ونديك ...... بترو ثم مونوستايانكو ثم يانكولاسى .... رئيس الجمهورية

ايطاليا ...... بابا الخامس ثم غراغور الثالث عشر ثم غراغور الرابع عشر

انجلترا ..... هنرى السابع ثم ادوارد ثم جان غراى مارى

البرتغال .... فليب بن شارلكان ثم فليب الثانى ثم فليب الثالث ثم فليب الرابع ثم جان الرابع .... ملوك

ايران ...... طهماسب ثم ابنه حيدر ميرزا ثم بعد خلعه اسماعيل ميرزا ثم بعد خلعه عباس

الصين ...... شينغونغ ثم مونسنغ ثم ابنه سينغونغ ..... امبراطورات

الهند ...... همايون ثم جلال الدين محمد الاكبر ومات بالسم ثم سليم جهانكير .... شياه

١٢ السلطان مراد خان الثالث

ولد المشار اليه فى سنة ٩٥٣ هجرية الموافق سنة ١٥٤٤ ميلادية وجلس فى سنة ٩٨٢ فى أول رمضان بالغا من العمر تسعا وعشرين سنه ومدّة سلطنته عشرون سنة وفى أول جلوسه أعطى مائة وعشرة آلاف ذهبا للوزراء والينكيجريين

لاستجلاب محبتهم له (ولا يخفى أن هذه العطية قد جلبت المضار لانه ترتب عليها انها صارت عادة وأن من تأخرعنها من السلاطين كان يرى التعب من اليكيجريين وغيرهم من أصحابها حتى صاروا يتمنون تجديد السلاطين لاجل هذه العادة ويسعون فى ذلك) وأما الصدر الاعظم محمد باشا فانه كان ذا ثبات وحزم مستمرا فى تزايد القوة البحرية خوفا من دول أوروبا ومن جهة أخرى جذب اليه ملوك أوروبا وعقد معهم المعاهدات بمنع الحرب وبالمعاهدة التجارية وذلك مع ملك بولونيا وامبراطور المانيا وجمهوريات الونديك وفرنسا واسبانيا وانجلترا وذلك فى سنة ٩٨٣ و ٩٨٤ وفى هذا العام حصلت منازعات بين حكام المغرب فأرسل ملك البرتغال جيشا عظيما واحتل افريقية فأرسل السلطان رمضان باشا والى الجزائر امدادا لحاكم فاس فوقع الحرب واضمحلت عساكر البرتغال وانقذت منهم فاس وقد عرض عليه حاكمها الانقياد للخلافة وقدم مائتى ألف ذهبا وفى سنة ٩٨٥ لم يحصل أمر ذو بال انما سعى شمسى باشا المخالف للصدر الاعظم لدى السلطان برؤية بعض الاعمال لدى السلطان مباشرة بغير واسطة الباب العالى وفى سنة ٩٨٦ كثر الاختلال فى الممالك الايرانية وأوجب حدوث الفتن فى الحدود فعين مصطفى باشا سردارا للشرق فذهب الى كرجستان فقابله (توقاق خان) سردار عساكر ايران بثلاثين ألفا فوقع الحرب ورجع توقاق منهزما وفتحت العساكر العثمانية (كرجستانا) حتى وصلت العسكر الى مدينة (تفليس) فعين عثمان باشا حاكما على جهة شروان وعين جعفر باشا واليا على كرجستان ومحافظا على قلعة تفليس وفى سنة ٩٨٧ أرسلت حكومة ايران أربع فرق جسام من العساكر لاسترداد هذه البلاد فشتت عثمان باشا فرقتان منها والاثنتان الباقيتان حاصرتا شروان بعد أسر عادل كراى أخى خان قريم رئيس عساكر التتر فأسرع الخان المذكور لخلاص أخيه فلم يتيسر لدخول فصل الشتاء وفى هذا العام دخل شخص بوشناقى الجنس على الصدر الاعظم مظهرا اعطاء ورقة له فلما قرب منه أخرج خنجرا وضربه به فجرحه جرحا بليغا فعين بدله احمد باشا الوزير

الثانى للصدارة العظمى وعين سنان باشا أيضا سردارا فأسرع بالذهاب الى الجيش وفى سنة ٩٨٨ مات الصدر الاعظم الجديد بمرض المثانة وعين بدله مصطفى باشا لاله و بعدذلك بقليل صار سنان باشا صدرا أعظم وفى سنة ٩٩٠ مات حمدى أفندى شيخ الاسلام و أعطى مسند الفتوى لمحمد أفندى ابن القاضى وفى هذا العام أشاع الصدر الاعظم بأن دولة ايران أرسلت سفيرا فبدّل المحاربة بالمصالحة ثم ظهر أن ذلك حيلة منه فعزل وعين بدله (سياوش باشا) وفى سنة ٩٩١ عين (فرهاد باشا) سردارا وأخذ عساكر جديدة وذهب بهم الى الجيش ومات فى هذا العام (فريدون بك) المنشى الشهير ووالدة السلطان أيضا وعين السلطان ابنه محمدا واليا على مغنيسا وفى سنة ٩٩٢ عصى محمد كراى خان قريم وحاصر عثمان باشا فى كفه فأرسل اليه على باشا القابودان بعشرة آلاف من اليكيجريين امدادا لعثمان باشا المذكور فوقع الحرب وأخذ خان قريم أسيرا وعين بدله اسلام كراى خانا على قريم ثم ان عثمان باشا المذكور فتح جهات كثيرة من طاغستان ثم عاد الى الاستانة فأكرمه السلطان وعينه صدرا أعظم وفى سنة ٩٩٣ حصل بعض اختلال فى قريم فقام الصدر الاعظم بالجيش ولما بلغ الى قسطمونى جاءه الخبر باستتباب الامن فى قريم فعاد الى الاستانة وأعقب ذلك ظهور طاعون مات به بعض أولاد السلطان وفى هذا العام أرسل السلطان ابراهيم باشا الى مصر للاصلاحات فتصادف عصيان ابن معن حاكم الدروز فتحوّل تأديبه على ابراهيم باشا المذكور وبعد اتمام هذه المأمورية على أحسن حال عاد الى الاستانة فأكرمه السلطان واتخذه صهرا له وفى هذا العام تحركت عساكر ايران على الحدود العثمانية فذهب الصدر الاعظم وبوصوله الى تبريز وقعت محاربة عظيمة فانتصر العثمانيون وأعقب ذلك مرض الصدر الاعظم ووفاته رحمة الله عليه ونصب يوسف باشا ابن جغال وكيلا عنه فعاد وكيله المذكور بالجيش الى الاستانة وعين مسيح باشا صدرا أعظم وفى سنة ٩٩٤ عاد الايرانيون الى التعدّى على الحدود فذهب فرهاد باشا بجيش وعزل مسيح باشا من الصدارة وعين بدله سياوش باشا ولما

وصل فرهاد باشا الى تبريز وقعت محاربة هائلة فانتصر العثمانيون واستولوا على تلك الجهات فاضطرب الشاه فى أمره وأرسل أخاه ميرزا حيدر الى الاستانة رهنا وطلب الصلح على شرط ترك جميع البلاد التى استولت عليها الدولة العثمانية لها فقبل السلطان وسحب جيشه وفى هذا العام مات على باشا القبودان وعين بدله ابراهيم باشا وفى سنة ٩٩٥ عاد شاه العجم للهجوم على البلاد العثمانية فذهب اليه فرهاد باشا وحصلت جملة وقائع حربية وطالت المدة فحصلت مضايقات فى مالية الدولة أوجبت ترك صرف مرتبات العساكر وعلوفات الخيول فثارت العساكر بالاستانة وهجموا على محمد باشا ناظر الضربخانة ومحمود أفندى الدفتردارى ناظر المالية وقتلوهما وهجموا على السراية مرارا ثم اتسعت نازلة الفتنة فى الولايات فاهتم بعض الولاة وبالاخص واليا بودين وتبريز فانهما قتلا نحو ألفين من العصاة فسكنت الفتنة نوعا فلما رأى ملك بولونيا هذا الاختلال فرح وأدخل عساكره الحدود العثمانية فارسلت الدولة الى خان قريم بالاغارة على بلاد بولونيا وفى سنة ٩٩٦ ظهر شخص سمى نفسه الشاه اسماعيل الشاه المشهور فى كردستان وسعى فى الارض فسادا فحاربه والى أرضروم وضبطه وقتله وفى سنة ٩٩٧ حصل حريق هائل بالاستانة عزل بسببه أغا اليكيجريين وفى سنة ٩٩٨ مات أويس باشا والى مصر وتعين بدله أحمد باشا وفى رواية كان ذلك فى سنة ٩٩٩ وفى هذا العام ظهر من اليكيجريين بعض عصيان انبنى عليه تعيين فرهاد باشا صدرا أعظم وفى سنة ١٠٠٠ اضطرت الدولة الى اقتراض مالزم لصرف مرتبات العساكر وهذا أول قرض اقترضته الدولة وفى سنة ١٠٠١ التجأ أحمد خان حاكم كيلان الى السلطان من هجوم شاه العجم عباس على بلاده وفيها حصلت مضاربة بين بعض العسكر وبين بعض خدمة السراية انبنى عليها عزل الصدر الاعظم وشيخ الاسلام فعين سنان باشا للصدارة وزكريا أفندى للمشيخة وفى سنة ١٠٠٢ ذهب الصدر الاعظم الى بودين لعصيان بعض من المجر وفيها عمل السلطان وليمة لاجل مصاهرة خليل باشا له وصرف فيها أكثر من مائتى ألف كيس

وفى سنة ١٠٠٣ امتدّت الحرب فى بلاد المجر وفتحت قلاع (سانمارتون) و (بابا) و (يانك) ثم عصى حكام افلاق وبغدان وقتلا فى مدينتى بكرش ويركوى آلافا من العثمانيين وقد اعتدت النمسا بجيش عظيم على بلاد الدولة فاهتمت الدولة العلية بجمع جيش عظيم وأخرجت الراية الشريفة واذا بالسلطان مراد قد مرض ومات فى خامس جمادى الاولى من هذه السنة رحمه الله تعالى

(أسماء الملوك المعاصرين للسلطان مراد وجهاتهم)

أوروبا

انكلترا ..... ايلزابت .... ملك

فرنسا ...... هانرى الرابع ثم ابنه لوامى الثالث

اسكوجيا .... مارى .... حاكمه

بلونيا ...... هانرى ثم اسطفان ثم ملك اسوج سيزسموند

ونديك ..... نيكولاسى دابونت ثم جرمانى

ألمانيا ...... امبراطور فرديناندہ ثم ابنه ماقسى مليان ثم رودلف ثم بعد خلعه أخوه مايتاسى

اسبانيا ..... فليب

الروسيا ..... فدور ثم بعد موته بالسم غودون دوق ثم ابنه فيؤدور الثانى

برتغال ..... جان الرابع ثم ابنه الفونس

فلمنك ...... كليوم الاول ثم كليوم الثانى

دانيمارك .... فردريك الثانى ثم كرستيان الثالث

آســيا

الهند ...... سليم جهانكير

ايران ...... عباس الاول ثم حيدر ثم اسماعيل

خوارزم . . . . حسن قوللى خان ثم بوصعه خان ثم صوفى خان ثم أويس خان
ثم يوسف خان أبو يوسف خان ثم افكللى خان ثم يونس خان
ثم دوست خان ثم نورم خان ثم الشاه عباس شاه ايران

١٣ السلطان محمد خان الثالث ابن السلطان مراد الثالث

ولد المشار اليه فى سنة ٩٧٤ فى ولاية صاروخان وجلس فى سنة ١٠٠٣ هجرية الموافقة ١٥٦٥ ميلادية بالغا من العمر تسعا وعشرين سنة

(واقعة محزنة)

لما مات السلطان مراد الثالث كان ابنه محمد هذا واليا فى مغنيسا ففى أثناء حضوره حصل من أخوته البالغ عددهم تسعة عشر القال والقيل فلما وصل محمد الاستانة ليلا وأخبر بذلك مع زيادة من أصحاب الاغراض وسوس له الشيطان بأن الفتنة لاتدفع الا بقتلهم فقتلوا ثم ندم وشتت أغلب أهل السراية وعزل جميع الوزراء ومنع تولية أحد من أولاد السلاطين واليا فى احدى الجهات بعدئذ

وقد تقدم ذكر عصيان حاكمى افلاق وبغدان فانضم اليهما حاكم أردل وهجم ميخال بك حاكم افلاق على خان قريم وشتت شمل عساكره وأحرق سواحل البحر الاسود ونهر طونه وقلعة روسجق فعزل سنان باشا من الصدارة العظمى وعين بدله فرهاد باشا الذى كان وكيلا عنه وفى سنة ١٠٠٤ عين سنان باشا المذكور مأمورا لاصلاحات السواحل المذكورة والجهات التى خربت كما تقدم فما كان منه الا أنه استعمل وسائط عجيبة حتى تحصل على اعادته للصدارة ولم يكتف بذلك بل ألقى للسلطان ماأوجب اعدام فرهاد باشا ثم ذهب الى ميدان الحرب وعمل كوبريا فى روسجق على نهر طونه وعبر بعسكره بحالة شاقة واسترد قلاع (طرغو) و(بشته) و(يكرش) لكن خدعه ميخال بك المذكور حتى أوقعه فى موقع ضيق ثم انتصر

عليه واسترد القلاع المذكورة واستولى على كثير من الذخائر والادوات الحربية فبناء عليه عزل سنان باشا وعين بدله محمد باشا لاله للصدارة وبعد اسبوع وافاه الاجل الموعود وعاد سنان للصدارة وعزم على الاجتهاد فى التداركات الحربية واذا بالاجل المحتوم أتاه فعين بدله ابراهيم باشا الوزير الرابع غير أنه حصل خلل عظيم فى مصالح الدولة من كثرة التبديل والتغيير فى الصدارة حتى بلغ خمس مرات فى السنة الاولى من جلوس السلطان ثم ذهب ابراهيم باشا الصدر الاعظم الى ميدان الحرب بعد استكمال لوازمها وفى ٢٤ شوال ذهب السلطان بنفسه اليها وبوصوله الى بلغراد سجن محمد باشا قورقماق بن سنان باشا المعهود فى قلعة بلغراد حيث كان هو السبب فى هزيمة الجيش فى واقعة أبيه الماضية

الاتفاق (٢٤) وفى سنة ١٠٠٥ انضم الى المتفقين العصاة أرشدوق ماقسمليان وسيزسموند الاول امبراطور ألمانيا وملك بلونيا فوقع بين المتفقين والعثمانيين ثلاث وقائع حربية جسيمة كان الفوز فيها للعثمانيين لكن لم تحسم الحرب فبناء عليه أراد السلطان ابقاء الصدر الاعظم هناك ورجوعه الى الاستانة وكتب له جوابا بذلك فأعاده الصدر الاعظم اليه قائلا أن ذهاب السلطان من ميدان الحرب قبل انتهاء أمرها لايوافق ثم وقعت محاربة عظيمة بين المتفقين وبين مائه وثلاثين الفامن العثمانيين فانتصر المتفقون ولم أقف على مقدار جيشهم حتى بلغ الفارون من العثمانيين خيمة السلطان وعلى أثرهم عساكر المتفقين وبالاخص عساكر النمسا والمجر حتى كادوا أن يأسروا السلطان فأظهر جلالته من الهمة والشجاعة ما أبهر العقول وأمر الخدمة بالهجوم فهجموا على الاعداء حين اشتغالهم بالنهب والسلب ثم أتت فرقة من العثمانيين من وراء الاعداء فاندهشوا وداخلهم الرعب فانهزموا بهيئة شنيعة حتى لم ينج منهم الا القليل وفى رواية قيل ان من مات منهم يبلغ مائة وخمسين ألفا وما أظن ذلك الا تحريفا والاقرب للعقل هو أن الجيش الذى اضمحل كان مائة وخمسين ألفا منهم المقتول والمجروح والفار والمأسور وبناء على هذه النصرة العظيمة عاد الجيش للاستانة بسرور كامل

وفى أثناء رجوعه عزل السلطان ابراهيم باشا الصدر الاعظم ثم أعاده بعد برهة غير أن الصدر الاعظم بدل مسلكه الحسن فى صدارته الاولى بعكسه فى صدارته الثانية فعزل وعين بدله حسن باشا الخادم الذى كان قائما مقامه بالاستانة وفى سنة ١٠٠٦ جاء سفراء ايران وبخارى وفاس والونديك للتبريك بالانتصار وفى هذا العام أرسل شريف مكة المشرفة كسوة الكعبة الشريفة للاستانة فسر الاهالى سرورا عظيما واستبركوا بها وفى سنة ١٠٠٧ أفسد العساكر الفارّون فى الاناضول وفيه عاد الالمانيون والمتفقون السابق ذكرهم الى سفك الدماء فى قريم وحاصروا قلعة ينكيبولى وغيرها فعين ابراهيم باشا السردار بعد اعادته للصدارة وذهب بجيشه الى هناك وبوصوله الى بلغراد أعدم محمد باشا ساطرجى بتهمة العز والغنى وسجن احمد باشا الدفتدار ابن اتمكجى فحصل فى الجيش القال والقيل بسبب قتل الباشا المذكور بغير ذنب وفى سنة ١٠٠٨ اتحد ابراهيم باشا المذكور مع خان قريم ومراد باشا المذكور والى ديار بكر فتغلبوا على الاعداء المتفقة واضطروهم الى الصلح وفى أثناء ذلك توفى ابراهيم باشا الصدر الاعظم فغدروا على الصلح فعين حسن باشا القائم مقام للصدارة وذهب الى الحرب وفى سنة ١٠٠٩ فى أثناء ذلك استولت النمسا على قلعة أرول وأرسلت فرانسا عساكر كثيرة باسم متطوعين للنمسا بناء على الحاح البابا وفى أثناء ذلك ظهر شخص فى سيواس يسمى قره يازجى ومعه كثير من الاشقياء خصوصا العساكر الفارة فاكثروا فى الارض فسادا وأغاروا على قرمان ومرعش وعلاوة على ذلك خرجت عساكر الدولة الموجودون فى محاربة النمسا عن الطاعة ولما رأت دولة ايران ذلك نقضت العهد وفى سنة ١٠١٠ طلبت فرنسا من الدولة العليــة لما رأت حرج موقفها مرور أساطيلها بالبحر الابيض وألحت بذلك فاضطرت الدولة للقبول ولما رأت انكلترا ذلك طلبت مثلها فى الحال فأجابتها أيضا رغما عنها وأما الصدر الاعظم فانه سكن فتنة الجيش العاصى بوعد ووعيد حتى طرد الاعداء من الحدود ثم ذهب الى الاناضول لاستتباب الأمن وتأديب

الاتفاق (٢٥)

قره يازجي وأعوانه فأخذ النمساويون ومن معهم هذا فرصة لعودتهم الى الحدود واستولوا على حصار استرغونه وحاصروا قاينجه فدافع عنها متصرفها حسن باشا ترياكي بهمة وخدعة وثبات حتى اضمحل عساكر الاعداء وتركوا حصارها مع قلة عساكر هذا الباشا وبعد ذلك ذهب النمساويون باثنين وأربعين مدفعا وخمسين ألفا من العساكر الى بودين وأما الصدر الاعظم فانه لما بلغه عودة النمساويين كما ذكر ذهب الى هناك بجيشه قبل اتمام مسألة الاناضول فبوصوله ارتد النمساويون على ادبارهم وكان هذا الصدر اشتهر بانه لا يولى أحدا في منصب الا بالرشوة (قاتل الله الراشى والمرتشى) فثارت الضباط اليكجيرية بالاستانة والمستحفظون فهجموا على السراية وطلبوا السلطان على بابها الخارجي فهددهم وسأل عن غرضهم فقالوا أن الصدر الاعظم مرتكب وان الحدود الشمالية في روملي (يعنون بها بلاد المجر) في ارتباك مستمر وفي أسوء حال وان الاناضول أغلبها صار في يد الاشقياء وامتلأت بالفوضاويين فارسل السلطان يقول لهم انكم أبديتم ما في أفكاركم وأني سأنظر فيما يكون صالحا للدولة وأرسل في الحال يطلب على باشا ياوز والى مصر وأما الصدر الاعظم فانه عند وصوله الى الاستانة قتل وعين بدله والى مصر المذكور ولما رأى الشاه عباس شاه ايران ارتباك الدولة العلية هجم على عراق العجم قولا منه أنها كانت من أملاك أجداده وهو وارثهم واستولى على تبريز وناخجوان واتفقت معه ألمانيا وانضم اليه الاشقياء الفارون من بلاد الدولة ففي الحال عين حسن باشا المقيم بأرضروم سردارا للشرق وأما أحوال الاناضول فلخلوها من القوة العسكرية من توالي الحروب في روملي ظهر فيها من يدعى قره يازجي عبد الحليم هو وأخوه دلي حسن ومعناه حسن المجنون فاعلنا بالعصيان ونهبا بعض القرى والقصبات وكذلك ولاية أرضروم صارت تحت يد عسكر كوسه باشا وكذلك ولاية سيواس صارت في حكم رجال أحمد باشا المعروف بألاجه اتلو ومعناه ذو الخيل البلق وكذلك ولاية قرمان في حكم دلي حسن المذكور وكذلك مرزيفون وقسطموني

وكانقرى تحت يد قره سعيد وكذلك اليمن صار فى حكم الشقى المسمى نفسه بالامام المهدى وكذلك ولاية طرابلس الغرب صارت فى حكم الدايين والحاصل أن ثلثى ممالك الدولة صار تحت حكم الاشقياء وأما السلطان محمد الثالث فانه أخذ يتفكر فيما يفعل لاعادة هذه البلاد من يد الاشقياء المتغلبة من الداخل والمتغلب من الاعداء الخارجية واذا بمرض أتاه فمات رحمة الله عليه فى جمادى الاولى سنة ١٠١٢ وكان أولاده ثلاثة محمود وأحمد ومصطفى فالاول مات فى حياة أبيه

﴿ أسماء معاصرى السلطان محمد الثالث من الملوك والامراء وجهاتهم ﴾

أوروبا

المانيا .... الامبراطور رودلف الثانى
بلونيا .... اسطفان باطورى ثم سيز سيموند الثالث .... ملوك
الروسيا ..... علكسى ثم ميخال الثانى .... ملوك
انجلترا ..... جان الاول ثم ابنه شارلى .... ملوك
افلاق .... علك ساندر حاكم من قبل الدولة
اسقوجيا .... جاك الثانى .... ملك
اسبانيا ..... فليب الرابع
برتغال ..... الفونس ثم ديشيليو ثم لوى الرابع عشر .... ملوك
فرنسا ...... لويس الرابع عشر .... ملك
ايطاليا ...... قله مان الثامن ثم ليئون ثم بول الخامس .... بابات

آســـيا

ايران ...... الشاه عباس
أفغان واوزبك ونجارى دخلت تحت دولة مغول

١٤ السلطان احمد خان الاول بن السلطان محمد المتوفى

ولد المشار اليه فى سنة ٩٩٨ فى مدينة مغنيسا وجلس فى سنة ١٠١٢ هجرية الموافقة لسنة ١٦٠٣ ميلادية فى ثمانية عشر رجب بالغا من العمر أربع عشرة سنة ومدة سلطنته أربع عشرة سنة وأربعة اشهر بايعه الامراء والوزراء كالمعتاد ثم عين سنان باشا ابن القبودان جغاله أمير الامؤ بدا لاطفاء نار اختلال الاناضول وفى أثناء ذلك جاء على باشا الصدر الاعظم من مصر والشام ومعه خزينتاهما ووزعت العطايا المعتادة للجلوس وفى شعبان هذا العام صار ختان السلطان فى السراية الجديدة وفى سنة ١٠١٣ ذهب الصدر الاعظم بالجيش الى ميدان الحرب فبوصوله الى بلغراد انتقل الى رحمة الله تعالى وعين بدله محمد باشا لاله وفى الحال ذهب الى الحرب وفى زمن قصير استولى على قلاع (بشتة) و (قودان) و (جان قورتران) (١) و (خطمان) وحاصر قلعة (آج) فأحرق الاعداء مافى القلعة وفروا الى قلعة (استرغون) فاستولى الصدر الاعظم على الاولى وحاصر الثانية ثم أرسل (توقتمش) ابن خان قريم بعساكر التتر الى بلاد النمسا فانتصر وعاد ظافرا ولدخول فصل الشتاء عاد الى بلغراد أما شاه العجم فبعد أن استولى على تبريز وما حولها كما تقدّم حاصر (وان) ولقد قاوم ودافع عنها واليها محمد باشا الشريف بألف عسكرى سبعة أشهر ولم يأته مدد وأخيرا قام ابن جغالة امدادا له من الاستانة وقبل وصوله فرّ أغلب عساكر محمد باشا الشريف الى الشاه من الجوع فاضطر الى تسليم القلعة الى الشاه وأما ابن جغالة فانه لما سمع الخبر ذهب الى قره قاش أحد الاشقياء المتغلبين وعرض عليه الصلح فقبل ذلك الشقى على شرط أن الدولة تعينه واليا على بوسنه فتم ذلك أما سنان باشا سردار الشرق فانه استرد من الشاه جميع ما استولى عليه ثم لحقه احمد باشا أمير أمراء (وان) وقره قاش باشا والى جلدر بأربعة آلاف عسكرى ودعوا الشاه للحرب فلم يقابلهم واشتد القحط

(١) معناه منجى الروح

و الغلاء فاضطر السردار ومن معه الى الرجوع واطلاق سبيل أغلب العساكر ولما بلغ هذا الخبر للشاه حاصر قلعة (وان) ووقعت بعض مناوشات بينه وبين السردار وبعد أيام أبقى السردار شسيا باشا حاكم (وان) وكيلا عنه فيها وذهب هو بالزوارق من اخلاط الى أرضروم فعاد الشاه الى جهة تبريز وفى أثناء ذلك عين قاسم باشا القائمقام واليا على بغداد فأهمل الذهاب اليها فعين محافظ على (كوتاهيه) وتكاسل أيضا فأحضر أمام السلطان فى قصر سنان باشا وأعدم وفى سنة ١٠١٤ عين الصدر الاعظم سردارا لرفع الاختلال الحاصل ببلاد المجر واسترداد ما استولى عليه النمساويون فأخذ جيشا ومعه مصطفى باشا بوشناق وخسرو باشا فحاصروا قلعة (شانقراد) وفتحوها ثم استولوا على تلك الجهات جميعها وعلاوة على ذلك انضم أمراء المجر الى عساكر الدولة بهمة ونصيحة السردار وقبلوا تبعيتهم لها ونبذوا دسائس النمسا وراء ظهورهم بل ان رئيسهم بوجقاى حارب النمساويين وتغلب عليهم واستولى على قلاع (داران) و (توقاى) و (قاشه) و (يس) و (ايواء) فعينته الدولة حاكما على اردل وملكا على انكروس وفى هذه الاثناء اشتبكت الحرب بين سنان باشا سردار الشرق وبين الشاه عباس فانتصر السردار على الشاه حتى دخل سفر باشا كوسه أحد القواد حدود العجم بفرقته واقتتل مع فرقة بقيادة الله ويردى خان (١) من عساكر الشاه ومعهم ذوالفقارخان أيضا فانتصر سفر باشا ثم عاد فهجمت عليه فرقة من عساكر الشاه فى الطريق فأسروه مع جملة من عساكره فلما أحضروه أمام الشاه دعاه الى مذهبه فأبى فقتله شهيدا ثم ان السردار قتل حسين باشا والى حلب لعدم اسراعه بالامدادات ثم عاد الى ديار بكر فمرض هناك ومات رحمه الله وفى هـذا العام تبين ظلم وفساد محمد باشا ابن سنان باشا فى الشام فاحضر الى الاستانة وضرب عنقه وفيه ذهب السلطان بروسه وأرسل نصوح باشا الى الاناضول لدفع شر المتغلبين الاشقياء وأنعم عليه برتبة أمير الامراء على من يسمى الطويل من الاشقياء المتغلبين ليرجع بمن

(١) معناه عطا الله خان

معه عن الفساد ثم عاد السلطان الى الاستانة وبوصوله بلغه انهزام سنان باشا سردار الشرق من أمام الشاه فعزله وولى بدله نصوح باشا المذكور وعين درويش باشا القبودان صدرا أعظم وفى سنة ١٠١٥ عين فرهاد باشا بوستانجى باشى سردارا لدفع شر المتغلبين بالاناضول غير أنه لعجزه لم يحصل ثمرة ثم مات وهو عائد رحمه الله وفيه أن من يدعى جمشيدا أحد الاشقياء قتل حسين باشا والى حلب وأما درويش باشا الصدر الاعظم فانه كان من ذوى الاغراض فامر بقتله فقتل وعين بدله مراد باشا صدرا أعظم وكان مقداما فضايق على دولتى أوستريا وألمانيا فاضطرها الى الصلح غير انه لعلمها ان مركز الدولة العلية كان حرجا أصرت بان الصلح يكون على أساس عدم دفع ويركو بعدئذ ومساواة الطرفين فى كافة المعاملات لمدة عشرين سنة فقبل الصدر الاعظم ليتفرغ لتخليص الاناضول من يد المتغلبين حيث ان ابن قلندر وقره سعيد تغلبا على قرمان وسيواس وتغلب من يدعى الجاويش على حلب وأورفه واستولى جان بولت على كردستان وفخر الدين وابن معن استوليا على جبل لبنان فاضطر مراد باشا الصدر الاعظم الى جمع جميع قوته العسكرية لازالة هؤلاء الاشقياء وفى سنة ١٠١٦ ذهب المشار اليه بالجيش الى قونية وقبض عل ثلاثين ألفا من الاشقياء ودفنهم فى الآبار أحياء فدخل الرعب فى قلوب جميع الاشقياء ثم ذهب الى الشام فهرب جان بولت وفخر الدين فطهر بلاد الشام من الاشقياء ثم قبض على ابن قلندر وقتله وقتل كثيرين من الاشقياء الغير معلومة أسماؤهم وكذلك محمود باشا المتعين فى جهات بغداد قتل أغلب العصاة وطهر البلاد منهم وفى سنة ١٠١٧ عاد مراد باشا الصدر الاعظم الى الاستانة وملأ الارض بهيبته فجاء السفراء من جميع بلاد أوربا وما وراء النهر للتهنئة وفى سنة ١٠١٨ ذهب الصدر الاعظم المذكور الى ولايتى أيدين وصاروخان وقتل يوسف باشا المتغلب هناك مع من يدعى موصللو الشقى الشهير ثم عاد للاستانة فانسر السلطان من هذه الاحوال وأسس بناء الجامع الشريف الشهير باسمه بالاستانة وفى سنة ١٠١٩ ذهب الصدر الاعظم سردارا

الى الشرق لتأديب الشاه عباس فبوصوله الى تبريز هرب الشاه الى جهة العراق ومنها الى بلاده ثم أرسل بطلب الصلح فقبل الصدر الاعظم هـذا الطلب ببطء واشتغل بالتجهيزات الحربية واذا بالموت أتاه فجأة فى سـنة ١٠٢٠ رحمه الله رحمة واسعة وعـين بدله نصوح باشا وأعقب ذلك وفاة خان قريم وعين بدله جان بك كراى خانا أما الشاه عباس فأنه عرض على نصـوح باشا الصلح على شرط ان يدفع للدولة سـنويا مائتى حمـل حريرا فقبل منه وعقـد الصلح معه ثم عاد للاستانة وفى سـنة ١٠٢١ أرسل السلطان الى الروضـة الشريفة المطهرة حجرا من الماس قيمته خمسون ألف جنيه لتعليقه بالمقام الشريف على ساكنه أفضل الصلاة وأتم التسليم وفى هـذا العام تجدّدت المعاهدات التجارية بين الدولة العلية وحكومة هولانده وفى سنة ١٠٢٢ ساح السلطان الى كليبولى ثم الى أدرنة فحصـل اختلال فى ايالات أردن وبغـدان وأفلاق بدسائس دولتى أوستوريا وبولونيا فغضب لذلك السلطان وأرسل جيشا فاستولى على قلعتى (لبوة) و (يانوة) فاتخذت حكومة ايطاليا هذه المشغولية فرصة لارسال اسطولها فاستولت به على (مورة) و (استانكوى) و (منتشاوايج) وما حولهم متحدة مع حكومة مالطة فارسـل السلطان قوّة بحرية فدمرت أغلب جزيرة مالطة وتصادف اغارة قرصان القوزاق على سواحل البحر الأسود فأرسلت اليهم سفنا حربية فأغرقت أغلبهم وهرب الباقون لكن اتهم نصوح باشا بعدم استعماله حسن التدبير فى هذه الوقائع فقتل لهذا السبب وفى سنة ١٠٢٣ اشتد البرد بالاستانة حتى مات به كثـير من الناس والحيوانات وفى هـذا العام ذهب خليل باشا القبودان الى مالطة واستولى عليها ثم الى طرابلس الغرب فقتـل المدعو لوندا الشقى المتغلب عليها وأصلح الحال هناك وفى سنة ١٠٢٤ أرسل انجلوچاويش لاحضار الحرير من بلاد العجم المشروط فى عقـد الصلح كما تقدّم فعاد صفر اليدين فبناء عليـه عين محمد باشا سردارا بدل نصوح باشا المقتول فذهب الى حلب وفى سنة ١٠٢٥ قام منها وذهب الى أرض الروم ومنها الى قارص فعمر قلعتها ثم سافر الى روان

وحاصر قلعتها وفى زمن قليل دخل الشتاء واشتد البرد حتى مات كثير من العسكر وعاد بلا ثمرة فعزل وعين بدله خليل باشا فذهب الى أرضروم ثم حصلت فتنة ومشاجرة بين عساكر الروس وبلونيا وبين عساكر بغدان فارسل اسكندر باشا والى بوسنه لاصلاح ذات بينهم فأطفأ الفتنة وعاد وفى سنة ١٠٢٦ طردت الافرنج الكاتوليك القسس والرهبان من طائفة الجزويت لسبب تداخلهم فى الحكومات (كما حصل من فرانسا فى عصرنا هذا) وكانت طائفة منهم التجأت الى الدولة العلية فى غلطة بالاستانة فلم يعرفوا قيمة الاحسان اليهم بل أفسدوا طائفة الاروام حتى كثرت فى حقهم الشكاوى من الاروام فقررت الدولة إجلاءهم من الاستانة فاحتج سفراء فرانسا على ذلك بعض احتجاجات فحصل فتور بين الدولتين وأعقب ذلك دخول سفير ألمانيا الذى جاء لتجديد المعاهدة فى الاستانة بالمزامير والطبول فحصل القال والقيل بين الاهالى لاستصعابهم هذا الامر وفى أثناء ذلك تم بناء الجامع المتقدم ذكره ووزع الكثير من الصدقات على الفقراء والمساكين والارامل والايتام والانعامات على الوزراء وأعقب ذلك أن السلطان مرض وتوفى فى الليلة الثالثة عشرة من القعدة رحمه الله تعالى رحمة واسعة وكان له ثلاثة أولاد عثمان ومراد وابراهيم

﴿أسماء الملوك والامراء المعاصرين للسلطان أحمد وجهاتهم﴾

أوروبا

افلاق وبغدان . ميخال ثم سريان ثم رادوا .... حكام

أردل ...... بوچقاى ثم سيزسموند ثم غبريل باطورى . حكام من قبل الدولة

المانيا ...... رودلف ثم ماتياس ثم فردنياندوا الثانى .... امبراطوريه

بلونيا ...... سيزسموند .... ملك

فرانسا ...... لوى الكبير

ساردنيا ...... شارل أمانويل .... ملك

اسبانيا ...... فليب الرابع .... ملك
انجلترا ...... ألى زايت ملكه ثم استوارت من قبيلة أورانز

آسـيا

الصين ...... شيزمونغ .... امبراطور
العجم .... الشاه عباس .... شاه
الهند ...... الشاه سليم جهنكر ثم خرم شهاب الدين .... سلطان

١٥ السلطان مصطفى خان الاول أخو السلطان أحمد

ولد المشار اليه فى سـنة ألف وجلس فى ٢٣ القعدة سـنة ١٠٢٦ بالغا من العمر ٢٦ سنة بوصية من أخيه السلطان أحمد لصغر سن أولاده وهو أول من جلس بالاخوّة من السلاطين وكان ضعيف الرأى لاشقاوة بل عجزا فحصل قيل وقال وظهرت علامات الفتن والفساد فاتفق العلماء والوزراء بناء على فتوى على خلعه فحبس باحدى غرف السراية بمعرفة مصطفى أغا الذى هو أغادار السعادة فى غرة شهر ربيـع الاول سـنة ١٠٢٧ بعد جلوسه بثلاثة أشهر وتسـعة أيام وأجلسوا مكانه عثمان أكبر أولاده

١٦ السلطان عثمان الثانى

ولد المشار اليه سنة ١٠١٣ وجلس سـنة ١٠٢٧ بالغا من العمر ١٣ سـنة فأرسلت الدولة لكل من الدول الاجنبية سفراء لتجديد معاهدات الصلح خوفا من اتخاذهن الاختـلال الداخلى الذى حصـل فى مدة السلطان مصطفى فرصـة للاعتـداء على بلاد الدولة وفى أثناء ذلك عصت ايالة بوهميا متبوعها امبراطور المانيا وعرضت على الدولة العلية قبول تبعيتها لها فلم تقبل الدولة العليـة بل

توسطت فى ازالة النفور بينهما وأصلحت ذات بينهم أما الشاه عباس فانه نقض العهد فأرسلت الدولة خليل باشا سردارا الى هناك وقبل وصوله الى أرد بيل انضم اليه خان قريم بعساكر الغير فى صحراء سراو وهناك وقعت محاربة جسيمة بغتة لان العساكر العثمانيين كانوا فى أشد التعب بخلاف عساكر الشاه وبعد ساعتين تشتت شمل العساكر العثمانيين ووقع حسن باشا امير أمراء روملى ومصطفى باشا أمير أمراء ديار بكر وارسلان باشا وغيرهم قتلى وأسر كثيرون منهم الحاج محمد باشا ورشوان محمد باشا وأما عساكر التتر فانهم ثبتوا فى الحرب ثباتا عجيبا غير أنه لوقوع الكثير من الشجعان والامراء قتلى اضطروا الى الانسحاب وكذلك أظهر عساكر الشام شجاعة عظيمة أما شاه العجم فانه لم يغتر بهذا الانتصار بل خاف من الكر فعرض الصلح على خليل باشا السردار الذى لم يكن حاضرا بهذه الواقعة بل كان فى مؤخر الجيش ولما بلغه الانهزام المذكور أسرع بالحضور لمحل الواقعة فوجد عريضة الشاه بالصلح على شرط أن يدفع سنويا مائة حمل حرير ومائة حمل من غيره فقبل السردار منه وتم الصلح وفى سنة ١٠٢٨ بلغ ظلم (غشبر) حاكم افلاق وبغدان عنان السماء فعزلته الدولة فعصى وساعده أحزابه على ذلك وأمده أمراء بلونيا بستين ألفا من العساكر بقيادة من يسمى (قانشير) فأرسلت الدولة اليهما اسكندر باشا والى سلستره سردارا وأعطى له عشر آلاف عسكرى وانضم اليه عساكر التتر من قريم ولم يعرف عددهم وفى سنة ١٠٢٩ حصلت أمام مدينة ياش محاربة عظيمة انهزمت فيها عساكر غشبر وقانشير ففر الاول وطلب الثانى الصلح على شرط دفع مائة ألف فلورين حمرا للسردار وللسلطان مبالغ وافرة لم أقف على مقدارها فمال السردار الى القبول فخالفه (قانتمر) أحد أمراء قريم وقتل السفير الذى جاء للصلح وأرسل للعدو خبرا بالحرب فاندهش قانشير وأراد الهروب بمن بقى معه من جيشه فلحقه السردار بالتعقيب عند معبرة صوباشى فوقع الحرب ليلا على ساحل نهر طورله لمنع العدو من العبور به بواسطة شجعان التتر فلم يبق فى هاتين الواقعتين من

الستين ألفا غير بضع مئات وقيل لم ينج الا أربعمائة نفر ووقع نحو مائة من أمراء وضباط بلونيا ماين قتيل وأسير أما قانشـير فانه قتـله البغدانيون لتبرئة ذمتهم لدى الدولة فعاد الجيش ظافرا غانما الى بلاده وفى سـنة ١٠٣٠ نزل الثلج بالاستانة ستة عشر يوما متواليات حتى جمد البحر فيمابين سراى بودنى واسكدار حتى صار العبور عليـه بالعربات والمواشى فلهذا السبب انقطع مرور السفن به ونتج من ذلك القحط والغـلاء وفى هـذا العام عادت بلونيا للتحريك والفساد فغضب السلطان وأراد أن يذهب بنفسه الى الحـرب وشـوّقه الى ذلك على باشا الصـدر الاعظم فتوسطت انكلترا فى الصلح فلم يقبل ثم مات الصدر الاعظم وعين بدله حسين باشا ثم قام السلطان بجيشه وعبر نهر طونة حتى قربوا من بلونيا فتعب العسكر وأظهروا بعض العصيان ولما صار تشجيعهم بالعطايا الجزيلة رجعوا عن العصيان ومضوا حتى قربوا من قلعة (خوتين) وهناك قامت الحرب بين مقدمة الجيش وبين ستين ألفا من عساكر العدو وحصلت خسائر بالجهتين ووقع محمد باشا قره قاش شهيدا باغراض نفسانيـة لحسين باشا الصدر الاعظم ومات أغلب من كان معه حيث لم يرسل له امدادا وحصل فتور عام للعسكر فلم يتيسر فتح القلعة وقد أظهر قانتمرمرزا قائد عساكر قريم شجاعة وغيرة بما أبهر العقول وأخيرا تم الصلح بواسطة حاكم بغدان ومضمونه أن البلونيين لايعتدون مرة أخرى وان الانتصار نسب للسلطان حيث كان طلب الصلح من الاعـداء فعاد السلطان الى الاستانة فى أوائل ربيع الاول سنة ١٠٣١ وقد وافق تاريخ هذا الحرب حساب (زهى غزا)

(واقعة فظيعة محزنة غريبة)

قد تقدّم أن اليكيجريين هاجوا وعصوا فى سفر تلك الواقعة فغضب السلطان عثمان وعلم الرؤساء المتسببين فى حركة العصيان فلما عاد الى الاستانة شدّد بمنع شرب الدخان الذى وجد من منذ خمسة عشر سنة وكان ممنوعا من مدّة سلفه وكان

مجلوبا من أمريكا بواسطة تجار من دولة فلمنك وشدّد أيضا بمنع المسكرات حيث ان أخلاق الامة ساءت بسببهما فصار يخرج فى أغلب الليالى مختفيا بتغيير الزى وكلما وجد من المحركين مخالفة بتعاطىَ ما نهى عنه أدبهم تأديبا صارما حتى كسر نفوذ بعض الوزراء فاغتاظ الكثيرون وقد علم هو بذلك علم اليقين فأراد ايجاد طريقة لتمام تأديبهم جهرا فأشار عليه بعض ندمائه وأصحابه بالذهاب الى الحج فلما أشيع ذلك ظن أعداؤه ان الغرض من هذا السفر هو ايجاد جيش آخر مطيع من العرب والشام ومصر وغيرها لمحو والغاء اليكيجريين كليا فلما بلغ السلطان ذلك أصابه نوع الحيرة فرأى النبى صلى الله عليه وسلم مناما فى حالة شبه عتاب فعبرّه عمر أفندى الشهير بتأييد نية السلطان على الحج فلم يقتنع فطلب تعبيره من محمود خداى الاسكدارى وهو عزيز وقته فعبرها له تعبيرا حسنا ونصحه بعدم السفر لكنه لنفاذ التقديرات الألهية صمم على السفر للحج وذبح القرابين فى أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه وفرقها على الفقراء والمساكين وظهرت علامات تدل على أنه عازم على عبور البحر الى اسكدار فظهرت فجأة ثورة لم يسبق لها مثال وذلك ان اليكيجريين والسپاهيين (١) هجموا متسلحين على بيوت الوزراء فنهبوها ثم اجتمعوا فى آت ميدان (٢) فأرسلوا بعضا من العلماء الى السراية وطلبوا رؤوس الكثيرين منهم عمر افندى امام السراية ورئيس أغوات الحريم والصدر الاعظم وغيرهم ممن له مصاحبة مع السلطان فلما مضى زمن ولم يروا أحدا من العلماء لا ذاهبا ولا عائدا ذهبوا عاجلا الى السراية ودخلوها جميعا فهددهم الخفراء والجناينيون والبوابون المتسلحون بها وحذروهم من الدخول فلم يصغوا لقولهم وقابلوهم بالقوّة مما جاء بأيديهم من أخشاب وأحجار وغيرهما فاقتتلوا مدة ساعتين وقال قائل منهم اننا نريد اعادة السلطان مصطفى للسلطنة فقالوا جميعا نعم أننا نريد السلطان مصطفى ونادوا بذلك بأعلى أصواتهم ثم صعد البعض منهم على سطح السراية حتى وصلوا

(١) نوع من العساكر (٢) محل بالاستانة معناه ساحة الخيل

الى غرفة السلطان مصطفى فأخذوه وأجلسوه فى غرفة السلطنة أما السلطان عثمان فانه لما رأى دخولهم السراية من الداخل سلم لهم الصدر الاعظم دلاور باشا وسليمان أغا أحياء فقطعوهما أربا وتفرقت فى جهات متعددة فقال لهم العلماء أيها الرفقاء أن السلطان أعطى لكم ما طلبتموه وأن السلطان مصطفى مسلوب العقل لاتجوز مبايعته فلم يتم كلامهم الا وقد هجموا عليهم وأكرهوهم على المبايعة أما السلطان عثمان فبينما هو يفكر فى أمر نجاته من هذه المصيبة واذا ببعض الاشقياء تحصلوا عليه وأنزلوه من السراية فى غاية من التحقير وأرسلوه الى يدى قله وسلموه لداود باشا الذى عينه الاشقياء صدرا أعظم وكان أذنب مرتين بما يوجب قتله والسلطان عثمان يعفو عنه فما كان منه الا أنه قتل السلطان عثمان شهيدا رحمه الله تعالى رحمة واسعة ووقع تاريخ قتله (شهيدا ولدى عثمان) ومعناه صار عثمان شهيدا وفى مشهده بكى الكثيرون من الاهالى وكاد أن يحصل قتال عمومى بالاستانة أما هيئة الحكومة فقد اختلت كليا وصارت فوضى ثم أعقب ذلك حصول مصائب كثيرة منها أنه حصل حريق هائل فأحرق بدستان وجميع السوق الشهير ثم أمطرت السماء أياما متواليات بشدة حتى تهدمت بيوت كثيرة وبقيت المياه فى الشوارع والحوارى شهرا ثم جاء طاعون أخلى كثيرا من البيوت ثم قحط عظيم لم ير مثله نسأل الله السلامة فى ديننا ودنيانا ولم يعقب الا ولدا مات صغيرا

ولما أجلس السلطان مصطفى ثانيا استمر الفساد ولم يبايعه أسعد أفندى شيخ الاسلام عزل وعين بدله يحيى أفندى ابن زكريا أفندى أما داود باشا الصدر الاعظم فانه صار يؤدى للاشقياء جميع ما يطلبونه خوفا منهم حتى خلت الخزينة ثم ان الاشقياء صاروا يقتلون أرباب المناصب وينهبون أموالهم حتى عم هذا الاختلال جميع الولايات فخلت الاهالى ولما علم الاشقياء مقدار ما أحدثوه من الفساد خافوا العاقبة وزعموا أنه يهجومهم على السراية السلطانية مرة ثانية

وقتلهم داود باشا الصدر الاعظم والجبهجى (١) تبرأ ذمتهم وترضى عنهم الاهالى فهجموا قائلين انا نريد قاتلى السلطان عثمان فقتلوهما وفى ظرف ثلاثة أشهر تغيرت الصدارة أربع مرات من حيث أن اليكيجريين على مشرب مناقض لمشرب السباهيين فزاد الفساد ثم أن من يدعى بكر صوباشى ببغداد اتفق مع العسكر وقتل يوسف باشا أمير أمراء بغداد فأرسل اليه سليمان باشا من الشام ثم هجم عساكر بلونيا على بغدان وأفلاق فارسل اليهم قانتمر مرزا بفرقة من العساكر التتر فهزمهم فاغتاظ ملك بلونيا وأرسل سفيرا للاستانة بطلب عزل قانتمر المذكور فلم يجب وفى أثناء ذلك أرسل ملك الموسكو سفيرا للدولة العلية بطلب محو بلونيا وتقسيمها بينه وبينها فلم يحصل اتفاق وفى سنة ١٠٣٢ اهتم محمد باشا كرجى الصدر الاعظم باعادة نظام الدولة غير ان السباهيين انتشروا أمام الديوان وقالوا يلزم اظهار قاتلى السلطان عثمان وبهذه الوسيلة قتلوا الكثير من الباشوات وفى هذه الاثناء أفسدت طائفة الجزويت من قسيسى فرنسا بين الاروام فتداخل سفير فرنسا وطلب عزل كريلوس بطريق الاروام فاضطرت الدولة الى الاجابة نظرا للاضطرابات الحالية فثارت الاروام وفى أثناء ذلك تسابق اليكيجريون على السباهيين فى الفساد وقلة الحياء وفى النهب والسلب ولما رأى أبازه باشا الذى كان أميرا فى سيواس تلك الاختلالات استقل حاكما على جهات (سيواس وقيصريه وأنقره) وما حولها ثم هجم على بروسه فجاءت الشكاوى من أهلها وأما الشاه عباس فأنه اتخذ هذه الارتباكات فرصة فارسل امدادا لبكر الصوباشى المفسد لبغداد القاتل ليوسف باشا كما تقدم وأما بر الشام فان الفساد عم به وعصى ابن معن الدرزى والحاصل ان الفتن والفساد عما جميع الجهات فى ذلك الحين وكلما يسمع السلطان بشئ من تلك الفتن يزداد غمه حتى بلغ درجة الجنون وصار فى أغلب الليالى يبحث عن عثمان فى جميع غرف السراية باكيا عليه وأما حسين باشا الصدر الاعظم الاخير فانه لم يشتغل لاصلاح

(١) اسم وظيفة كانت فى ذلك الوقت وهى مثل الشماشرجى

حال الدولة بشئ بل كان اهتمامه بأخـذ الثار من أسلافه ولما عمّ الفساد وصار فوق طاقة العامة اجتمع العلماء وأصروا على عزل حسين باشا الصـدر الاعظم وتعيين على باشا كمنكش بدلا عنه ثم فى اليوم نفسه اجتمع الوزراء معهم وباتخاذ الآراء خلعوا السلطان مصطفى وأجلسوا السلطان مرادا الرابع أخا السلطان عثمان المقتول وابن السلطان أحمد الاول

١٧ السلطان مراد الرابـع فاتح بغداد

ولد المشار اليه سنة ١٠٢٠ وجلس فى يوم الاحد الرابع عشر من ذى القعدة سنة ١٠٣٢ بالغا من العمر احدى عشرة سنة وكسور ومدّة سلطنته سبع عشرة سـنة وبعد جلوسه توزعت العطايا المعتادة وكانت والدته ماه بيكر ذات عقـل وتدبير فبحسن تدبيرها صار تولية أرباب المناصب من ذوى الكفاءة والاستقامة حتى انبثت روح الحياة فى الدولة وفى الحال أرسل امدادا لحافظ باشا سردار بغداد فى سنة ١٠٣٣ وقد تقدّم أن من يدعى بكر صوباشى من أعيان جهة بغداد تغلب عليهم وقتل يوسف باشا أمير الامراء شهيدا واستولى هذا الشقى على القلعة وعين نفسه واليا عليها بأمـداد من الشاه عباس كما تقدّم فالدولة العلية عينت سليمان باشا واليا على بغداد وحافظ باشا سردارا لاستردادها من الشقى المذكور وكان حافظ باشا ذا حزم وتدبير فافتـكر أنه اذا ضيق على بكر ربما يسلم القلعة للشاه عباس فيصعب استردادها فطلب من الباب العالى تعيين بكر المذكور واليا على بغداد موقتا لتسهل ازالته غير أن أرباب الحل والعقد بالاستانة نظرا لعدم الامن فى ذلك الوقت دخلهم الشك فى هذا التدبير خوفا من أن يكون حافظ باشا له مأرب مع بكر المذكور فأرسلوا له فرمانا سلطانيا بازالة بكر بالقوّة فبناء عليه عزم حافظ باشا السردار المذكور على التنفيذ بما ذكر وأما بكر الشقى فانه علم عجزه عن المقاومة ودعى الشاه عباس لتسليم القلعة اليه وكان الشاه عباس

منتظرا مثل هذه الفرصة فأرسل فى الحال ثلاثين ألفا وهو على أثرهم ولما بلغ ذلك حافظ باشا أرسل منشورا لبكر المذكور بولايته على بغداد من قبل الدولة وأرسله بواسطة حاكم العمادية فلما رأى بكر ذلك ندم على دعوته الشاه عباس فاظهر له العداوة والمقاومة ضدّه فغضب الشاه غضبا شديدا وحاصر بنفسه على بغداد ودس دسائسه على الدلى (١) محمد بن بكر المذكور ببعض مواعيد عرقوبية فما كان من هذا المجنون الا ان مكنه من القبض على أبيه فوضعه الشاه فى قفص حديد وبعد سبعة أيام أضرم نارا بجوار القفص فكان الصديد يسيل منه وهو حى حتى مات بهذا العذاب الاليم ثم ان الشاه عباس استولى على بغداد فى ظرف ثلاثة أشهر وملأها بشيعته وقتل نحو ثلاثين ألفا من أهلها حتى بلغ غدره وظلمه الى عنان السماء ثم أرسل قاسم خان الى كركو والموصل فاستولى عليهما بلا حرب حيث لم يكن بهما عسكر غير انه لحقه من يدعى كوجك أحمد من شجعان الارانطة بخمسة آلاف عسكرى فطرد قاسم خان واستردّهما فعين حافظ باشا سليمان ابن أخى أحمد المذكور واليا على الموصل أما حافظ باشا فلقلة جيشه لم يحارب الشاه أما الصدر الاعظم على باشا كمنكش فانه عزل من الصدارة بتهمة كتم خروج بغداد من يد الدولة عن السلطان وعين بدله محمد باشا الشركسى وأضيفت اليه وظيفة السردارية لدفع غائلة أبازه باشا من الاناضول واسترداد بغداد من شاه العجم فقام أولا بتشتيت شمل عصاة الاناضول وهرب أبازه باشا الى جهة أرضروم فلما وصلها أظهر أنه غير عاص بل غرضه أخذ ثار السلطان عثمان المقتول ظلما فلمحبة الاهالى فى السلطان عثمان اجتمع معه أربعون ألف مقاتل فقتل من كان موجودا من اليكيجريين فى أرضروم وكرجستان وما حولهما ثم وصل بهذا الجيش الى توقاد فهرب منها اليكيجريون جميعا وأعطى الامان للاهالى ثم عزم على الحضور الى الاستانة لابداء مافى ضميره للسلطان واذا بخبر أتاه ان طيار باشا استولى على سيواس فذهب لاستردادها وأما محمد باشا الصدر الاعظم

(١) معناه المجنون

فأنه أخـذ قوّة جسيمة لاستئصال أبازه باشا فلما بلغه ذلك قام من سيواس لمحاربة الصـدر الاعظم فتقابلا فى صحراء قونية واقتتلا فقتـل كثيرون من الطرفين ثم انهزم أبازه باشا ومن معـه الى أرضروم فطارده أمير أمراء روملى فقتـل أكثر الفارين ولدخول فصل الشتاء عفا الصدر الاعظم عن أبازه باشا وعينه واليا على أرضروم وعاد هو الى توقاد وفى هذا العام عصى محمد كراى المعزول وهو خان قريم سابقا بتحريك أخيـه جاهين كراى فعينت الدولة جان بك كراى خانا على قريم ولتنفيـذ ذلك أرسلت رجب باشا الاميرال أما محمد كراى فأنه جمع جيشا كبيرا وعبر به نهر الطونة واستولى على يركوى والاسماعلية أما رجب باشا فانه عاد مغـلوبا بخسائر جسيمة فاضطرت الدولة لاعادة محمد كراى المذكور خانا على قريم وفى أثناء مشغولية رجب باشا بالحرب المذكور دخل قرصان القوزاق الاشقياء البحر الاسود بمائة وخمسين سفينة فوصلوا الى بوغاز الاستانة ونهبوا (يكى كوى) (١) وفى أثناء ذلك مات الصدر الاعظم فى توقاد وعين بدله أحـمد حافظ باشا والى ديار بكر وفى سنة ١٠٣٤ أرسل الشاه عباس (قارجغاى خان) سر عسكر بثلاثين ألفا الى كرجستان التابعـة للدولة العليـة فقاومه أهلها برئاسة حسين باشا والى جيلدير وقتلوا أغلبهم و تشتت شمل الباقى منهم وكان الصـدر الاعظم أحمد باشا حافظ اذ ذاك فى صحراء جولك فاتحد مع أمير الامراء والمآمير وذهب الى بغداد وحاصروها وحاربهم الشاه مرارا عديدة ومات غالب عسكره و بعد تسعة أشهر من الحصار طلب الصلح على شرط تسليم بغـداد وسائر مااستولى عليـه من الجهات حديثا أعنى البـلاد التى كانت موجودة تحت يد الدولة العلية من قبـل الفتنة الكبرى وقتـل السلطان عثمان الشهيد بحيث ترد للدولة العلية كما كانت فقبل الصدر الاعظم و أرسل نسخة المعاهدة والصلح واذا باليكيجريين عصوا عن الحرب ولما رآى الشاه ذلك امتنع عن الامضاء فاضطر الصـدر الاعظم الى العودة الى الموصل وأما الجيش العاصى فقد ابتلاه الله بالجوع والمشقة حتى مات منه أكثر

(١) معناه القرية الجديدة

ممن مات فى الحرب لحين وصوله الى الموصل وفى سنة ١٠٣٥ هجم الاوجاقيون (١) بالاستانة على محمد على باشا كرجى قائمقام الصدر الاعظم وقتلوه قولا منهم أنه أهمل فى ارسال الامداد الى بغداد وكان عمره سبعين سنة رحمه الله تعالى فعين بدله رجب باشا القبودان وعين بدله حسن بك ميراخور وأنعم عليه برتبة الوزارة وقام فى الحال بالاسطول الى البحر الاسود فأغرق مائة وخمسين سفينة من السفن الصغار والزوارق بأربعة آلاف ممن كان فيها من القوزاق وطهر منهم البحر الاسود ثم بنى قلعة أوزى لتكون حاجزا بين البحر الاسود وبين هذه الطائفة وفى سنة ١٠٣٦ عزل أحمد باشا حافظ الصدر الاعظم لاغراض شخصية وكان رجلا حازما شجاعا مدبرا وعين بدله خليل باشا فقام الاخير الى ديار بكر لمحاربة أبازه باشا المعلوم أمره مما تقدم حيث أنه رجع الى العصيان مرة أخرى فلما وصل الى ديار بكر بلغه أن عساكر شاه العجم حاصروا قلعة (أخسخا) فأرسل الى هناك فرقة فقابلها أبازه باشا وأظهر مساعدتهم لكن توهم أن الصدر الاعظم أضمر له السوء فجاء الى العسكر وهجم عليهم على حين غفلة وقتل كثيرا من اليكيجريين فغضب الصدر الاعظم وذهب الى أرضروم لمحاصرتها وأخذها من أبازه باشا والقبض عليه فوقعت محاربات كثيرة حتى مات كثير من الباشوات والبكوات ثم قرب فصل الشتاء فاضطر الصدر الاعظم الى عودته بالجيش خوفا من حصول مجاعة للعسكر وموتهم بالبرد ولم يرسل امدادا لانقاذ قلعة (أخسخا) من يد عساكر الفرس وكانت تلفيات العسكر فى هذا السفر عشرين ألفا وفى سنة ١٠٣٧ اتحد النمسا والمجر والخروات وهجموا على ولايتى (بشتا وخطوان) فأرسلت الدولة مرتضى باشا بفرقة من العساكر متحدا مع حاكم (أردل) فوقعت الحرب واستمرت ثلاثة أشهر وقتل من الاعداء عشرون ألفا وكانوا ستين ألفا ولم أقف على عدد جيش الدولة ولا على مقدار من مات منهم بهذه الواقعة ثم طلبت الاعداء الصلح بالكف عن الحرب مدة خمسة وعشرين

(١) اسم ضباط اليكيجريين

سنة وفى هذا العام عزل خليل باشا الصدر الاعظم بناء على عدم حزمه فى واقعة أبازه باشا وعين بدله للصدارة خسرو باشا وكان غيورا شجاعا صادقا ففى الحال أسرع باليكيجريين الى أرضروم فاستولى على قلعتها وقبض على أبازه باشا فى الحال فطلب منه الامان والعفو فعفا عنه وعينه مأمورا بالجيش وعين بدله فى ولاية أرضروم محمد باشا الطيار وأعطى له ثلاثة آلاف من اليكيجريين للمحافظة وفى سنة ١٠٣٨ جاءت جملة من خانات العجم الى جهة فارص للاستيلاء عليها ولما بلغهم تسليم قلعة أرضروم للصدر الاعظم عادوا مسرعين فقطع الصدر الاعظم طريقهم وقبض على الجميع أحياء وعاد بهم الى الاستانة وفى هذه الاوقات حصل من شريف مكة و والى مصر مخابرة سرية فيما بينهم ضد الدولة ثم ظهر من يدعى الامام محمد باليمن وهو رئيس الزيدية ومعه أكثر من مائة ألف نفس وأعلن أنه هو الخليفة الحقيقى وضرب نقودا باسمه وحاصر حيدر باشا والى اليمن بمدينة صنعاء فأرسلت الدولة فرقة من العساكر امدادا له ولكن من سوء حركات قانصوه باشا أحد أمراء مصر لم تحصل ثمرة من هذا الامداد بل استولى الامام محمد المذكور على صنعاء ثم وصل الى جدة وقتل شريف مكة وأجلس بدله الشريف مسعود وقد مات فى هذه الاثناء الشاه عباس وجلس بدله الصفى مرزا وفى سنة ١٠٣٩ عصى محمد كراى خان قريم واعتدى بأربعين ألفا من القوزاق فاهتم خسرو باشا به حتى شتت شمله وأما خسرو باشا المذكور فانه أصلح أحوال أوروبا التركية ثم ذهب لاسترداد بغداد وفى الطريق محا جميع الاشقياء من بيكوات الاكراد وكلما مر بجهة جعلها فى نظام ورتبها ترتيبا حسنا وبث الامن بها حتى وصل الى شهرزور واستردها فى الحال من يد الاعجام ثم شتت شمل أربعين ألفا من عساكر الفرس بقيادة زينل خان بجوار قلعة مهربان واستولى على ولايات أردلان وهمدان وقلعة دركزين وفى سنة ١٠٤٠ حاصر بغداد وشتت شمل عساكر الفرس الامدادية ثم قرب دخول فصل الشتاء وفى الواقعة الاخيرة انهزمت عساكره باسباب بعض أصحاب الاغراض لملل العساكر من كثرة الوقائع وتواليها

فاضطر الى ترك محاصرة بغداد وعودته الى الموصل بعد أن أقام خليل باشا محافظا على الحله ومعه عشرة آلاف عسكرى ثم أرسل الشاه صيفى ميرزا أربعين ألفا الى الحله فحاصروها فقاومهم خليل باشا ثلاثة أشهر ولما لم يأته مدد ولا ذخيرة مع حصول قحط اذ ذاك قطع الأمل فهيأ مقدارا من فرسان عسكره وهجم بهم على عساكر الفرس فخرق صفوفهم ونجا هو ومن معه لكن باقى العسكر استأمنوهم وسلموا لهم الحله فلم ينفع استئمانهم بل قتلوا أكثرهم أما خسرو باشا فأنه أصلح أحوال قريم واستمال اليه محمد كراى وأخذ عساكر قريم الى ديار بكر واهتم بجمع قوة كافية لاسترداد الحله وبغداد واذا بأمر بعزله وعودته بالجيش للاستانة وعين للصدارة العظمى حافظ باشا الداماد لكن فى الطريق حصل هيجان بالجيش لغضبهم من عزله حيث انه كان شجاعا كريما مدبرا مصلحا فنصحهم نصيحة صادقة حيث انه كان غيورا قائلا لهم أن أحوال الدنيا هكذا يعزل واحد ويولى آخر وهو يفضل طاعتهم للدولة عن محبتهم له فأطاعوا أمره ووصل الجيش بغاية النظام للاستانة لكن كانت شرارة الفساد التهبت فى جهات قرمان وسيواس وما حولهما حيث ان السباهيين عثوا فى الارض فسادا وعلاوة على ذلك فان الاوجاقيين الموجودين بالاستانه لما تقابلوا مع رفقائهم الذين كانوا بالجيش كثر بينهم القال والقيل وكان عزل خسرو باشا من الصدارة وحضور الجيش للاستانة مصيبة كبرى على الدولة حيث اغتاظ رجب باشا القائمقام الصدارة بالاستانة من تعيين حافظ باشا للصدارة دونه فحرك سائر الاوجاقيين على ائتلاف المتسببين فى عزل خسرو باشا وبالطبع أشار عليهم بأن أولهم حافظ باشا الداماد المعين بدلا عن خسرو باشا كما يظهر مما يأتى وذلك انه فى صباح ذات يوم حصلت بغتة علامات ثورة عسكرية حتى قفلت الدكاكين وتعطلت الاسواق ثم هجموا على السراية السلطانية ثلاثة أيام متوالية بحركات متتابعة تشبه حركات قتل عثمان الشهيد فخرج السلطان مراد الى الديوان ونصحهم كثيرا فلم ينتصحوا بل ولم يصغ أحد منهم لشئ مما نصحهم به من شدة غلظتهم الناشئة من تهيج

أفكارهم وطلبوا تسليم يحيى أفنـدى شيخ الاسلام وحافظ باشا الصـدر الاعظم ومصطفى باشا الدفتردار وأربعـة عشر من أمناء السلطان فأحضر السلطان رهطا رؤسائهم أمامه وقال لهم اننا أمة اسلامية ولنا شريعة مطهرة يجب علينا اتباعها وهذه الاعمال تخالف الدين والشريعة والآداب وطلب منهم اقناع رفقائهم بالكف عن هـذه الاعمـال السيئة فما زادوا الا طغيانا وعنادا أما حافظ باشا فأنه توضأ ووقف على باب السراية منتظرا فلما رأى حبوط مسعى السلطان وزيادة عنادهم قال ماترجمته سيدى وسلطانى انى أفدى بروحى فى صالحك وان هؤلاء الطغاة لا يثمر فيهم النصح فلا تتعب نفسك فيما لا يكون له نتيجة ثم خرج الى ميـدان البلاء بنفسه وكل من يهجم عليه منهم يضربه فى فمه لكما فيخر ميتا حتى تكاثروا عليه بالخناجر وعلى مرءى من السلطان قطعوه أربا فتولى الصدارة العظمى رجب باشا المذكور وعزل يحيى أفنـدى شيخ الاسلام وسكنت الفتنـة على ذلك وأما السلطان فانه غضب غضـبا شديدا وأرسل مرتضى باشا الى توقاد لقتل خسرو باشا الصدر الاسبق حيث ان هذه الفتنة قامت بسبب عزله توهما انه هو المحرك لهـا مع أن الواقع خلاف ذلك كما يؤخـذ مما تقدّم من نصحه للعساكر ومما هو معلوم من شـدّة نصحه للدولة أما رجب باشا فانه اشتغل برأيه وأراد محو بعض المقربين للسلطان حتى لايعارضه فى أمره أحد فحرك الاوجاقيين على طلب المتسببين فى قتـل خسرو باشا فهجموا على السراية وطلبوا الدفتدار باشا وحسن خليفة وموسى چلبى من مقربى السلطان وقد استحوذوا عليهم وقتلوهم شهداء وبعد ذلك خرج هؤلاء الاشقياء عن أطوارهم وكلما أرادوا شـيأ أجبروا الوزراء على تنفيـذه حتى مل السلطان فاضطر لاقتحام صـعاب الامور وتولى الادارة بنفسه وأحضر رجب باشا أمامه فأمر بقتله خنقا وعين بدله محمد باشا الارنؤطى ثم تحصل على احضار رؤساء الاشقياء أفرادا وأزواجا وقتلهم ثم خرج جهرا بمن معه فى الاسواق والشوارع وكل من يجده منهم يقتله وبعضهم يدخله فى الزكايب ويرميه فى البحر حيا حتى طهر الاسـتانة منهم وأخذ ثار أخيـه عثمان الشهيد

وفى سنة ١٠٤٢ طهر هذا السلطان الشاب الغيور الغضنفر الاناضول من الاشقياء والعصاة ومحا وجودهم كما طهر الاستانة ثم أطفأ الفتن فى الحجاز ومكة المكرمة فى هذه المدّة الوجيزة وفى سنة ١٠٤٣ استولى توخنه خان قائد عساكر الفرس على وان وما حولها فارسل اليه محمد باشا الصدر الاعظم واذا بخبر أتاه فى الطريق باسترداد وان بمعرفة خليل باشا أمير أمراء أرضروم فعاد الى حلب وحارب ابن معن الدرزى الذى عاث فى الارض فسادا مدّة طويلة فى جبل لبنان وبعلبك واتفق أخيرا مع حكومة ايطاليا على معاداة الدولة العلية فانتصر محمد باشا عليه وأسره مع جملة من أكابر أعوانه وفى أثناء ذلك اعتدى القوزاق وملك بلونيا على بلاد الدولة فقام السلطان عازما على الذهاب الى هناك واذا بخبر أتاه ان أبازه باشا الشهير جمع كثيرا من عساكر التتر ونغاى فقتل كثيرا من عساكر العراق وأسر أكثرهم ففدوا أنفسهم بمبالغ جسيمة وتم الصلح وعقب ذلك جاء أبازه باشا الى الاستانة وتقرّب للسلطان وبعد قليل تداخل بين الارمن والاروام فى منازعاتهم المذهبية فكان هذا سببا لقتله وفى سنة ١٠٤٤ جهز السلطان قوّة عظيمة وعين بيرم باشا محافظا على الاستانة ثم ذهب لمحاربة الفرس وكان ذهابه يشبه ذهاب السلطان سليم الاول لمحاربة الشاه اسماعيل فى حصول بعض تمرد من الاوجاقيين واليكيجرية فصار يقتل كل من يتمرد حتى أدهش العسكر من شجاعته وشدّة بأسه فخافوا واستقاموا ولما وصل الى روان فتح قلعتها فى الحال وأسر محافظها طهماسب بن هيركون وفى سنة ١٠٤٥ قام السلطان من هناك حتى وصل الى تبريز فى اثنين وعشرين يوما فهرب رستم خان الى خانان وطلب الصلح فلم يقبل بل ذهب الى جهة وان وطلب من الشاه الحرب فلم يجسر بل هرب من جبل الى جبل بقصد اطالة الزمن لدخول الشتاء فابقى السلطان مالزم لمحافظة روان وغيرها وأبقى الصدر الاعظم فى ديار بكر وعاد هو بالاستانة لتمضية فصل الشتاء بها وفى سنة ١٠٤٦ حاصر الشاه بعساكر كثيرة روان ومن شدّة البرد لم يحصل ارسال مدد حتى استولى عليها الشاه وبناء عليه عزل محمد باشا

الصدر الاعظم وعين بدله بيرم باشا وفى سنة ١٠٤٧ عزل حاكم ارول المدعو (راقوجه) وعين بدله (تبلن اشتوان) فعصى الاول فحاربه بكر باشا بجوار نهر موروش مرارا وأخيرا انهزم وفرّ وغنم بكر باشا وعسكره ذخائره وفى أثناء ذلك استولى القوزاق على قلعة أزاق وقتلوا أكثر من فيها من المسلمين أما شاه العجم فانه خاف من ذهاب السلطان اليـه فى أول الربيـع فارسل سفيرا الى الاستانة معتذرا وطالبا العفو عنه فرده السلطان بالقول ان الجواب عن ذلك سيكون فى بغداد فخاف الشاه واستعد للحرب أما السلطان فانه عين موسى باشا قائم مقام عنه بالاستانة وفى سـنة ١٠٤٨ ذهب بجيشه لاسترداد بغـداد وقتل فى الطريق كثيرا من الاشقياء وأصحاب الجرائم منهم درويش أحمد المدّعى المهدوية الذى ضبط محل الشيـخ كامل من السادات بجوار نهر سقرية ومعـه خمسة آلاف من فوارغ العقـول الجهـلة ونفى أبا بكر جلبى شيـخ سجادة الطائفـة من قونيـه وعين بدله عارف جلبى وفى أثناء ذلك مات الصـدر الاعظم بيرم باشا رحمه الله تعالى وأحضرت جنازته للاستانة وعين بدله طيار باشا محافظ الموصل ثم ان السلطان حاصر بغداد أربعين يوما وفى أثناء هـذه المدّة حصلت وقائع حرب مات فيها من الفـرس ثلاثون ألفا ومات فيها طيار باشا الصـدر الاعظم شهيدا وعين بدله مصطفى باشا القبودان وبعد استرداد بغداد وجميـع ماستولى عليـه الفرس عاد السلطان الى الاستانة ومعـه اثنان وعشرون خانا من خانات الفرس أسراء ودخل الاستانة بموكب فاخر ومدة غيبته بهذا السفر كانت ثلاثة عشر شهرا أما الصدر الاعظم مصطفى باشا فانه أتم تجهيز معاهـدة الصلح مع الفرس باضافة قلعة درتنك للدولة العلية وبالجملة فانه كان لصالح الدولة العلية جدا ثم عاد للاستانة وفى هذه الاثناء عاد قرمان القوزاق بالبحر الاسود فاغرقت دونانمة الدولة الكثير منهم وفى هذا العام مات السلطان مصطفى المخلوع مرتين كما تقدّم ودفن بمدفنه المؤسس له المتصل بجامع أيا صوفيا وفى سـنة ١٠٤٩ دست جمهورية دولة الونديك دسائسها على افساد أهالى هرسـك الالبانيـين

والاشقودره فسلط السلطان العساكر الموجودين فى ولايتى بوسنه وهرسك عليها فاضطرت الى الصلح ثم مات السلطان رحمه الله تعالى رحمة واسعة بالغا من العمر ثمانا وعشرين سنة وكان شجاعا مهابا مشابها للسلطان سليم الاول فى العزم والحزم وعلو الهمة ولم يرزق بولد

﴿أسماء الملوك والامراء المعاصرين للسلطان مراد الاول وجهاتهم﴾

أوروبا

الروسيا ..... ميخال من قبيلة رومانوف .... ملك

بلونيا ...... لادسلاس السابع .... ملك

فلمنك ...... فرادريك هانر .... ملك

ألمانيا - أستريا. فرديناندو من قبيلة هابسبورغ .... ملك

دانيمارك .... شارل ستواد الاول

اسبانيا - برتغال - نابولى .. فليب الرابع

اسوج ونوروج. كوستاو الثانى من فاملية غستا ووازا

فرنسا ...... الامبراطور لوئى الثالث من فاملية بوربون .... امبراطور

بروسيا ..... جورز كوبلوم.................. دوق

انكلترا .... جاق ثم بعد خلعه وأعدامه سنة ١٦١٩ تحوّلت جمهورية

آسيا

الصين جابون .. هيجونغ ثم هواى جونغ

الهند ...... السلطان سليم ثم شهاب الدين جهان شاه

ايران ...... عباس ثم حفيده صفى مرزا ثم حسن شاه

١٨ السلطان ابراهيم بن السلطان أحمد خان

﴿ أخو السلطان مراد الرابع ﴾

ولد المشار اليه سنة ١٠٢٤ وجلس سنة ١٠٤٩ وله من العمر خمس وعشرون سنة فبعد المبايعة توزعت العطايا المعتادة أما الصـدر الاعظم مصطفى باشا فانه اهتم فى اقتفاء أثر السلطان مراد فى حزمه ضدّ الاشقياء وأصلح طرق التحصيلات وضرب النقود وقام بالعدل وأرسل مأمير الى الجهات لتنفيذ هـذه الاصلاحات وفى سـنة ١٠٥٠ تجددت المعاهـدات مع الدول الاجنبية بهمة وتدبير ماهبيكر والدة السلطان وفى هذا العام جاء السفراء من الروسيا وايران بالهدايا الكثيرة وشـدّد الصـدر الاعظم فى منع المسكرات وشرب الدخان كليا فاضطر أصحاب الكيف المبتلون به على استعمال النشوق والافيون وفى سنة ١٠٥١ أحرق بعض الجهال بعض الكنائس فى بروسـة فأدبتهـم الحكومة تأديبا صارما وفى سـنة ١٠٥٢ عصت عربان بغداد فأرسلت اليهم فرقة من العساكر فأدبتهم وفى هـــذا العام كثرت القلاقل لعـدم وجود أولاد للسلطان مع كونه كان مغرما بالنساء ومضى ثلاث سلاطين قبـله بلا ذرية فخافت الامّة من انقـراض السلسلة العثمانيـــة لاقدر الله ثم ان الله تعالى منّ على السلطان ابراهيم الحالى بثلاثة أولاد متوالية وهم محمـد وأحمـد وسليمان فانسر الاهالى سرورا زائدا وفى هـــذا العام صار استرداد قلعة أزاق من القوزاق وتداخل حسين باشا بن نصوح باشا أمير أمراء الحلب فى أمور مصطفى باشا الصدر الاعظم وكان الاول ذا ثروة هائلة حتى أدت هـذه الخصومة الى عصيانه فهجم على سواس وانتصر على جملة باشوات ثم أراد الحضور الى الاستانة لينتقم من الصدر الاعظم فوصل الى جاميجه بالقرب من اسكدار ووضع خيامه وكلما ذهبت اليه فرقة من العسكر انتصر عليها حتى استولى على أهالى الاستانة الهرج والمرج فطلب الصدر الاعظم فتوى على جواز قتل حسين باشا بسبب خروجه على السلطان ثم أرسل

محمد باشا كرجى بمدافع وعساكر الى اسكدار وذهب السلطان الى بستانها أما حسين باشا فلكثرة فرسانه كان قادرا على جعل عالى اسكدار سافلها بحملة واحدة ولكن لم يفعل شيأ من ذلك بل طلب محاكمة الصدر الاعظم شرعا وعرض على السلطان انقياده لاوامره فلم يصغ أحد لطلباته فقام من هناك خفافا الى ساحل البحر الاسود وعبره ووصل الى تار وسجفه فلحقه بستانجى باشى فقبض عليه حيا وأحضره الى الصدر الاعظم فقتله شهيدا فلما بلغ الخبر لاحزابه ظهرت فتنة كبيرة حتى تغلبت الحكومة عليهم وأهلكت جملة من باشوات أحزابه ثم صادرت أموالهم فكانت مليونا من الاقجه وهذه أول مصادرة فى الدولة العلية ثم صارت المصادرات شيأ فشيأ على حالة رديئة وفى سنة ١٠٥٣ ظهر حسين جنجى خوجه أى معلم عالما ببعض أدعية مأثورة فتقرب بها الى السراية حتى صار فى مدة قليلة معلما للسلطان ثم مدرسا ثم نال لقب رتبة قاضى عسكر وصار يتداخل فى كافة أمور الدولة حتى تسبب فى ازالة مصطفى باشا الصدر الاعظم وفى أثناء ذلك مات يحيى أفندى شيخ الاسلام ابن زكريا أفندى فعين بدله أبو سعيد أفندى ولكن بعد هذا صار زمام أمور السلطنة فى يد من لم يكونوا أهلا لها حيث ان السلطان ابراهيم كان محبوسا فى مدة أخيه السلطان مراد وكان أغلب حركاته بخفة وطيش وكان مغرما بحب النساء منقادا لمشورتهن فبهذا السبب زادت مخصصات أهل السراية وخدامها زيادة باهظة حتى صارت مالية الدولة على وشك التفليس وتأخر صرف مرتبات العسكر فكثرت الشكاوى وصار السلطان يغير ويبدل الوزراء والمأمورين حتى ان الولاة يعزلون من قبل وصولهم الى محل ولاياتهم ثم صار نفى محمد كراى خان قريم الى جزيرة رودس وفى سنة ١٠٥٤ عين محمد باشا والى الشام للصدارة العظمى وفى هذه الاثناء قدمت الروسيا وبلونيا الشكاوى فى حق التتر فنظرت الدولة لشكواهما بعين الرعاية وصار التنبيه عليهم بحسن المعاشرة معهما ثم وقع الشقاق بين الشراكسة فعينت الدولة منهم انطوناقا رئيسا فاندفع الشقاق بذلك بينهم وفى هذا العام حصلت فتنة

فى ألمانيا لكون البروتستانيين منها عادوا امبراطورهم وكذلك دولة أسوج جلبت داقوجه حاكم أردل من قبل الدولة العلية اليها لمحاربتهما أوستريا فتداخلت الدولة العلية بمنع المومأ اليه من الحرب والصلح مع أوستريا واصلاح ذات بين الجميع فليتأمل فيما كانت تفعله الدولة العلية من الاصلاح بين الدول وما تفعله الدول معها وفى هذا العام نفى السلطان سنبل أغا أغا دار السعادة الى مصر ومعه أمواله فقابل قرصان مالطة السفينة التى بها الاغا فقتلوه وأسروا حجاجا كثيرين وفيهم محمد أفندى البروسه لى قاضى مكة المشرفة ثم صادفهم أمواج هائلة فاغرقت أغلبهم ولما وصل هذا الخبر الى الاستانة جهزت الدولة لفتح جزيرة كريد لأمن الطريق برا وبحرا برئاسة يوسف أغا القبودان بعد تعيينه سردارا والانعام عليه برتبة الوزارة فى سنة ١٠٥٥ وكان جيشه هذا ثلاثين ألفا وفى ظرف خمسين يوما فتح قلعة خانيه ونظرا لكثرة المنافسات والنفاق بين باشوات الجيش وأرباب الحل والعقد بالأستانة ولامداد دولة فرنسا للكريديين وقيام دولة الونديك ضد الدولة امتدت مدة فتح كريد نهائيا خمسة وعشرين سنة كما يأتى وكان كلما يبلغ السلطان خبر هذه المنافسات يعامل بعضهم أشد معاملة ويجازيه جزاء صارما حتى صار له أعداء كثيرين ثم لما أرسلت دولة الونديك عساكرها الى موره وقتلت من أهاليها آلافا من الاشخاص وبلغ ذلك السلطان أراد قتل الكثيرين من الوزراء والامراء من موظفى الجيش والاستانة فمنعه شيخ الاسلام أبو سعيد أفندى بتدبيراته الحسنة ومن هذه الحركة انتقل جميع سفراء الدول من مساكنهم التى بالاستانة الى بك أوغلو وفى سنة ١٠٥٦ فتحت قلعة رتمو فى كريد بانتصارات عجيبة لامثيل لها فى ذلك الوقت ثم ظهر فى الجيش وباء مات بسببه الكثيرون فاضطر الاسطول الى الرجوع للاستانة ثم عين محمد باشا الصدر الاعظم سردارا وعين صالح باشا دفتردارا وعزل أبو سعيد أفندى شيخ الاسلام وعين بدله أحمد أفندى مفيد واتخذ السلطان يوسف باشا القبودان فاتح خانية السابق ذكره صهرا له ثم قتله شهيدا وعين بدله موسى باشا

قبودانا وفى هذه الاوقات أرسلت الدولة لمآمير الحدود شمالا وغربا أوامر بحسن معاشرة دول الحدود حتى لايحصل مشاغبات ولا قلاقل وفى هذا العام جاء رجلان من بلاد الروسيا وطلبا من السلطان ابراهيم اعانتهما على تعيين أحدهما حاكما على الموسكو وفى نظير ذلك يعطيان للدولة العلية ايالتى قزان وأجدرخان فمال السلطان الى القبول وعارض الوزراء باللطف والاحتشام حتى تغلبوا على فكره وأعادوا الشخصين قولا منهم انا نحن معاشر العثمانيين ليس من دأبنا افساد ممالك الغير ولا الاغتيال لشئ منها وفى سنة ١٠٥٧ اتخذ السلطان فضلى باشا أحد ندمائه صهرا له وعمل وليمة عظيمة انبنى عليها فراغ الخزينة ثم عقد السلطان على جاريته المدعوّة (تللى) وأجبر رجال الدولة على هدايا جسيمة من فراوى السمور ثم عين فضلى باشا هذا قبودانا وأرسله بالاسطول الى كريد فانتصر على اسطول الونديك وشتت شمل سفنها وحاصر على قلعة قندية وفى سنة ١٠٥٨ عصت عساكر أرضروم وقارص ووالى سواس على باشا ومحمد بن قره حيدر فى ولاية حميد حتى صارت الاناضول فى حالة يرثى لها ويحزن عليها وعلاوة على ذلك ظهر فساد فى بوسنة من تكاسل واليها ابراهيم باشا فاضطرت الدولة الى ارسال فرقة من العساكر اليها وأما دولة الونديك عدوة الدولة العلية المستمرة فانها هجمت بسفائنها على حين غفلة على جزيرة (مدللو) وسدت بوغاز الدردنيل لمنع الامداد الى كريد فقتل صالح باشا الصدر الاعظم شهيدا بلا موجب وعين بدله أحمد باشا والحاصل أنه فى ذالك الوقت كانت الدولة العلية فى حالة خطرة حيث ان الاختلالات والارتباكات عمتا الاناضول والروملى وعلاوة على ذلك فالسلطان ابراهيم أكثر من القتل فى الوزراء وفى صرف المصاريف الباهظة بلا موجب منها فرش كشكه من فراوى السمور علاوة على ميله الشخصى الى الخفة والمضاحكة وجولانه فى الاسواق والشوارع ليلا بالمشاعل حتى صارت الاهالى فى انتقاد عليه ثم اشتدت الفتنة وتسببوا فى تبديل الوزراء وقطعوا أحمد باشا الصدر الاعظم أربا فاهتمت والدة السلطان فى تسكين الفتنة فلم يتيسر بل خلعوا السلطان ابراهيم

وسجنوه فى خلوة من السراية وأجلسوا ابنه محمدا بالغا من العمر سبع سنين وبعد خمسة عشر يوما من هـذه الواقعـة قام السباهيون وأنكروا عليهم شـدة هذه المعاملة للسلطان فخاف أصحاب الحـل والعقد والاعيان من اسـتفحال الفتنة وحصول مالا تحمد عقباه فبنـاء عليـه قتـل السلطان ابراهيم شهيدا فى محبسه ودفن فى مدفن عمه مصطفى بجوار أيا صوفيا رحمة الله عليـه وكان أولاده ثلاثا محمد وأحمد وسليمان

﴿ أسماء معاصرى السلطان مراد من الملوك والامراء وجهاتهم ﴾

أوروبا

أوستريا وألمانيا. فرديناندو الثالث .... امبراطور

فرنسا ...... لوى الرابع .... امبراطور

انجلترا ..... كانت جمهورية

الدانيمارك ... فردريك الثالث .... ملك

اسبانيا ونابولى . فليب الرابع .... ملك

البرتغال .... جان الرابع .... ملك

الروسيا ..... علكس من فاملية رومانوف .... ملك

ساردنيا ..... شارلى امنويل الثانى .... ملك

سقسونيا..... البرد

فلمنك ...... كيلوم الثانى

آســـيا

ايران ...... صـفى مرزا ثم عباس الثانى ثم حفيـده صـفى مرزا الثانى .... شاه

الهند ...... جهان أورنك .... شاه

١٩ السلطان محمد خان الرابع

﴿ ابن السلطان ابراهيم ﴾

ولد المشار اليه فى ليلة تسعة وعشرين رمضان سنة ١٠٥١ بالاستانة وجلس فى
ثامن عشر رجب سنة ١٠٥٨ بالغا من العمر سبع سنين ومدة سلطنته احدى
وأربعون سنة وتولت والدته وصايته وأمور ادارة المملكة واسمها (ماه بيكر)
وأول حكمها كان مجازاة المتسببين فى فراغ خزينة المالية ثم صار نفى جنجى
معلم السلطان المعهود ومصادرة أمواله ودفع منها مليونان من الجنيهات فى العطايا
المعتادة للجلوس وفى سنة ١٠٥٩ حصلت فتنة بين أغوات السراية للمزاحمة على
ترفيع الرتب والزعامة فبمعرفة السباهيين واليكيجريين صار تسكين الفتنة وتأديب
المذنبين ثم اشتدت الفتن والطغيان بالاناضول حتى أن الشقيين ابن حيدر وابن
القاطرجى (البغال) قتلا والى الاناضول بجوار (افيون قره حصارى) وفى أثناء ذلك
طلب سردار كريد امدادا فارسلت الدولة الدونانمة من ساحل قوجه فوصلت الى
كريد بكل صعوبة من تسلط سفن الونديك وفى هذا العام تجددت المعاهدات مع
دول أوربا ماعدا الونديك ثم اتفق أخو محمد باشا الصدر الاعظم الاسبق مع ابن
القاطرجى المذكور ووصلا باعوانهما الى اسكدار فارسل اليهما فرقة وبسبب
الخلاف الواقع بينهما رجعا منهزمين وفى سنة ١٠٦٠ اهتم حسين باشا دلى السرعسكر
فى كريد بالحركة الحربية لكن لم تحصل ثمرة من استمرار عصيان اليكيجريين ثم
اشتدت الفتن وعم الخلل فى جسم الدولة من تغلب الاوجاقيين حيث كانوا يعزلون
الوزراء تباعا ويولون من ليسوا أهلا للوزارة فزادوا فى الاسراف والسفاهة
وصاروا يتسابقون على أخذ المناصب بالرشاوى وسرقة الاموال الاميرية ثم سرى
الظلم على الاهالى بزيادة الضرائب بما لايحتمل ولا يطاق وازداد البلاء من أعمال
أحمد باشا ملك الصدر الاعظم فى قتل أصحاب الثروة بغير موجب لمصادرة أموالهم
ثم كثرت الدراويش أرباب الطرق الصوفية الجهال وكل منهم يتملق لاحد

الاوجاقيـين وهم يحترمونهم حتى كثرت البدع والحكايات الخرافيـة باسم الدين فاجتمع العلماء أفرادا وأزواجا بالجوامع وصاروا يعظون الناس ويبينون لهـم حقيقة الدين واستمروا على ذلك حتى ان الاهالى انقادوا لنصائحهم فى محو البدع من التكايا فاغتاظ الدراويش والاوجاقيون من ذلك وفى سنة ١٠٦١ جاء الخبر من كريد بعصيان اليكيجريين ومغـلوبية دونانمة الدولة فتحيرت أفكار العامة فما كان من الاوجاقيين واليكيجريين الا وهجموا على السراية وبمساعدة أغواتها قتلوا ماه بيكر والدة السلطان والوصية عليه شهيدة رحمة الله عليها ومآثرها الخيرية لاتحصى وعـلاوة على ذلك فان سياوش باشا الصدر الاعظم قتـل جميع الاغوات ومستخدمى السراية ممن كان ينتمى للمرحومة والدة السلطان بزعمه أن ذلك من باب الاحتياط لئلا يقصد أحـدهم بالسلطان سوءا فانزعج مابقى من أغوات ومستخدمى السراية فتسلحوا وأخرجوا الراية الشريفة وطلبوا العلماء والعساكر الطائعين وجمعوهم فى أدرنة جامع وقبضوا على أغلب الاوجاقيين والمفتى بهاى ونفوهم أما نفى المفتى فهو لتهمته باعطاء الفتوى بقتل بعض من قتل وقيل غير ذلك وفى سـنة ١٠٦٢ عصى حسن باشا أبازه المعزول من ولاية التركمان فجرم الاهالى من قسطمونى الى قرمان وهزم العساكر التى أرسلت اليه ثم اتفق مع ابشير والى بغداد واستوليا على أنقره وقتلا اليكيجريين الذين كانوا موجودين هناك وأما من الخارج فان دولة الونديك استولت على جهات موستار وحاصرت باب بوغاز الدردنيل وفى سنة ١٠٦٣ حصلت مضايقة مالية فوق مايتصوّر فبناء على لائحة أحمد باشا طرخونجى صار تنقيص مرتبات المستخدمين بما فيهم خـدم السراية السلطانية مع زيادة الضرائب فوق طاقة الاهالى وفى هذا العام حصل الحرب بين بلونيا وبين طائفة زابوروق الساكنين فى سواحل نهر أوزى المعروفين (بصارى قامش قوزاق) فافسد الاجانب الموجودون فى بغـدان ولاية بغـدان وأرادوا انضمامها الى بلونيا فحارب خان قريم بلونيا وانتصر عليها وفى سنة ١٠٦٤ حصلت محاربة بحرية بين الدولة والونديك بجوار جزيرة (بوزجه)

فانتصرت دونانمة الدولة وعادت بغنائم كثيرة وفى سنة ١٠٦٥ تقول ابشير باشا
العاصى فى جهات الحلب فدعته الدولة لتعينه للصدارة فلم يحضر مطيعا بل جمع
عساكره وجاء بهم للاستانة فجلس للصدارة وعين لجميع المناصب الاخساء من
رجاله جبرا ثم كثرت مظالمه وازداد كبرياؤه فحرك بعض الوزراء بعضا من
سفهاء اليكيجريين والسباهيين على نهب بيتى الصدر الاعظم وشيخ الاسلام
ففعلوا وقتلوا أبشير باشا الصدر الاعظم بقطع رأسه وتحصلوا على زيادة علوفات
خيلهم ومرتباتهم وفى هذا العام عصت عربان بصرة وتغوّل حسن باشا أباظه فى
جهة حلب بالظلم والطغيان وفى سنة ١٠٦٦ اجتمع الاوجاقيون فى ألاى كشك
بالاستانة وصاروا كلما وجدوا أحدا من خدم السراية وأغواتها يصلبونه على
الاشجار بجوار جامع السلطان أحمد واستمروا على ذلك مدة أربعة أيام متوالية
وعزلوا الصدر الاعظم وشيخ الاسلام وغيروهما مرتين وفى سنة ١٠٦٧
استولت دولة الونديك على سواحل مورة وبعض جزائر ثم تولى الصدارة
محمد باشا كوبريلى وكان ذا تدبير حسن فظهرت الحياة فى جسم الدولة
وفى سنة ١٠٦٨ أرسل هذا الصدر النشيط وحيد عصره وفريد دهره العساكر
برا وبحرا الى البحر الابيض فشتتوا شمل سفن الونديك وأحرقوا الكثير منها
واستردوا جزيرتى (يوزجه ولمنى) وفى سنة ١٠٦٩ عصت حكام أردل
وبغدان وافلاق فارسل اليهم خان قريم وكلف بعزلهم فقام بهذه المأمورية
أحسن قيام وفتح قلعة (بانوة) ثم أن الصدر الاعظم محا أكثر من عشرين ألفا
من عصاة جهة بروسة الذين كانوا يدا لحسن باشا أباظه وفى سنة ١٠٧٠ صار
رفع الاختلال كليا من قرمان وبرية الشام ومصر حتى نال الاهالى كمال الرفاهية
وقتل أربعة آلاف من عصاة اليكيجريين والسباهيين وأنشأ استحكامات مستجدة
ببوغاز البحر الابيض (الدردنيل) وفى هذا العام عصى حاكم افلاق المعزول
وتغلب على العثمانيين الموجودين وقتئذ فى ترغويج ويركوى وابرائيل فارسل
اليه خان قريم فحا أغلبهم وهرب بعض رؤسائهم ملتجئين الى أوستريا فقبلتهم

فبناء عليـه أرسلت الدولة عساكر الى بلاد المجر وفى سـنة ١٠٧١ أغرت دولة الروسيا طائفة القوزاق فارسل اليها خان قريم وهجم على الروسيين فقتل منهم نحو مائة ألف وعشرة فى مرات كما هو فى التواريخ وفيـه نظر حيث أن هذا العدد كثير وربما كان هذا عدد المحاصرين وبقتل بعضهم وتشتيت الباقى نسب القتل للكل والله أعلم

الاتفاق ٣٥ وفى سنة ١٠٧٢ أمدت فرنسا دولة الونديك لاجل مضادة الدولة العلية فاوجب ذلك امتداد مدة فتح كريد وفى هذا العام مات محمد باشا الصدر الاعظم الكوبريلى رحمه الله رحمة واسعة وتولى بعـده ابنه أحمد فاضـل باشا الكوبريلى وفى سنة ١٠٧٣ انتصرت عساكر دولة أوستريا واستولت على قلعة أوبواد وغيرها وفى سنة ١٠٧٤ أرسل خان قريم مائة ألف فارس من عساكر التتر والقوزاق المسلمين الى بلاد أوستريا ففتحوا قلاع لونج ونوغراد وفى هذا العام قام الصدر الاعظم من بلغراد الى قلاع قانيجه وستوراد لمنع عساكر أوستريا من الاستيلاء عليها فوجد ان فرنسا أمدت أوستريا بعساكر كثيرين فوقعت حرب هائلة فانتصر عليهما واستولى على قلعتى زرينوار وراب وفى سـنة ١٠٧٥ جاء الامداد من دولتى أوستريا وفرنسا ووقعت الحرب فى صحراء سـنفو تارد فمات من عساكر الدولة نحو عشرين ألفا فعقد الصـدر الاعظم صلحا وفى أثناء ذلك كان السلطان محمد فى الصيد فى جبال يانبولى ومعه فريق من الناس أكثر من ألاى ثم عاد الى سراية ادرنه بموكب وفى سنة ١٠٧٦ جهز الصـدر الاعظم أورديا (جيشا) لمحاربة الونديك والفرنساويين لاتمام فتح كريد وقتل الباشوات الذين كانوا يظلمون الناس فى مصر وقبرص وساقز وفى سـنة ١٠٧٧ ظهر شخصان أحدهما كردى فى الموصل وادعى أنه المهدى والآخر يهودى وادعى انه المسيح عيسى فى أزمير فارسل الصـدر الاعظم فرقتين فادبتهما وعزل والى بصرة وفى سنة ١٠٧٨ ذهب أحمد باشا الصدر الاعظم الى كريد فاشـتدّت الحركة وامدت فرانسا والبابا ومالطة الونديك والكريديين وفى سنة ١٠٧٩

ثم فتح كريد وكان السلطان محمد في يكيشهر عاصمة ولاية ترحاله ففي سنة ١٠٨٠ عاد الى أدرنة وطلبت فرنسا تجديد المعاهدات فأجيبت وفي سنة ١٠٨١ حاربت طائفة القوزاق المعرفون بصاديقا مس بلونيا وفي سنة ١٠٨٢ فتح أحمد باشا الصدر الاعظم قلعة قانيجة وما حولها ثم عقد الصلح مع بلونيا وعاد وفي سنة ١٠٨٣ لما وجدت بلونيا جهة الشمال خالية من عساكر الدولة خابرت حكام افلاق وبغدان وحرضتهم على العصيان فاستردت بهذه الوسيلة بعض المحلات التي سبق أخذ الدولة لها بالعام الماضي وفي سنة ١٠٨٤ استولى الصدر الاعظم على قلعة لازدين وفي سنة ١٠٨٥ ضربت الروسيا بلاد القوزاق المسلمين وتغلبت عليهم وفي سنة ١٠٨٦ عقد الصلح بينها وبين الدولة على شرط تمليك الجهات الكائنة بين نهري طورله وأوزي للدولة العلية وفي سنة ١٠٨٧ مات النشيط النصوح أحمد باشا الصدر الاعظم رحمه الله تعالى رحمة واسعة في السنة الخامسة عشرة من صدارته وتولى بعده مصطفى باشا قره وفي سنة ١٠٨٨ حصلت مناوشات بين الدولة العلية والروسيا فاستولت الاولى على قلعة جهرين وفي سنة ١٠٨٩ عقدت المعاهده بينهما بواسطة خان قريم على ترك الحرب وفي سنة ١٠٩١ طردت دونانمة فرنسا سفن طرابلس الغرب لحد جزيرة ساقس ثم عادت وانبنى على ذلك حصول الحركات العدوانية بين الدولتين ولم يحصل حرب وفي سنة ١٠٩٢ دست دولة اوستريا الدسائس في بلاد المجر حتى حصل فيها الاختلال فعينت الدولة انكروس بك ملكا على المجر ليكون مدافعا عنها فعاندت أوستريا وهاجمت بلاد المجر فغضب الصدر الاعظم مصطفى باشا وفي سنة ١٠٩٣ ذهب الى هناك وانتصر على أوستريا انتصارا باهرا حتى وصل الى ويانا عاصمتها وحاصرها لكن لابطائه في الهجوم عليها لم تحصل ثمرة حيث ان ملك بلونيا هجم على بلاد الدولة فاضطر الصدر الاعظم على ترك المحاصرة والرجوع الى بلغراد ثم اتحدت دولة الونديك أوستريا وبلونيا على محاربة الدولة فالونديك في جهة هرسك وموره وأوستريا في جهة بوسنه وبلونيا في جهة حدودها قاصدين

بذلك ارتباك حال الدولة واذلالها وفى سـنة ١٠٩٤ اضطر الصدر الاعظم الى تقسيم الجيش ثلاث فرق فالفرقة التى امام جيش بلونيا انتصرت عليه حتى شتتت شمله و اما الفرقتان الثانيتان فقد أبليا بلاء حسنا وفى سنة ١٠٩٥ حصل هياج فى الجيش بدعوى ان السلطان محمد لم ينظر لصالح الدولة ولا لصالح الاهالى وانه مغرم بالصيد الذى لا يليق اشتغال مثله به وتآمروا على خلعه فخلعوه وجلس أخوه السلطان سليمان أما أولاد السلطان محمد الرابع فهما السلطان مصطفى الثانى والسلطان أحمد الثالث وسيأتى زمن توليتهما ان شاء الله تعالى

(أسماء معاصرى السلطان محمد من الملوك والامراء وجهاتهم)

اوروبا

ألمانيا وأستريا . فردريك الثالث ثم ليولو الاول ..... امبراطوريه

فرنسا .... لوى الرابع عشر .... ملك

انجلترا ..... شارل الاول ثم قرومول ثم شارل الثانى ثم خاق الثانى

برتغال ...... الفونس السادس .... ملك

روما .... علكساندر .... ملك

روسيا ...... علكس ثم فودور الثالث ثم كازمير الخامس وبترو الاول وهو بطرس الكبير بالاشتراك فى الحكومة

بروسيا .... فردريك الاول .... دوق

بلونيا ...... چان كازمير ثم ميشل ثم جان .... ملوك

فلمنك ...... كيلوم الثالث .... ملك

اسوج .... شارل العاشر ثم شارل الحادى عشر

دانيمارك .... فردريك الثالث ثم فرستيان الخامس

ايران .... الشاه عباس الثانى

٢٠ السلطان سليمان خان الثانى

﴿ ابن السلطان ابراهيم ﴾

ولد المشار اليه سنة ١٠٥٢ وجلس فى شهر ذى الحجة سنة ١٠٩٩ بالغا من العمر ٤٧ سنة ومدة سلطنته ثلاث سنين وكسور وقد تقدم ان هياج الجيش أوجب خلع السلطان محمد فالاوجاقيون بالاستانة لم يكتفوا بذلك بل أجمع اليكيجريون فى آت ميدان والسباهيون فى ميدان السلطان أحمد ونصبوا الخيم وصاروا يتداخلون فى أمور الدولة بعزل هذا ونفى ذاك وتجريم الآخر وقتل ونهب بيوت غيرهم حتى فى ذات يوم هجموا على الباب العالى وقتلوا سياوش باشا شهيدا عند مدافعته عن حرمه حال هجومهم عليها فهاج أهالى الاستانة وأعيانها وتسلحوا واتحدوا مع خدم السراية واجتمعوا تحت الراية الشريفة ثم هجموا على هؤلاء الاشقياء فقتلوا منهم كثيرا وهرب الباقون الى قشلاقاتهم منقادين طائعين ظاهرا وسكنت الفتنه ثم عين اسماعيل باشا للصدارة العظمى لكن الدولة قد ابتليت خارجا باستيلاء أوستريا على قلعة أكرى والونديك على جهات مورا وعصى عثمان باشا يكن (١) سر عسكر الاناضول واستقل ثم عبر البحر الى روملى ودخل قهرا الى بلغراد ثم عصت العساكر الموجودة بكريد وطمشوار واستولت على بلاد بوسنه وجميع ما حولها فاتخذت الدولة خلع السلطان محمد وجلوس السلطان سليمان وسيلة لعقد الصلح مع أوستريا موقتا للكف عن الحرب وفى سنة ١١٠٠ عزل سليمان باشا الصدر الاعظم وعين بدله مصطفى باشا تكفورطاغلى ثم أن السلطان سليمان اهتم بالتجهيزات الحربية برا وبحرا حتى أن دونانمة الدولة طردت عسكر الونديك من جهة أغريبوز وكذلك عساكر التترشتت شمل القوزاق وخربوا كثيرا من بلاد الروسيا حيث أنهم كانوا اعتدوا ثم طلب خان قريم للحضور للاستانة للمشورة فى أمر عثمان باشا يكن العاصى

(١) معنى يكن ابن أخت أحد السلاطين

فاستقر الرأى على التنفير ضدّه وضدّ أعوانه فبناء عليه أعدمت أعوانه العصاة بالاناضول ومنع من ذلك الوقت اتخاذ صاريجة وسكبانة (١) بطرف الباشوات وفى سنة ١١٠١ قرر أركان وأعيان السلطنة السنية تعيين مصطفى باشا بن كوبريلى الشهير للصدارة وكان حازما نشيطا نصوحا للدولة كعائلته الكوبريليين وقد مر ذكر بعض مآثرهم الجميلة فاهتم المذكور بالتجهيزات الحربية وطلب حضور حاكم أردل لانضمامه فى الجيش وكانت أوستريا استولت على جميع قلاع بلاد الصرب فرتب الصدر الاعظم الجيش فرقا واسترد كثيرا من القلاع فلم تشغل هذا الرجل الهمام فريد عصره ووحيد دهره المشاغل ولا المحاربات الخارجية عن رفع المظالم عن الاهالى وتجديد نظامات جديدة عادلة وسن قانونا لكيفية تحصيل الاموال الاميرية بطريق الراحة للاهالى حتى تمكن من زيادة الايرادات السنوية ثم جمع بذلك عساكر كثيرة وحارب المتغلبين على الدولة بهمة عالية فاسترد من الونديك جزيرة مورا وما حولها ومن أوستريا وألمانيا بلاد الصرب ومن الروسيا وبلونيا بلاد ترانسيلوانية وجميع ضائعات الدولة فجزاه الله عن الاسلام خيرا ثم فى سنة ١١٠٢ عاد الأمن فى بلاد مصر وقبرص وأدّب بعض عصاة العساكر بهما ثم قوى حدودات هرسك وبلاد الارانطه وملأها بالعساكر لقطع طمع الونديك من تلك الجهات واستمر على تجديد الاعمال الصالحة حتى اندهشت الدول من سطوته وعلو همته لكن بالاسف قتل شهيدا فى معركة كما سيأتى وفى هذا العام مات السلطان سليمان بغير ذرية وكان موته فى أدرنة رحمه الله تعالى رحمة واسعة

(أسماء الامراء والملوك المعاصرين للسلطان سليمان الثانى وجهاتهم)

أوربا

أوستريا وألمانيا. فليب وقيل ليوبولد الاول .... امبراطور

---

(١) هما اسمان للعساكر الذين يتخذونهم الباشوات والولاة قبل ذلك خلاف عساكر الحكومه

الروسيا ...... ايوان الخامس من عائلة رومانوف بالاشتراك مع بترو الاول وهو بطرس الاكبر الشهير

انكلترا ..... جاك أورانثر الثانى من عائلة سطوار ثم كيلوم الثالث من عائلة داسوه

فرنسا ..... لوى الرابع عشر من عائلة بورلون

فلمنك .... كيلوم الثالث

بلونيا .... جان سوبيه سكى

بروسيا ..... فردريك الاول

اسبانيا ..... شارل الثانى

برتغال .... بيترو الثانى من عائلة براكانس

ساردنيا ..... ويغورات الثانى

ولم أقف على اسم سلطان الهند

---

٢١ السلطان احمد خان الثانى

﴿ ابن السلطان ابراهيم ﴾

ولد المشار اليه سنة ١٠٥٢ وجلس فى ٢٦ رمضان سنة ١١٠٢ بالغا من العمر خمسين سنة ومدّة سلطنته ثلاث سنين وثمانية أشهر وخمسة وعشرون يوما وكانت مبايعته فى أدرنة وكان الصدر الاعظم مصطفى باشا الهمام فى حرب مستمر مع دول الشمال خصوصا ألمانيا وأوستريا حتى حصلت واقعة هائلة بعد جلوس السلطان أحمد المذكور بلغ فيها عساكر الدولة خيمة الامبراطور لكن بمهارة سر عسكر الاعداء حصلت مقاومة عنيفة وقع الصدر الاعظم فيها شهيدا رحمه الله رحمة واسعة وعين بعده خليل باشا السردار وقد مات بهذه الواقعة نحو نصف الجيش من الطرفين وبموت الصدر الاعظم انهزم جيش الدولة فحاصر الاعداء قلعة وارادين وحاصر عساكر بلونيا قلعة قامنجة وفى سنة ١١٠٣ ذهب جيش

ألمانيا و أوستريا الى الصرب فقاومهم العثمانيون هناك وفى أثناء ذلك جاء السفراء من بخارى وايران وطلب الامبراطور الصلح بواسطة سفراء دولة هولنده لكن لجسامة طلبات الامبراطور لم يقبـل السلطان بل استمرت الحرب وفى أثناء ذلك حصلت فتنة فى مكة المكرمة بين الاشراف والسادات من جهة المزاحمة فى امارة مكة فعزل الصـدر الاعظم وعين بدله الحاج على باشا وفى سـنة ١١٠٤ قام الصدر الاعظم المذكور من أدرنة وقبل وصوله للجيش استولى الاعداء المتفقون على قلعة يانوه وشرعت فى محاصرة بلغراد أما من جهة بوسنة فان دولة الونديك لم تزل مستمرة على محاربتهـا حتى صار جيش الدولة أربـع فرق على أربـع دول ثم تحركت دولة الروسـيا أيضا فارتبك أمر الدولة وملت عساكرها من استمرار الحروب وفى هذا العام مات السلطان محمد خان الرابـع المخلوع فى سنة ١٠٩٩ ودفن فى ساحة جامعه بالقرب من (باغجه قبوسى) أى باب البستان بالاستانة رحمه الله تعالى وعفى عنه وفى هـذا العام لم تقتصر الحال على ماحصل للدولة من الكرب باتحاد الدول عليهـا واستمرار الحروب بل حصلت فتنـة بالشام فارسلت اليها الدولة فرقة من العساكر لايجاد الأمن بها ثم حصـل حريق هائل بالاستانة بادئا من أيازمه قبوسى أحرق السليمـانية وات بازارى وغيرهمـا وفى سنة ١١٠٥ أرسل الجيش الى بلغراد فى أول فصل الربيـع فحاصر قلعة واradين أما الونديك فانها اسـتولت على حصار غبلة واستولت بحرا على جزيرة ساقز من اسـتقلال العساكر التى أمامها وانتصرت عساكر التتر قيادة خان قريم على عساكر بلونيا وفى سنة ١١٠٦ بلغ ظلم سعد بن سعيد أمير مكة عنان السماء من سلب ونهب أموال الحجاج وقتلهـم فكلفت الدولة والى الشام بايجاد الأمن بالحجاز وأمدته بمال ورجال وحصلت منازعات بين الاوجاقيـين فى سواحل البربرية فى جهـة المغرب فاصلحت الدولة ذات بينهم وطلبت جميـع سفنهم الى جزيرة ساقس وفى هـذا العام جاء السفراء من انكلترا وهولنـده لينصحوا الدولة بالصلح على ترك الحرب بدون استرداد شئ مما اسـتولى عليه الاعداء من بلاد الدولة فلم يقبـل

السلطان أما فرنسا فانها كانت تحرض الدولة العلية سرا على استمرار الحرب وتعد بتسليط أعداء ألمانيا عليها وكان ذلك لصالحها لا لصالح الدولة العلية وفى هذا العام مات الشاه سليمان شاه ايران وتولى بعده ابنه حسين شاه وفيه توفى السلطان فى أدرنة وشيعت جنازته الى الاستانة ودفن بجوار الجامع السليمانى بجوار مدفن أبيه ولم يكن له ولد رحمه الله تعالى رحمة واسعة

﴿أما معاصرو السلطان أحمد فهم المذكورون فى عصر أخيه السلطان سليمان﴾

---

٢٢ السلطان مصطفى خان الثانى

﴿ابن السلطان محمد الرابع﴾

ولد المشار اليه سنة ١٠٧٤ وجلس فى سنة ١١٠٦ بالغا من العمر اثنتين وثلاثين سنة وبعد جلوسه بيومين كتب جوابا بخط يده شديد اللهجة للباب العالى مضمونه ان أسلافه من مدة طويلة اختاروا الراحة ولم ينظروا باهتمام الى نظام الدولة وانه بعدئذ يستولى بنفسه الادارة العمومية وسيكون موجودا بميادين الحرب وفى الحال اهتم بالتجهيزات الحربية ولم يفرق العطايا المعتادة لخلو الخزينة من النقود فاظهر الاوجاقيون علامات الثورة فوعدهم ان ذلك يكون بعد الانتصارات واسترداد الممالك الضائعة واخراج الاعداء منها حيث ذلك مفروض على جميع الامة وبعد ذلك تكون العطايا والهدايا والانعامات وفى سنة ١١٠٧ ذهب بنفسه مع الجيش وهجم على عساكر ألمانيا وأوستريا وانتصر عليهم ودخل بلاد المجر وفتح قلاع ليبوة وتتل وغيرهما واسترد بلغراد ونيجو وقرلسبورق ثم حصلت الواقعة الحربية المشهورة بمحاربة لغوس وقتل من الطرفين أكثر من خمسة عشر ألفا وانهزمت الاعداء وعاد السلطان الى الاستانة منصورا مؤيدا وحصل للأمة السرور وفى أثناء هذا الحرب انتصر حسين باشا القبودان ابن عم

الكوبريليين على سفن الونديك فى جزيرة ساقس ثم دخلت عساكر قريم التتر فى بلاد بلونيا وأحرقوا جهات كثيرة وفى سـنة ١١٠٨ قام بطرس الكبير بعد ان صار ملكا على جميع الروسيين والقوزاق بمائة وستين ألفا بعد ان تحالف مع ألمانيا وأوستريا على دوام الحرب ضدّ الدولة العلية ثم حاصر قلعة ازاق و أوقد النيران فى البـلاد المجاورة فاضطرت الدولة العليـة الى جمع أغلب قوّتها أمام عساكر الروسيا فاشتدّت الحرب مدّة ثلاثة أشهر فمات من عساكره نحو ثلاثين ألفا فيئس من الانتصار وعاد الى بلاده وقد ولد فى هـذه الايام السلطان محمود الاول ابن السلطان مصطفى الحالى وعصت عـربان بصرة ومنعوا مرور سفن الدولة من نهر شاط فارسلت الدولة امدادا لعساكر بغـداد لتأديبهـم وجهزت دونانمة جديدة فى بصرة وقد تقـدّم جمع أغلب قوّة الدولة أمام الروسيين فبذلك كرت عساكر ألمانيا وأوستريا والونديك وبلونيا كل منهـم هجم على مايليه من حـدود الدولة فذهب السلطان بنفسه فاولا شتت شمل عساكر بلونيا ثم حصلت موقعـة عنيفة بجوار نهر بغا فانهزمت عساكر ألمانيا وأوستريا شر هزيمة وطردوا من الحدود مشتتين وعاد السلطان منصورا على قصـد العودة الى الاستانة فبلغه ان بطرس الكبـير حاصر قلعة ازاق بقوّة جسيمة تقـرب من مائتى ألف مقاتل وعقب ذلك استولى عليها واستولت دولة الونديك على مورة ومنها ذهبت الى جهات أتينه وأستفه ثم اهتم السلطان اهتماما زائدا فى انشاء مراكب فى سواحل البحر الابيض والبحر الاسود ونهر الطونة وزيادة المعامل لصب المدافع والقلل وأنشأ فى أدرنة وأرضروم وأزمير ومصر ضربخانات لضرب النقـود وزيدت رسومات الدخان للاسـتعانة على المصاريف الحربية وفى سنة ١١٠٩ اضطرت الدولة العلية الى تفريق العساكر أمام هـذه الاعداء الكثيرة ثم حصلت واقعة عنيفة بين عساكر ألمانيا وأوستريا بقيادة البرنس أوجنة السرعسكر وبين فرقة من عساكر الدولة العلية فقتل فيها الالاف العديدة من الطرفين منهم أكثر أمراء ووزراء الدولة ودخل عساكر الاعداء فى ولاية بوسنة وأحرقت سراى الحكومة

الاتفاق ٣٧

فيها فعزل السلطان الصدر الاعظم وعين بدله حسين باشا القبودان ابن أخى محمد باشا الكوبريلى فاهتم المشار اليه بتنظيم واردات الدولة ومصروفاتها فجمع بهذا التدبير خمسين ألفا من عساكر البيادة وأربعين ألفا من السوارى وذهب بهم الى محاربة ألمانيا وأوستريا أولا ولما وصل الى صوفية توسطت دولتا انكلترا وهولنده قيل ان ذلك كان بايعاز من امبراطور ألمانيا فابدى بطرس الاكبر وبلونيا أيضا عدم قبول الصلح لكن لملل الامبراطور وعساكره من دوام المحاربة ولعله بحصول الفائدة له من هذا الصلح تغلب برأيه على المتفقين فطلب من جميع أوربا المسالمة العمومية أما الدولة العلية فكانت مضطرة الى الصلح لحرج موقفها وخطر مركزها فتم الصلح على مايأتى

﴿ شروط الصلح ﴾

منها ان الدولة العلية لاتطلب بعد ئذ ويركو وهدايا من احدى الدول وان دولة ألمانيا وأوستريا تتصرف فى الاراضى الكائنة أمام أنهر طونه وصوه وأوتا واسترداد مورة والجزائر السبعة واليونان والدلماجيا للونديك وان تكون حدود بلونيا نهر طورله بترك بوروليا وقرانلها وتكون معافاة من اعطا ويركو لخان قريم ومنها ترك قلعة ازاق للروسيا ففى هذه الحالة تكون ضائعات الدولة العلية مايأتى - بلاد المجر ١ - ترانسلوانيا ٢ - دلماجيا ٣ - قران ٤ - مورة - ٥ الجزائر السبعة ٦ - قلعة ازاق ٧ - فعاد السلطان والصدر الاعظم حسين باشا الى الاستانة موقتا للمكالمة مع السفراء الكبار الذين جاؤا لهذا الامر من جميع الدول لاتمام الصلح وفى سنة ١١١٠ ولد للسلطان ولد سماه محمدا وفى سنة ١١١١ ولد له آخر سماه حسينا ولما تمت الامور الخارجية والمشاغلات الحربية بماذكر اهتم السلطان والصدر الاعظم بالاصلاحات الداخلية والنظامات الحربية وأنشأ كتاتيب وجوامع وكبارى وقشلاقات ونحو ذلك من الاساسات الخيرية وتأمين الحجاج من تعديات العرب عليهم وفى سنة ١١١٢ جمع سليم كراى خان

أخو خان قريم الغازى الكثيرين من طوائف نغاى وبوجاق وأظهر هناك الفساد فاحالت الدولة تأديبـه على محافظ أوزى فانهزم والتجأ الى الاسـتانة وفى سنة ١١١٣ اهتم حسين باشا الصدر الاعظم بضرب النقود الفضية فى سلانيك وتعمير القـلاع وفى هـذا العام أفسد قسيسوا الجزويت فيما بين الارمن لدخول فريق منهم فى مذهب الكاتوليك وعدم رضا الآخرين بذلك فاستفحلت الفتنة فاضطرت الدولة الى عزل بطريق الارمن ونفى بعض من القسيسين المذكورين وقفل مكتبهم الموجود بارضروم وفى سنة ١١١٤ عين مصطفى باشا دالطبان للصدارة وصار فيض الله أفندى المفتى الذى كان معلما للسلطان يتداخل فى أمور الدولة فعزل مصطفى باشا الصـدر الاعظم وتولى بدله محمد باشا رامى وفى هذه الايام ولد ولد للسلطان سماه مرادا وكان السلطان اذ ذاك فى أدرنة وفى ذات يوم اجتمع الاوجاقيون بسبب سير المفتى المذكور بما يخالف رغبتهـم وأخرجوا الراية الشريفة من السراية ومعهم ستون ألفا خارج الاستانة فقام السلطان من أدرنة بما معه من العسكر وعند ماقرب منهم انضم عسكره اليهم فلما رأى ذلك خلع نفسه ودعا أخاه أحمدا وأجلسه وفى سنة ١١١٥ مات مصطفى بعد خلعه بخمسة أشهر رحمه الله رحمة واسعة وكان له من الاولاد السلطان محمود الاول والسلطان عثمان الثالث ولم يذكر شيأ عن الآخرين ولم أقف ان كانوا ماتوا فى حياته أولم تذكرهم التواريخ لعدم توليتهم السلطنة

(أسماء معاصرى السلطان مصطفى الثانى من الامراء والملوك وجهاتهم)

أوربا

الروسيا ..... بطرس الكبير

اسوج ...... شارلى الثانى عشر من عائلة دبون

فلمنك ...... جمهورية

أوستريا وألمانيا. ليوبولد الاول من عائلة بسبورغ

فرنسا .... لوى الرابع عشر

بروسيا ..... فردريك الاول

الونديك .... جمهورية

اسبانيا...... فليب الخامس من عائلة بوربون

دانيمرك ..... فرستيان الخامس ثم فره دريك الرابع

انكلترا ..... كيلوم الثالث

ساكسونيا.... شارل الثانى عشر من عائلة البرت

---

٢٣ السلطان احمد خان الثالث

(ابن السلطان محمد الرابع)

ولد المشار اليه فى سنة ١٠٨٤ وجلس سنة ١١١٥ بناء على طلب أخيه السلطان مصطفى كما تقدم بالغا من العمر احدى وثلاثين سنة ومدّة سلطنته ثمان وعشرون سنة وكسور وابتدأ بمحو آثار المفسدين من اليكيجريين ورئيسهم أى أغاهم ثم عزل الوزراء والمستخدمين المتعينين بمعرفة وواسطة الاوجاقيين فانطفأت نيران المظالم وفى سنة ١١١٦ بنى قلاع باطوم و بغداد جك وطمرق لتأمين وتقوية الحدود وفى هذا العام عصت قبيلة منتفك وأفسدت فى جهات بصرة فارسل اليهم فرقة لتأديبهم وفى سنة ١١١٧ أظهرت دولة الروسيا المحبة والتودد للدولة وبعد البحث اتضح انها مهتمة بالتجهيزات الحربية سرا فلم تدخل هذه الغفلة على الدولة بل جهزت دونانمة عظيمة وساقتها الى البحر الاسود ثم اهتم السلطان باتخاذ الاسباب فى حسن معاشرة الدول لكن لنوايا الروسيا ضد الدولة العلية بانواع السوء لم تفد الاسباب الودية بل ظهرت منها العداوة ظاهرا وباطنا على مايأتى وكانت استولت على أغلب ممالك دولة أسوج وتصادف حصول شقاق بين دول الغرب بخصوص المنازعة فى وراثة تخت اسبانيا وفى سنة ١١١٨ أفسد قسيسوا

جزويت بين الارمن لدعوتهم للدخول فى مذهب الكاثوليك فانبنى عليـه نفى الكثيرين من الارمن الكاتوليكيين المفسدين وسجن بعضهم وفى هـذا العام طردت دونانمة الدولة قرصان مالطه فى البحر الابيض وسفن القوزاق من البحر الاسود فالتجأ الفارون الى الغازى كراى خان قريم فغضب السلطان وعزله وعين بدله قبلان كراى وفى سنة ١١١٩ هجم قبلان المذكور على طائفـة قبارطاى (وهم طائفة من الشراكسة مما يلى الروسيا) فمن سوء تدبيره عاد مغـلوبا وفى سنة ١١٢٠ لما رؤى من حاكم بغدان المساعدة للروسيا سرا والتودد الزائد عزل وعين بدله وفى سـنة ١١٢١ انتصر بطرس الكبير على قارلوس الثانى ملك اسوج فهرب الاخير والتجأ الى قلعة بندر من ممالك الدولة العلية وفى سنة ١١٢٢ جعل بطرس الكبير قبول الملك المذكور اهانة له وعداوة من الدولة العلية فطلب منها طرده وعزل رئيس القلعة المذكورة ترضية له فردت عليـه الدولة الطلب فقام فى الحـال بجيشه الجرار على بلاد الدولة فارسلت الدولة محمد باشا البلطجى الصدر الاعظم لمقابلته فاسرع المشار اليه بالسير حتى التقى مع بطرس الكبير فى جهة قالجى فاشتبكت الحرب واشتد لهيبها فانتصر الصدر الاعظم وكاد ان يحصره هو وعائلته فارسل بطرس كترينا زوجته للصـدر الاعظم طلبا للصلح والامان فقبل على شروط منهـا رد قلعة ازاق التى كانت للروسـيا بناء على معاهدة سـنة ١١٠٩ وهدم الاستحكامات التى أنشأتها الروسـيا على ساحل البحر الاسود وعدم جواز استحكامات بدلها مرة أخرى وعـدم التعرض لملك اسوج فى عودته الى بلاده وعدم جواز مرور دونانمتها فى البحـر الاسود ودفع ثمانيـة آلاف جنيه ذهبا غرامة حربيـه خلاف ما أعطى للصـدر الاعظم ممـا لم أقف على مقداره وما كان ذلك ممنوعا بل كان من ضمن العادات وفى سنة ١١٢٤ افترقت وزراء الدولة وأصحاب الكلمة فى أمر الصلح المذكور ففريق استصوبه والآخر خطأ الصدر الاعظم قولا منهم انه كان ممكن القبض على بطرس وعائلته وارسالهم للاستانة العلية وبعد مجادلات تغلب رأى الاخير وترتب عليـه عزل

ونفى الصدر الاعظم وفى سنة ١١٢٥ ظهرت من دولة الونديك علامات الخداع بالسعى فى التجهيزات الحربيـة سرا وكذلك الروسـيا من قبـل جفاف نسخ المعاهدة فاضطرت الدولة الى الصلح مع دول الشمال وفى سنة ١١٢٦ دست دولة الونديك الدسائس فى طائفة الالبانيين الذين هم على مذهب اللاتين وأهالى الجبـل الاسود فثاروا ضـدّ الدولة وكذلك حصـل شقاق بمصر بين الامراء المعروفين بالمماليك وكذلك ظهرت بالشام الفـتن والفظائع فاضطرت الدولة الى ارسال فرقتين الى مصر والشام وساقت باقى الجيش ضـدّ الونديك ففتح جزيرتى اشـنديل واكنة وفى سـنة ١١٢٧ ثارت أروام رومة من ظلم دولة الونديك ورغبوا فى الرجوع للدولة العلية وقد تقـدّم ان هذه الجهة كانت ألحقت بدولة الونديك بناء على معاهدة سنة ١١٠٩ فاتخذت الدولة اظهار عداوة الونديك لها ونقضها العهد واسـتغاثة الاروام بهـا وسيلة لقبول استغاثاتهم فذهب الصـدر الاعظم على باشا الداماد (أى الصهر) فاستولى على قلاع كوردوس وانابولى ومطون وقورون ومسترة ومنكشة وجبل مانية وغيرها حتى ميناء سودة بالكريد التى كانت باقية بها الونديك وكذلك فى حدود هرسك صار تخريب ممالكها وفى سنة ١١٢٨ اتحد وتحالف امبراطور ألمانيا وأوستريا مع الونديك وقدّما الاحتجاج على الدولة بانها هى التى خرقت حرمة المعاهدة المنعقدة فى سنة ١١٠٩ مع انه من البين ان الونديك هى الناقضة بافعالها المتقدّمة آنفا وساق الامبراطور عساكره الى الحدود فذهب الصـدر الاعظم للمقابلة فقدّم له أغلب أمراء المجر الشكوى من ظلم الامبراطور لهم فوعـدهم بتخليص بلادهم من يده لكن انتصر عسكر الامبراطور على جيش الدولة بهمة باش وكيله البرنس أوجن بعـد وقوع على باشا الداماد شهيدا واستولى على بلاد الافلاق وفى سنة ١١٢٩ أرسلت الدولة جيشا جديدا هناك وانتصرت دونانمة الدولة فى نهر طونة على سفن الاعداء حتى شتتت شملها لكن انتصرت الاعـداء برا بجوار بلغراد واسـتولت على قلعتها ولم ينهزم نعمان باشا الكوبريلى لكن لقلة فرقته انسحب أخيرا ثم عين ابراهيم باشا

الاتفاق ٤٠

الداماد للصدارة العظمى وفى هذا العام لما رأى بطرس الكبير اشتغال الدولة بهذه الحروب واتمام التجهيزات الحربية قدم مذكرة للدولة العلية يطلب منها تعديل معاهدة الصلح السالفة الذكر وامتيازات لرعاياه خصوصا فى القدس الشريف فاعطته الدولة الامتيازات مضطرة لداعى الحالة وفى سنة ١١٣٠ انتصرت دونانمة الدولة على سفن الونديك ثلاث مرات متواليات فطلبت الصلح مضطرة فتوسطت دولتا انكلترا وهولانده وفى سنة ١١٣١ الموافقة سنة ١٧١٨ ميلادية تم الصلح على اعادة قلاع ايموجه وبره وزه ونيجة وجزائر اليونان وموره للدولة العلية وفى سنة ١١٣٢ اهتم بطرس الكبير بتفريق فرنسا عن مسالمتها مع الدولة العلية وذهب بنفسه الى باريس فشعرت الدولة العلية بالمضار التى ربما تنتج من هذه السياحة فارسلت محمد أفندى سفيرا الى باريس لتقوية وثائق العلاقات وفى سنة ١١٣٣ قابلته فرنسا بالتبجيل والتعظيم غير انه لم يحصل أدنى ثمرة من هذه المأمورية وذلك لغموض سياسة فرنسا وقتئذ حيث انها كانت تريد تخليص ممالك دولة أسوج التى اغتصبتها الروسيا منها وذلك لا يمكن الا بقهر الروسيا فالحت فرنسا على محمد أفندى السفير بان تتحارب الدولة العلية مع الروسيا ولما كان بطرس الكبير حليفا لامبراطور ألمانيا وأوستريا ودولة الونديك لم يقبل السفير المذكور الحاحات فرنسا بذلك وأما بطرس الكبير فانه اتخذ حصول الاختلالات الجسيمة فى بلاد ايران وضعف حكومتها فرصة لتوسيع بلاده الآسياوية اضعافا حيث استولى على البلاد الكائنة غربى بحر الخزر وفى سنة ١١٣٤ ضعفت دولة ايران ضعفا كليا فاستقلت بكوات بلاد الكرج وكذا الافغانيون بقندهار وقتلوا الشاه حسين واستولوا على أغلب بلاد ايران ثم حصل الخصام والمنازعات فى شروان بين الشيعيين والسنيين وطلبوا من الدولة العلية انتخاب أحد منهم واليا عليها والحاقها بممالك الدولة فقبلت منهم هذا الطلب لكون شروان كانت لها من قبل مدّة من الزمن أما الروسيا فانها تغوّلت فى جنوب بحر الخزر فاضطرت الدولة العليـة الى ارسال عساكرها الى هناك

وكانت الروسيا قد استولت على جهات تارخو ودربنده لحد باكو وأما الدولة فانها استولت على قلاع وجهات كورى وتفليس وكنجه وشماخ وجميع بلاد الكرج وقره باغ وشروان وهنا يتأسف كل مسلم من استمرار تفرّق دول الاسلام وغلطاتهم الكثيرة التى ترتب عليها استقلال البعض واستيلاء الاجانب عليه بعد معاناة تلك المشاق وفى سنة ١١٣٥ غش بطرس الكبير الشاه طهماسب الذى نصب نفسه شاها على ايران بغير أمر قانونى بقوله له لو تركت لى جهات كيلان ومازندرانى واستراباد مع مااستوليت عليه من قبل أساعدك على حفظ مركزك واسترداد ماأخذته الدولة العلية منك اليك فقبل ذلك منه ومكنه من هذه البلاد ولما بلغ الدولة ذلك أرسلت دونانمة عظيمة بالبحر الاسود وجيشا لبلاد ايران وفى سنة ١١٣٦ استولت الدولة العلية على ولايات أردلان وسنة وكرمان شاه وهمدان وأورستان بواسطة والى بغداد واستولت أيضا على جهات سلماس خوى ومراغة وأردبيل بواسطة عبد الله باشا الكوبريلى ثم ان بطرس الكبير حرّض امبراطور ألمانيا وأوستريا على محاربة الدولة بناء على المحالفة القديمة بينهما وفى هذه الاثناء صار أشرف خان أحد أمراء ايران أميرا على جانب من بلاد العجم مع وجود الشاه طهماسب فى مركزه وذلك من استفحال الاختلال فى بلاد ايران ثم ان فرنسا توسطت بين الروسيا وألمانيا وأوستريا من جهة وبين الدولة العلية من جهة أخرى فى الصلح فاستقر الرأى على ذلك ومضمونه ان الجهات الكائنة فى سواحل بحر الخزر تكون للروسيا وبلاد الكرج وشروان وقره باغ وأذربيجان أعنى يكون الخط الفاصل مستقيما من همدان الى أردبيل فجميع البلاد الواقعة غربية تكون للدولة العلية وفى نظير ذلك تساعد الدولة العلية الشاه طهماسب على حفظ باقى بلاده من الاغتيالات الروسية وفى سنة ١١٣٧ مات بطرس الكبير واستولت بدله على البلاد الروسية كترينا الاولى فدست الدسائس فى بلاد العجم على مضادة الدولة العلية وجدّدت المحالفة سرا مع امبراطور ألمانيا وأوستريا على محاربة الدولة العلية وأما السلطان احمد

الاتفاق ٤١

الاتفاق ٤٢

ووزراؤه فانهـم وجهوا أفكارهـم الى استمرار المسالمة وتبادل المساعـدة مع دولة ايران لكن دسائس الروسيا وشـدّة عداوة الايرانيين للدولة العلية تغلبتا فما كان من عساكر ايران الا انهم هجموا على حـدود الدولة فاضطرت الدولة الى المقابلة بالمثل فارسلت ابراهيم باشا الصدر الاعظم بالجيش وفى سنة ١١٣٨ أرسل أشرف خان المذكور سفراء ومعهـم بلاغ بانه لايصح الحرب بين دولتـين مسلمتين وكان ذلك من باب الدسيسة ليس الا كما يعلم مما سيأتى وفى سنة ١١٣٩ شتتت عساكر الدولة شمل الطوائف العصاة المساعدين لعساكر ايران وهم من عربان هويرة وشاهسون والاكراد والافغان والارمن وكان من مات منهم وجرح يقرب من ستين ألفا ثم ان أشرف خان حضر فى ميدان الحرب ودس دسائس فى الجيش العثمانى ونادى فيه باعلى صوته كيف تزعمون انكم مسلمون وأنتم تقتلون المسلمين اخوانكم أفهـل تشفع لكم أمراؤكم يوم القيامة فما كان من عساكر الدولة الا انهم صغوا لقوله وألقوا السلاح تاركين ميـدان الحرب فجأة فاحتل الايرانيون بغير حرب الولايات العشرة السابق أخذها منهم بموجب صلح سنة ١١٣٦ وعلاوة على ذلك فانهم أخـذوا قلعتى سلطانية والابهر وفى سـنة ١١٤٠ ألقى قسيسوا الافرنج الفتن فى الارمن وعشموهم باستقلالهم وتعين واحد منهم ملكا فبناء عليه ثاروا ثورة واحدة وعثوا فى الارض فسادا ففى الحال شتتت الدولة شملهم ونجا من هرب من رؤسائهم الى الونديك ثم عفى السلطان عن الباقين وفى سنة ١١٤١ جمع الشاه طهماسب من طوائف جمشكزك واقشار وسائر التركمان خمسة وعشرين ألفا وتغلب على الافغان ثم دخل مدينة أصفهان عاصمة ايران وقتئذ وجمع منها أيضا عساكر كثيرة وذهب بها الى تبريز لرد ممالك موروثه اليه وفى سنة ١١٤٢ أرسل السفراء الى السلطان فى الاسـتانة بذلك فعقد السلطان المجالس وجرت مذاكرات كثيرة بشأن ذلك وفى الاثناء أتى الخـبر بدخول عساكر الشاه فى الحدود العثمانيـة فاضطرت الدولة الى تجهيز جيش كاف ولمصادفة ذلك لفصل الشـتاء مضت أربعة أشهر ولم يرسل الجيش فاستولى الشاه على قلاع تبريز وهمـدان وكرمان شاه

وفى سنة ١١٤٣ حصلت بالاستانة فتنة عظيمة بسبب مانسب لابراهيم باشا الداماد الصدر الاعظم من التأخير عن ارسال الجيش فقام باترون خليل الاوجاقى وجمع عشرين من زملائه وقام اليكيجريون وحملوا القزانات على عواتقهم علامة على الاختلال والثورة على حسب عوائدهم وكان السلطان احمد فى اسكدار فعاد الى السراية وعقد مجلسا فى دائرة الخرقة الشريفة للمشورة فى هذا الامر واذا بالعصاة هجموا على السراية وحاصروها وطلبوا بغير امهال رؤس الصدر الاعظم والقبودان باشا والكتخدا بك فسلموهم اليهم ولم يتركوا محاصرة السراية ففى الحال أحضر السلطان ابن أخيه السلطان محمود الاول وأجلسه للسلطنة واختار هو لنفسه العزلة فى خلوة من السراية قولا منه انى لأحب نزول قطرة من الدم فى نظير مابقى لى من الحياة الدنيا وكان عمره يومئذ ٥٩ سنة وله من الاولاد السلطان مصطفى الثالث والسلطان عبد الحميد الاول

﴿ أسماء معاصرى السلطان احمد من الامراء والملوك وجهاتهم ﴾

أوروبا

أوستريا وألمانيا. شارل السادس .... امبراطور

انكلترا ..... الملكه آنا من فاميلية ستوار

اسوج .... شارل الثانى عشر

دانيمرك ونوروج فردريك الرابع .... ملك

اسبانيا ..... فليب الخامس .... ملك

فرنسا...... لوى الخامس عشر

بروسيا ..... فره دريك كيلوم الاول .... ملك

فلنك .... جمهوريه رئيسها هنسبوس

روسيا...... الامبراطور بطرس الكبير ثم كترينا الاولى

الونديك..... جمهورية رئيسها دوجه

ساردنيا ..... فرفنور آمه‌ده .... ملك
بلونيا .... فردريك أوكست .... ملك
برتغال...... بدور الثانى
نابولى وسجليا . كانتا على امبراطور
ألمانيا وأستريا . شارل السادس .... امبراطور
ايران ...... الشاه حسين ثم محمود خان ثم طهماسب الثانى

---

٢٤ السلطان محمود خان الاول

ولد المشار اليه فى سنة ١١٠٨ وجلس فى سنة ١١٤٣ بالغا من العمر خمسا وثلاثين سنة ومدّة سلطنته ٢٥ سنة وقد تقدّم ذكر الفتنة الكبرى التى انبنى عليها تنازل السلطان أحمد عن السلطنة وكان الاوجاقيون العصاة قدغيروا وبدلوا فى الوزراء والمأمير فبهمة بشير أغا (أغا دار السعادة) عين للصدارة العظمى عثمان باشا توبال (١) وبهمتهما محى أثر خمسة عشر ألفا من الاشقياء المذكورين وقد تمكن السلطان من بث الامن فى الاستانة وفى سنة ١١٤٤ أعلن السلطان الحرب على شاه العجم وان كان متواليامن قبل لاستيلاء الشاه على الجهات المتقدّم ذكرها بغير اعلان حرب فارسل على باشا بن الحكيم فاقتتل مع عساكر ايران بقيادة (نادر قولى خان) بجوار كوريجان من ملحقات همدان فقتل من الايرانيين نحو ثلاثين ألفا وانهزم عسكرهم شر هزيمة واسترد على باشا الجهات التى استولى عليها الايرانيون أخيرا فارسل نادر شاه سفراء لطلب الصلح فتم الصلح بتعديل الحدود واسترداد بعض جهات أخرى لكن لبقاء ولايات ابرونيل وأذربيجان وأردلان وهمدان ونهاوند للايران غضب السلطان وعزل جميع الوزراء (تنبيه) لصعوبة المواصلات وطول واتساع ممالك الدولة العلية كان السلاطين

---

(١) أى الاعرج

يفوضون الامور للولاة والسرداريين وأمثالهم فيما يفعلون من حرب وصلح وغير ذلك وما تم فى هذا الصلح وغضب السلطان لذلك فهو من هذا القبيل وفى سنة ١١٤٥ خابرت الروسيا سرشاه الايران بالاتفاق ضد الدولة ثم أرسلت مذكرة للدولة تدعى بها ان الاراضى الكائنة بجوار نهر قوبان الساكن بها قبيلة القبارطاى من الشراكسة كانت لطائفة القوزاق ويلزم اعادتها اليهم وهذه كانت احتجاجات لجر المشاكل فقط فاهتمت الدولة العلية للاحتياط بالتجهيزات الحربية وفى أثناء ذلك أنزل نادر قولى خان القائد الايرانى السابق ذكره الشاه طهماسب الثانى عن كرسى المملكة ونصب نفسه شاها ثم خلع شاه كرمان وهجم على بغداد وحاصرها وأظهر حكمه على جميع ايران مستقلا وفى سنة ١١٤٦ ذهب عثمان باشا توپان الصدر الاعظم سرعسكرا فترك قولى خان الايرانى محاصرة بغداد وقابل عثمان باشا المذكور فى ساحل نهر الدجلة وكان عساكر الدولة متفرقين فى جملة حدود معظمها فى حدى الروسيا وايران فوقعت حرب هائلة وانهزم جيش ايران لكن أتت فرقة ايرانية امدادا وهجمت على عثمان باشا فوقع شهيدا وانهزم عسكره وفى سنة ١١٤٧ وصل نادر قولى خان الشاه المذكور الى شهر زور ولما لم ترد اليه أخبار بانتصارات الروسيا على الدولة العلية طلب الصلح فارسلت الدولة فتح كراى خان قريم الى شروان بجيش التتر لجلب أميال سرخاى خان وشمخال للدولة العلية كما كانا وهما أمراء الداغستان فلم ينجح لسبب مخابرة الروسيا والايران لهما بمحو نفوذ الدولة العلية عنهما واستقلال بلادهما استقلالا تاما وعاد فتح كراى بعساكره الى قريم أما الروسيا فانها لم تشأ هجومها على بلاد الدولة مباشرة بل احتلت بلونيا ونصبت من قبلها أحد الامراء من محاسيبها ملكا لها ثم حاصرت قلعة ازاق من أملاك الدولة العلية المستردة بناء على صلح محمد باشا البلطجى مع بطرس الكبير سنة ١١٢٣ وفى سنة ١١٤٩ فرح نادر شاه من اعلان الدولة العلية للروسيا بالحرب وارسال نحو ثلثى جيشها أمام الروسيا فاخذ عساكره وذهب الى جهات اردبيل وقره باغ

الاتفاق ٤٣

واستولى على قلعة بايزيد وانتصر على عساكر الدولة ثم استولى على تفليس وروان وشروان وجميع بلاد الكرج ثم طلب الصلح وفى هذه الاثناء قام امبراطور ألمانيا واوستريا وهجم على بلاد الدولة قياما بشروط المحالفة بينه وبين الروسيا والاستيلاء على بلاد الدولة فى هذه الاوقات الحرجه ولما رأت الدولة العلية هذه المصائب فضلت المصالحة مع ايران بترك أغلب الجهات التى استولت عليها حديثا وفى سنة ١١٥٠ قسمت الدولة العليه جيشها بين حدود الروسيا وألمانيا وفى أثناء ذلك احتلت الروسيا بلاد قريم وانتصرت على عساكر الدولة التى كانت بجوار قلعة أوزى وأما أوستريا فانها انتصرت على عساكر الدولة واحتلت الصرب باكثر من مائتى ألف عسكرى وحاصرت قلعة نيش فحصل حرب هائل بينهم وبين أحمد باشا الكوبريلى والى روملى فاضطرت عساكر أوستريا الى الانسحاب وترك القلعة ثم أرسلت أوستريا جيشا آخر الى حدود البوسنة واستولت على بعض حصار غير مهم وكان معها نحو الثلاثين ألفا من الالبانيين والصربيين فما كان من على باشا بن الحكيم واليها الا انه أفناهم ولم ينج منهم الا القليل ولقرب فصل الشتاء توسطت فرنسا فى الصلح وأساسه هو ترك أغلب البلاد التى احتلت فيها الاعدا فطاولتهم الدولة العلية فى المخابرات حتى مضى فصل الشتاء وفى سنة ١١٥١ عادت الحرب كما كانت فانتصرت الدولة على الاعداء فى بوسنة وقتلت منهم كثيرا واستردّت قلاع بلغراد وسمندرة وأورشوة وبعض جهات من ولاية بانات وفى سنة ١١٥٢ انتصرت الدولة على الروسيا برا فى جوار نهر بروط وكذلك فى أورقبو وبحرا فى بحر ازاق بتدمير دونانمتها لكن أرسلت الروسيا سبعين ألفا من جيشها مع القوزاق بطريق بلونيا واستولوا على قلعتى خوتين واياش وفى أثناء ذلك انتصرت فرقة من عساكر الدولة على أوستريا فملت الدول من الحرب ورغبت فى الصلح بواسطة فرنسا أما الدولة العلية فانها ملت أكثر منهن ولكن أظهرت الصبر والجلد حتى تساهلت الدول المحاربة والواسطة وقد تم الصلح على شرط ان بلغراد والصرب والافلاق ترد للدولة من مستوليات

الاتفاق ٤٤

ألمانيا وأوستريا وعلى هدم قلعة ازاق وانجلاء عساكر الروسيا عن سواحل نهرى أوزى وبراد والقبرطاى وداسن وعدم جواز سفن حربية للروسيا فى البحر الاسود وعلى تعيين قنصل لها بالاستانة وفى سنة ١١٥٣ تجدّدت المعاهدات التجارية بين الدولة وبين دولتى فرنسا وأسوج وفى هذا العام حصل قحط عظيم من توالى الحروب ثم ان نادر قولى خان شاه ايران خرج عن الاطوار اللائقة لسكرته مما ناله من الصلح الاخير من استرداد بعض الممالك كما تقدم فى سنة ١١٤٩ فارسل سفيرا كبيرا وبرفقته أربعة آلاف من خدمه وحاشيته الى الاستانة ليطلب التصديق على مذهبه الخامس الجعفرى وتخصيص ركن مخصوص له بالحرم الشريف فردّه السلطان بجواب مبهم مؤداه ان علاقة الدولتين فى غاية من الصفاء وفى سنة ١١٥٤ مات امبراطور ألمانيا وأوستريا وجلست وارثته الامبراطورة مارجزبانه فلم تصدّق الدول عليها فحصل بينها وبين بعضهن عداوة وعرضت أغلب الدول على الدولة العلية العذر عن الصلح الماضى وانتهاز هذه الفرصة للانتقام من دولة أوستريا وألمانيا العدوّة القديمة فلم يقبل السلطان محمود هذا العذر وقال ان سلاطين الدولة جميع أعمالهم مملوءة بالشهامة والشرف والصداقة والمروءة لا كأعمال اللصوص والقرصان وبالفعل صادق على امبراطورية الامبراطورة (ومن العجب ان هذا الجميل الفائق الحد لم يثمر ولم ينقص شيأ من العداوة المستمرة من دولة أوستريا وألمانيا للدولة العلية) وفى سنة ١١٥٥ توهم نادر شاه ان عدم مهاجمة الدولة العلية على أوستريا وألمانيا فى حال حرج موقفها من عدم تصديق الدول على امبراطوريتها ومهاجمة أغلبهم عليها ماهو الا لفرط ضعفها من استمرار الحروب السالفة فطلب ثانيا التصديق على المذهب الخامس كما سبق وطلب أيضا ولايات كردستان والعراق وهجم على حين غفلة على مدينة بغداد وفى سنة ١١٥٦ أرسل السلطان الخلع على كل من سرخاى خان وشمخال وأوسمى أمراء دغستان السالفى الذكر فى سنة ١١٤٧ وجهز جيشا بقيادة سر عسكرى ديار بكر وبغداد فانتشبت الحرب بينهما وبين الشاه بالقرب من نهر الزاب

فانهزم عسكر الشاه واضمحـل وفر هو هاربا ولـكن افتـكر ان جميع قوة الدولة العليـة مع السرعسكرين المذكورين ومن جهـة أخرى فانه خاف من الشعب الايرانى ان يعتـبره مهـانا فاهتم بالتجهيزات الحربيـة واتحـد مع بكوات الامة الـكرجية وأما أحوال الاستانة فان حسن باشا عين للصـدارة العظمى وكان غيورا حازما فسعى فى الاصلاحات الداخلية وجهز مائة ألف من العساكر فى جهات القارص وديار بكر و بغداد وفى سنة ١١٥٧ هجم نادر شاه ومعه بكوات الـكرج على روان وانتصر على والى جلدر ثم اتفق مع العربان و بعض الاكراد حتى أبلغ عسكره مائتى ألف وهجم بنفسه على قلعة قارص وهناك اشتبكت الحرب وامتدت خمسة أشهر وكانت الحرب فى أغلب الوقائع سجالا وأخيرا اشتد وطيسها وحمى فانتصرت عساكر الدولة وانسحب الشاه راجعا بما بقى من جيشه وفى سنة ١١٥٨ اقتفى أثره أحمد باشا الجنه جى وفى هذه الاثناء انضمت عساكر التتر مع خان قريم الى باقى الجيش الذى بقارص ثم وقع الحرب بقرب روان بين الشاه و بين محمد باشا يكن السرعسكر وبعد برهة وقع السرعسكر شهيدا وتفرقت عساكره فبناء عليه أرسل مذكرة يطلب فيها جهات وان والموصـل و بغداد و بصره يعنى ان هـذه الولايات كانت للايران قديما وما زال غـيرها تحت يد الدولة العلية فلما بلغ ذلك السلطان قال ان دماغ هذا الشاه مملوء بالفساد فأمر فى الحـال بجمع عساكر روملى والاناضول وأرسلهم الى ديار بكر فكان جيشا عظيما عديم النظير فلما رأى الشاه هذا الجيش الهائل سحب طلباته وطلب الصلح فوقع الصلح على أساس وشروط معاهدة السلطان مراد الرابع وذلك فى سنة ١١٥٩ وفى سنة ١١٦٠ اشتدت منازعة الدول فى وراثة الامبراطورية وصار كل منها يرسل السفراء الى الاستانة ويطلب المشاركة والمحالفة حتى وعد بعضهم برد بلاد المجر للدولة العلية فلم يقبل السلطان محمود قائلا انى لاأحارب أحدا بادئا بالتعدى وفى هذا العام أعدم نادرشاه أمراء عساكر ايران فطلب أهالى تبريز وكرمانشاه وهمدان عساكر الدولة لاحتلال بلادهم فلم يتحول السلطان محمود عن عهده قولا منه ان فى ذلك نوعا من الغدر -

ولا بد من حصول سفك دماء بين المسلمين فى ذلك ثم جدّد المعاهدة مع أوستريا وفى سنة ١١٦١ أراد اليكيجريون بالاستانة وبغداد احداث فتن وأظهروا بعض الوقاحة فى الاسواق ففى الحال تمكن السلطان من تأديبهم تأديبا صارما ثم اشتغل بابنية جوامع وكتبخانات وقشلاقات وغيرها من العمارات الخيرية وفى سنة ١١٦٢ صار تأديب عربان بغداد وقرصان البحر الابيض وخلاص المسلمين الذين وقعوا أسراء فى يد القرصان الموجودين فى بلاد ايطاليا وفى سنة ١١٦٣ ملئت بلاد الغرب بالثورات والفساد وذلك لظهور من يدعى الوهابى فى نجـد وعصيان بنى تميم فارسل السلطان للولاة بالموصل وبغداد والرقة بتأديبهم وفى سنة ١١٦٤ ظهر الفساد بالاناضول وبوسنة من طائفة الاكراد وغيرهم ففى الحال أطفئ لهيبه وخمدت ناره وفى هذا العام شكى بعض الدول للدولة العلية من تشتت مآربهم وذلك ان الروسيا أرادت الاستيلاء على بلاد أسوج الشمالية فاضطربت أحوال الدول وحرضت فرنسا الدولة العلية على محاربة الروسيا وان دولة بروسيا ستحاربها بالاتفاق مع الدولة فلما أحست الروسيا بذلك أرسلت لائحة تبرئ نفسها من هـذه الاشاعة أما الدولة العليـة فانها لم تصغ لاقوال فرنسا بل أظهرت علنا الحياد التام وانها ليست مع أحـد من الدول ضد الاخرى وفى سنة ١١٦٥ حصلت منازعات بين الشريف مساعد أمير مكة وبين الشريف محمد بن عبدالله فقدّم الاول الشكوى فى حق الثانى فارسلت الدولة مندوبا عاليا فاصلح ذات بينهما وفى أثناء ذلك ظهر فى ملاطية من عشائر مللو وتجرلو وممن يدعى ابن قلندر الشقى العصيان والفساد وكذا ظهر فى هزارغراد وروسجق وقرمان وما حولهن وكذا ظهر قرصان مالطة فى البحر الابيض فارسلت الدولة العساكر لتأديب الجميع فشتتت شملهم وأسرت القرصان ثم ان السلطان محمود استشعر بوجوب الاهتمام فى تزايد القوى البحرية فامر بانشاء ثلاث سفن جسيمة كل منها بثلاثة عنابر مع استمرار انشاء غيرها وفى سنة ١١٦٦ حصلت فتنة من اليكيجريين بالاستانة منشؤها ان بشير أغا دار السعادة عامل العلماء بما لا يليق بهم فسكنت الفتنة بقتل

هذا الاغا وفى سنة ١١٦٧ استمرت راحة الاهالى مع عدم حصول اختلال بهمة السلطان و وزرائه مع ان اليكيجريين كانوا يسعون دائما فى ايجاد الاختلال ثم ظهرت فتنة فى أواخر السـنة بسبب ان قسيسى الافرنج كانوا لايفترون عن دس الدسائس بين الارمن تارة و بين الاروام أخرى وانه من ظلم البطارقة وارتكاباتهم ثارت الاروام وهجموا على بيت بطريقهم ونهبوه وأعقب ذلك حصول زلزلة عظيمة هدمت الاستانة حتى الاسوار (١) ولولا خروج الاهالى فى الفلوات لماتوا وفى سـنة ١١٦٨ مرض السلطان فكتم الاطباء حالة مرضه خوفا من حصول الفتن حتى ان كافة الاوامر السلطانية كانت تصـــدر كما كانت فى حال صحتـه ثم لما اشتد به المرض فى ذات يوم وكان يوم جمعة لم يشأ تأخيره عن صلاة الجمعة ولا عن اجراء الموكب المعتاد فذهب و بعد الصلاة عاد وهو راكب جواده والعساكر مصطفة من الجانبين واذا بالاجل المحتوم أتاه فاستشعر به وقال لمن بجانبيه من الوزراء والامراء ان الاجل قد أتى على ما أظن فيلزم ان تحافظوا علىّ راكبا من غير ان يشعر أحد فقاموا بامره حتى انه لما وصل باب السراية مات راكبا رحمه الله رحمة واسعة ودفن فى تربته المخصوصة بيكى جامع ولم يكن له ولد

﴿أسماء معاصرى السلطان محمود الاول من الامراء والملوك والحكام وجهاتهم﴾

اوروبا

نابولى وسجلية .. دون قارلوص من فاميلة بوربون

فلمنك ...... جمهوريه رئيسها كيلوس الرابع

بروسيا ...... فردريك الثانى من فاميلة هوهنجولو

انجلترا ..... جورج السادس من فاميلة هاتور

اسبانيا...... فردينادو من فاميلة بوربون

(١) هكذا ورد وربما جاء تهويلا للامر والا فلا يعقل أن جميع الاستانة هدمت عن آخرها فليتأمل

فرنسا .... لوى الخامس عشر من فاميلة بوربون أيضا

روسيا .... ايوان الخامس

أسوج ..... فردريك

ألمانيا وأوستريا. شارل ثم مارجزبا .... امبراطوره

وندك....... جمهورية رئيسها دوجة

ساردنيا ..... وفنورامه ده

برتغال .... بدور الثانى

دانيمرك ونوروج . فردريك الرابع

ايران .... الشاه طهماسب الثانى ثم عباس خان ثم نادر قولى خان

---

٢٥ السلطان عثمان خان الثالث

﴿ ابن السلطان مصطفى الثانى ﴾

ولد المشار اليه سنة ١١١٢ وجلس سنة ١١٦٨ الموافقة سنة ١٧٥٤ ميلادية بالغا من العمر ٥٦ سنة وفى أول جلوسه اهتم بابقاء كافة المعاهدات والمصالحات ثم اشتغل بالاصلاحات الداخلية وقفل كافة الخمارات بالاستانة ومحا ما يخالف الشرع من البدع ونهى عن مشى النساء فى الاسواق بالزى المفتوح واخترع للرعية أزياء متنوعة الاجناس فى الملابس وفى هذا العام حصل نزاع فى القدس الشريف بين الاروام واللاتينيين بسبب اخراج اللاتينيين عن محافظة وملاحظة الكنائس ببيت لحم وحلول الاروام محلهم فتكدرت العلاقات بين الدولة وبين بعض الدول خصوصا دولة فرنسا ثم انتهى الامر بنفى بعض المتسببين فى هذا النزاع وفى سنة ١١٦٩ عين على باشا ابن الحكيم للصدارة فغير وعزل أغلب أصحاب المناصب ثم حصل بالاستانة حريق هائل أحرق منها الربع ثم عزل ونفى الصدر الاعظم المذكور بعد مرور ٥٣ يوما من صدارته لكن

دسائسه ومساعيه لم ينقصا حتى أن الصدارة تبدلت ثلاث مرات فى مدة وجيزة ولتغلب أحزابه أعيد للصدارة ثانيا وأعقب ذلك حصول حريق آخر بادئا من تيمورقبو واستمر مدة ٣٦ ساعة حتى احترق الباب العالى وثلثا المدينة فاضطر السلطان لان يمر خفية بنفسه حتى عرف الحقائق وسمع الشكاوى الكثيرة من الناس فى حق على المذكور فأمر بقتله فقتل وعين بدله محمد سعيد أفندى وأنعم عليـه برتبة الوزارة وفى هـذا العام عصى أمراء الاكراد فى موش وبطليس وملاس وخوشاف واستولوا على قلاعها فساقت الدولة والى أرضروم اليهم فأدبهم وانتصر عليهم وفى هـذه الاوقات جاءت السفراء من دول أوروبا للتهنئة بالجلوس وتم بناء الجامع الذى كان جارى بناؤه فى مدة السلطان محمود من مـدة ثمان سنين وفى سـنة ١١٧٠ ظهر ابن قره عثمان فى ولاية آيدين بالعصيان فقبض عليه وأعدم أما السلطان فانه عزل محمد سعيد باشا الصدر الاعظم وعين بدله مصطفى ماهر باشا وبعد زمن قليل عزله وعين بدله راغب باشا وفى سنة ١١٧١ عصت عربان الشام وقطعت الطريق على الحجاج وأعقب ذلك وفاة والدة السلطان ومحمد أكبر أولاد السلطان أحمد الثالث ثم أراد السلطان عزل راغب باشا الصدر الاعظـم واذا بالاجل المحتوم أتاه رحمه الله تعالى رحمة واسعة ولم يكن له ولد ومن الغريب أنه مع كون مدّة سلطنته ثلاث سنين غيرت فيها الصدارة سبع مرات ومدفنه بجامع لالالى

﴿ أسماء معاصرى السلطان عثمان الثالث من الامراء والملوك وجهاتهم ﴾

أوستريا وألمانيا . فرانسوا الاول .... امبراطور

بروسيا ...... فردريك الثانى

اسوج ...... فردريك أدولف

روسيا ...... ايوان السادس

فرنسا ...... لوى الخامس عشر

انكلترا ...... جورج الثانى

برتغال ...... جوزيف الاول من فاميلية برغش

بلونيا ...... ساتسلاس لفتونكس

نابولى وسجلية .. دونقارلوص من فاميلية بوربون

فلمنك ...... جمهورية رئيسها كيلوس الرابع

اسبانيا ..... جورج السادس من فاميلية بوربون

---

٢٦ السلطان مصطفى خان الثالث

ولد المشار اليه فى سنة ١١٢٩ وجلس سنة ١١٧١ الموافقة سنة ١٧٥٧ ميلادية بالغا من العمر ٤٢ سنه ومدّة سلطنته ١٦ سنه فابقى راغب باشا فى الصدارة واهتم بتأديب عربان الشام وفتح طريق الحجاز للحج ودفع طائفة نفاى التى تجاوزت الحدود الشمالية وكان تجاوزها بدسائس روسيا حيث ان امبراطورتها كترينا الثانية كانت شديدة العداوة للدولة العلية وهى ليست من العائلة الملوكية بل كانت زوجة بترو حفيد بطرس الكبير فتحايلت على خلع زوجها بدعوى أنه لم يتبع وصية جده بطرس الكبير فى معاداة الدولة العلية والسعى فى الاستيلاء على الاستانة باستمرار الاتفاق مع أوستريا والمانيا ثم أنها لم تكتف بخلع زوجها بل تسببت فى قتله حتى أنها تستقل بذلك وكانت ماهرة فى الخداع والحيل فاستقلت بالرأى والحكم وسعت لدى انجلترا والدانيمارك والبروسيا وأوستريا مع المانيا وأسوج للاتفاق معها على اعادة الامبراطورية بالاستانة ومحو دولة فرنسا ومعنى ذلك هو طرد العثمانيين من أقاليم أوروبا واعادة امبراطورية الرومية فى الاستانة ومن العجيب أن بطرس الكبير لم يوص باعادة الامبراطورية الرومية بالاستانة مع أن كترينا المذكورة خدعت الامة الروسية

فى خلع وقتل زوجها بحجة انه لم يتبع وصـية بطرس كما تقـدّم بل وخدعت أوربا بدعواها ان الغرض هو رفع شأن المسيحيين بطرد العثمانيين من أوربا واعادة الامبراطورية بالاستانة مع أن حقيقة الامر غـير ذلك بل كان غرضها الوحيد هو أخذ الاستانة وأوروبا التركية للروسية (لاقدّر الله ذلك) لا للاروام فبهذه الحيـلة قادت كترينا المذكورة أوربا لتنفيـذ أغراضها وفى الحال قامت الدول المتفقة وفى مقدّمتهن كترينا بدس الدسائس واشتعال نار الاختلال والثورة فى البلقان وموره وأما فرنسا فكانت همتها متوجهة الى تحريض الدولة العلية على محاربة الروسيا قائلة لها ان هذه الفتن من الروسيا التى هى العدوة الوحيدة للدولة العلية وكان غرضها من ذلك اشتغال الروسيا عنها أما رجال الدولة فنهم الصدر الاعظم محمد باشا ابن محسن (١) فقد نهى الدولة عن محاربة الروسيا وصمم على ذلك مع استمرار التجهيزات الحربية فتغلب أصحاب الرأى السقيم على عزله من الصدارة أما السلطان مصطفى فانه لم يحزم ولم يتدبر فى هذا الامر المهم كما يجب بل اشتغل بنظامات وتعـديلات الداخلية ورواج التجارة والصناعة وتجديد بعض المعامل وطرد الكسالى والمعروفين بالعكامين من الاستانة وارسالهم الى بلادهم لمشغوليتهم بالزراعة وفى سـنة ١١٧٢ حصل بين السادات والاشراف بمكة المشرفه الفتن والغوغاء حتى نتج عن ذلك ان العـربان قطعوا طريق الحج فارسلت الدولة عبديا باشا بفرقة من العساكر فاعاد الامن وفى سـنة ١١٧٣ حصل مثل ماتقدّم فى مكة من عربانها فاهتمت الدولة بالتنكيل بالاشقياء القاطعين للطريق وفى هذا العام زلزلت الارض بالشام حتى خربت منها جملة مدائن فأرسلت الدولة نقودا كثيرة مع مأمورين لتعمير ماهدم وفى سنة ١١٧٤ شدّد السلطان بمنع المسكرات وعـدم خروج أحد بغـير زيه فانكب الناس على استعمال

الاتفاق ٤٥

(١) هكذا فى الاصل وقد تقدّم أن الصدر الاعظم هو راغب باشا ولم يأت ذكر عزله وسيأتى انه هو الصدر الاعظم ومات فى وظيفة الصدارة كما يأتى قريبا وربما عزل راغب باشا وعين بدله ابنه محسن ثم أعيد راغب باشا فليتأمل

الافيون و الترياق وفى سنة ١١٧٥ أظهرت الروسيا مافى ضميرها من السوء فارسلت القوزاق الى الحدود العثمانية بغتة فقتلوا من كان موجودا فى بالطة من العثمانيين والبولونيين ولما ورد هذا الخبر للاستانة اهتمت الدولة بالتجهيزات الحربية وفى سنة ١١٧٦ أظهر محمد باشا راغب الصدر الاعظم همته الفائقة فى التجهيزات الحربية وكان مدبرا حازما متيقظا فجعل فى حدود الروسيا نصف الجيش أو أكثر والباقى فى حدود أوستريا و ألمانيا بخلاف الموجودين فى حدود الونديك غير أنه بالاسف توفى فى هذا العام وفى سنة ١١٧٧ طغت طائفة الياماق فى بغداد فعزل واليها وأرسل غيره ذا كفاءة و أعقب ذلك توقف حاكم كرجستان بناء على اشارة الروسيا عن عدم دفع الويركو المعتاد دفعه للدولة العلية و وعدته بمساعدة عسكرية فارسلت اليه الدولة عساكر فطلب الحاكم المذكور من الدولة العفو ودفع لها الويركو وفى سنة ١١٧٨ اشتدت الدسائس الروسية فى البلاد الممتازة التابعة للدولة العلية مثل كرجستان و الافلاق و البغدان والجبل الاسود والقريم وغيرها مثل موره بناء على اتفاق الدول كما تقدم فكانت همة الدولة العلية فى السياسة الخارجية فى ذلك الوقت ضعيفة جدا بالنسبة لعصرنا هذا وفى هذا العام مات ملك بلونيا وحصل بها اختلال و أراد العقلاء من أمرائها دخول بلادهم تحت حماية الدولة العلية مع استقلالها فقبلت الدولة ذلك لعدم استيلاء احدى الدول العظام عليها خصوصا الروسيا لكن دسائس كترينا أثرت على أفكار الاكثرين من أمرائها حيث وعدتهم بالمساعدة لتكون بلونيا دولة كبيرة فاغتروا بذلك وقبلوا دخول عساكرها فى بلادهم ثم اتفقت كترينا مع بروسيا سرا على مقاسمة بلونيا بينهما فبناء عليه دخلت عساكرها هناك ونصبت من يدعى بونيا توسكى ملكا على بلونيا وفى سنة ١١٧٩ لامت كترينا حاكم كرجستان على دفع الويركو للدولة العلية وعرضت عليه قبول عساكرها فى بلده لمنع العثمانيين عنه فبناء على هذه الخدعة قبل فارسلت الدولة العلية فرقة من عساكر الاناضول لعزل دانيال سلمون حاكم كرجستان المذكور وتعيين طهماسب أحد أقربائه

بدلا عنه لحفظ بلاده من اغتيال الروسيا وقبل أن يتم ذلك دخلت فيها عساكر الروسيا كما سيأتى وفى سنة ١١٨٠ قطع العربان بجوار مكة المشرفة الطريق على الحجاج فاضطرت الدولة الى ارسال جانب من العساكر هناك مع حرج الحالة وفى هذا العام زلزلت الارض بالاستانة فانهدم كثير من الابنية من ضمنها جامع الفاتح فحصلت مضايقة كبيرة من عدم وجود نقود لاعادة ماتهدم وفى سنة ١١٨١ ثارت أهالى قارص وقتلوا واليهم وكثرت القرصان الاجنبية فى البحر الابيض خصوصا فى مياه قبرص ورودس فاضطرت الدولة الى تشغيل جانب من اسطولها لدفع هذا الصادع وفى هذا الوقت كان أمراء مصر فى شقاق مستمر وكان ذلك من شواغل الدولة وفى سنة ١١٨٢ عصى الجبل الاسود بدسائس الروسيا بواسطة أحد قسيسيها وهجموا على بوسنة فذبحوا العساكر المستحفظين هناك فاضطرت الدولة العلية الى تقسيم عساكرها فى جهات متعددة منها خوتين برفقة الصدر الاعظم حمزة باشا امام عساكر الروسيا المحتلة بلونيا ومما ذكر يرى ان الروسيا فى هذه المدة المديدة كانت تحارب الدولة العليـة بتقويم البلاد عليها بغير اعلان حرب من الطرفين ومساعدتها لهم ثم اشتبكت الحرب بغتة بين عساكر الروسـيا وبين عساكر قريم المستحفظين فى بالطة فحرر الصـدر الاعظم عقـد اتفاق مع الروسـيا بتصديق الدول المتفقة مضمونه أن الروسيا تتعهد بسحب عساكرها من بلاد بلونيا وعدم تداخلها فى شؤنها وابقائها دولة مستقلة كما كانت فامتنعت الروسيا من التوقيع على عقـد الاتفاق حالة كونها كانت تظهر انها لاتتداخل فى أمر بلونيا فغضب الصدر الاعظم وسجن سفير الروسيا فى يدى قله وأعلن الحرب من قبل التجهيزات الحربية الكافيـــة وقيل ان ذلك كان فى سـنة ١١٨٣ ثم اشتبكت الحرب بجوار قلعة خوتين فقتل كثير من عساكر الاعداء ثم طاف نهر طورله فتشتتت عساكر الدولة واستولت الاعدء على القلعة وكذلك بخيانة الافلاقيين والبغدانين اسـتولت الاعداء على بلادهم هذا ما كان من هذه الفرقة وأما الفرقتان الموجودتان فى حدود كرجستان وبلاد القبارطاى فانهما

عجزنا عن استدامة المقاومة فاستولت الاعداء على تلك الجهات لان الدولة العلية كانت مضطرة لتفريق جيشها فى سائر الحدود ومحاربة العصاة فى جهات متعدّدة كما تقدّم وفى سنة ١١٨٤ تعرض الاميرال الكونت أورلوف مع عصاة مورا الى قلعتها فانتصرت عساكر الدولة عليهم وقتلوا الكثيرين منهم لكن جاءت سفن الروسيا من بحر بالطق ومرت على جبل طارق فاحرقت سفن الدولة بجوار جشمة فاظهر المسيحيون فى أزمير السرور من حرق سفن الدولة فاغتاظ بعض المسلمين وقتلوا بعضا منهم فى سواحل أزمير أما من جهة الشمال فقد وقعت حرب هائلة ولسوء نظام العسكر تشتتت واستولت الاعداء على قلاع اسماعيل وكلى وبندرواق كيرمان وابرائيل وفى سنة ١١٨٥ وصلت دونانمة الروسيا الى جزائر لمنى وبوزجة فاهتمت الدولة بتقوية استحكامات بوغاز البحر الابيض (الدردنيل) ثم ان حسن باشا الغازى القبودان أظهر همة عالية فى طرد سفن الروسيا من البحر الابيض وأعقب ذلك ان الروسيا طلبت الصلح وترك الحرب على شرط ان يكون بينهما بدون مدخل الدول المتفقة فاخذت الدولة هذا الطلب فرصة لتفريق أوستريا وألمانيا عنها لتجمع عساكرها جميعا فى وجهها فنجحت مبدئيا ووعدت بلزومها الحياد فلما أرادت الدولة اتمام هذا المشروع أسرعت كترينا بعرض تقسيم بلونيا بينها وبين أوستريا وألمانيا وبروسيا فقبلوا وفى أثناء ذلك عصى بعض اليكيجريين فاستولت الروسيا على بلاد قريم ونصبت عليها خانا جديدا من قبلها فهاجر الكثيرون منها الى الاناضول ولما تم تقسيم بلونيا فى سنة ١١٨٦ بين الثلاث دول أرادت الدولة جمع بعض عساكر امدادا لاجبار الروسيا على صلح شريف فما كان من اليكيجريين الا انهم عصوا عن الحرب ولم تنفعهم نصائح الوزراء ولا الامراء وفى سنة ١١٨٧ انتصرت فرقة عثمانية بجوار روسجق فلما انتشر خبر عصيان العساكر اضطربت أحوال الدولة فعزم السلطان على النفير العام وأراد الذهاب بنفسه الى الجيش الموجود فى نهر الطونة واذا بالاجل المحتوم أتاه رحمه الله تعالى رحمة واسعة ومن مآثره بناء الجامعين

لاللى وجامع ايازمه ولم يكن له من الاولاد سوى السلطان سليم الثالث

﴿أسماء معاصرى السلطان مصطفى الثالث من الامراء والملوك وجهاتهم﴾

روسيا....... بترو ثم بعد خلعه وقتله زوجتـه كتر ينا من فاميلية هولتين فوتورب

أوستريا ..... فرانسو الاول ثم جوزيف الثانى

ألمانياوبروسيا . فردريك الاول من فاميلية هو هنجولار

فرنسا .... لوى الخامس عشر

انكلترا ..... جورج الثانى ثم جورج الثالث

اسبانيا ..... شارل الثالث

برتغال...... جوزيف الاول

اسوج .... كوستاو الثالث

بلونيا .... بوميا أونونياتوسكى (وفى مدته تقسمت بلونيا كما تقدم)

نابولى وسجليا . فرديناندو الرابع

---

٢٧ السلطان عبد الحميد خان الاول

ولد المشار اليه سنة ١١٣٨ وجلس سنة ١١٨٧ ومدة سلطنته ١٦ سنة ولم يصرف العطايا المعتادة لعدم وجود نقـدية بالخزينة فاجتهـد هو ووزراؤه فى الحصول على الصلح لكن لما رأت كتر ينا من اليكيجريين الشـقاق والامتناع عن الحرب مع مصادفة وفاة السلطان مصطفى توهمت انها تستولى على الاستانة فامتنعت عن الصلح واهتمت بتقوية جيشها وفى سنة ١١٨٨ اجتهد الوزراء والضـباط فى تحريض العسكر على الحرب ولو دفعة واحـدة ليتم الصلح لكون الاعـداء يريدون أخذ الاسـتانة وتكلموا بالمواعظ الحماسية والنصائح الدينية

فوقعت الحرب بقرب نهر الطونة فاضطرت العساكر الروسية الى الانسحاب ثم ظهر فى الجيش من الشقاق والنفاق مالا يوصف ثم ان كتر ينا تيقنت عدم امكانها الاستيلاء على الاستانة من الواقعة الاخيرة فقبلت الدخول فى الصلح والسبب الاعظم فى قبولها الصلح مسألة أخرى وهى ان الدولة العلية كانت أرسلت فى أوائل هذا العام دولة كراى خان الرابع خان قريم والحاج على باشا جانيكلى الى طمان لجلب قبائل النوغاى وأقوام الشراكسة لاستخلاص قريم من يد الروسيا فقاما بهذه المأمورية أحسن قيام وجمعا كثيرا من هؤلاء الاقوام وانضم اليهم أهالى قريم فانتقموا من الاعداء وانتصروا عليهم مرارا متوالية وبالاسف لعدم معلومية الدولة جيدا بما حصل من انتصاراتهما المتوالية وعدم قيام اليكيجريين بواجباتهم الحربية أسرعت الدولة بالصلح المسمى بمعاهدة قينارجة باسم الجهة التى حصلت بها المعاهدة وكان مضرا بها جدا حيث كان من جملة استقلال قريم ومن المعلوم أن الاستقلال هو من موجبات الضياع وقد حصل كما سيأتى ومن المصائب الكبرى ان أمراء بلاد المسلمين الممتازة والمستقلة لايتعظون بما يشاهدونه من الوقائع الماضية الموجبة لضياع بلادهم حيث ان واقعة قريم كانت كافية لان تكون موعظة للجزائر وتونس وأمثالهما وانما يتذكر أولو الالباب وكان من ضمن الصلح ترك قلاع أذان وتيفان وقلبرون ويكى قلعة وكرش والجهات الكائنة فى نهرى تن وداوزى ثم بعد اتمام هذا الصلح عاد محمد باشا ابن محسن الصدر الاعظم بالجيش ولما وصل الى قرين أياد مات رحمة الله تعالى عليه وأحضرت جنازته للاستانة ودفن بالقرب من أبى أيوب الانصارى رضى الله تعالى عنه وعين بدله للصدارة العظمى محمد باشاعزت وفى سابع ذى الحجه مات شيخ الاسلام مصطفى أفندى ابن الدرى وكذا مات شيخ الاسلام الاسبق محمد سعيد أفندى ومن مضرات هذا الصلح خلاف ما ذكر أن كرجستان تركت للروسيا مرور سفنها التجارية بالحرية التامة بالبحر الاسود واعطاء بعض امتيازات لبلاد افلاق وبغدان تحت حماية

الروسيا وفى ســنة ١١٨٩ اهتمت الدولة بالاصلاحات الداخلية وقطع دابر الفساد الذى كان عم البـلاد فارسلت برا وبحرا العساكر الى عكة ومنها الى الشام ومصر لاصلاحهما وتاديب الامراء المصريين وفى هـذا العام جاء بعض أمراء قريم الى الاستانة فضيفتهم الدولة فى سراية طولمه بغجه وقد عزل الصدر الاعظم بسبب ما حصل بينـــه وبين شيـخ الاســلام من الضغائن ومن أفعال اسماعيل چلبى صهر الصدر الاعظم وعين بدله محمد أغا درويش كتخداى الصدر العالى وأنعم عليه برتبة الوزارة وبعد اثنين وعشرين يوما عزل شيخ الاسلام وعين بدله محمد أفندى أمين ابن صالح وفى هذا العام ظلم وغدر حاكم بايـنـدر الذى هو عوض محمـد أغا وعجز الولاة عن تاديبـــه فعينت الدولة القبودان حسن باشا الغازى فظفـر به وبأعوانه فى قرب أكرى دره فأعـــدم وفى سنة ١١٩٠ استفحل أمر عبـد الـكريم خان وكيل ممالك الايران فى جهـة شيراز بعد زوال سلطنة طهماسب ونادرقولىخان كما تقدّم فطالت يده على جهة بغداد وبصره فارسلت الدولة اليه أربعين ألفا ليتحدوا مع بيكوات العشائر مثل عشيرة قره كجيلو وميروس مما هو أكثر من خمسة عشر بيكا وعشيرة ثم عزل الصدر الاعظم وعين بدله محمد باشا درندلى وفى سـنة ١١٩١ ظهر ان حركة ايران من دسائس الروسيا حيث انه لما اشتبكت الحرب بين الدولة وبين ايران طلبت الروســيا طلبات نقضا للعهد وفى سـنة ١١٩٢ توالت انـكسارات الايرانيين واشتدت طلبات الروسيا فارسلت الدولة مذكرات لسفراء الدول بتبيان حقوقها وفساد طلبات كترينا ثم أرسلت من باب الاحتياط خمس سـفن حربية الى قريم وعزل الصـدر الاعظم وعين بدله محمد أغا أغا اليكيجريين وأنعم عليه برتبـة الوزارة ثم ان الروســيا دست الدسائس فى مورة فثارت الاروام فارسلت الدولة فى سنة ١١٩٣ القبودان حسن باشا الغازى فشتت شمل العصاة ثم أن الروسيا قدّمت طلبات بخصوص القريم والافلاق وبغدان لايمكن قبولها فعزل الصدر الاعظم وعين بدله السيد محمد باشا السلحدار وفى سـنة ١١٩٤

أباد سليمان باشا والى بغداد وبصره أكثر من خمس وعشرين ألفا من عربان
وطوائف الاشقياء المتقدم ذكرهم وأرسل رؤس أكثر رؤسائهم الى الاستانة
وفى أثناء ذلك طلبت الروسيا قنصلين لها فى أفلاق وبغدان فلم تقبل الدولة بل
قبلت قنصلا فى سلستره فقط وفى سنة ١١٩٥ مات السيد محمد باشا الصدر
الاعظم وعين بدله محمد باشا عزت الصدر الاعظم الاسبق وأعقب ذلك استفحال
شرور الروسيا فى ظلم بعض طوائف المسلمين الذين صاروا تحت يدها من جهة
والافساد بين أمراء قريم من جهة أخرى حتى عزلت دولة كراى خان قريم نقضا
للمعاهدة وعينت بدله شاهين كراى فلم يقبل الاهالى ذلك فبناء على هذه الوسيلة
الفاسدة ساقت عساكرها فى الحال الى قريم وفى سنة ١١٩٦ احتلتها أما
شاهين كراى صنيع الروسيا فانه هرب الى جهة طمان فاتخذت الروسيا هروبه
اهانة لها فقتلت الكثيرين من عائلة الخان والوفا من أعيان المسلمين فيها أما
شاهين كراى فانه ندم على انقياده للروسيا أولا فالتجأ الى جزيرة رودس فقطع
الاهالى رأسه وفى سنة ١١٩٧ اتحدت كترينا مع امبراطور ألمانيا يوسف
الثانى وطلبا من الدولة تغيير الحدود وفى سنة ١١٩٨ ردت الدولة هذه الطلبات
واهتمت بالتجهيزات الحربية وفى سنة ١١٩٩ اشتد الخلاف وأعلن المتفقان
بنقض العهد واعلان الحرب وانضم اليهما أوستريا فاهتم رجال الدولة بايجاد طرق
للاتفاق معاحدى الدول فلم يجدوا غير أسوج نظرا لما سبق من استيلاء الروسيا
على أغلب بلادها كما تقدم وفى سنة ١٢٠٠ ذهب القبودان حسن باشا الغازى
الى بحر أوزى وسد بوغازه ثم هجم على قلعة قلبرون فدمرها أما الجيش الروسى
فانه عبر نهر الطونة وكذلك جيش أوستريا هجم فى الحدود الغربية الشمالية
فاضطرت الدولة الى تقسيم جيشها قسمين أما القسم الذى أمام جيش أوستريا فانه
انتصر انتصارا باهرا واذا بامداد من جيش روسى أتاه واستولى على قلعة
خوتين وفى سنة ١٢٠١ حاصر جيش المتفقين قلعة أوزى فلعدم متانة
استحكاماتها استولوا عليها وقتلوا خمساوعشرين ألفا ذبحا وكان جيش الاعداء ثمانين

الاتفاق ٤٦

ألفا وفى سنة ١٢٠٢ اجتهد يوسف باشا الصدر الاعظم فى تعليم الاوجاقيين ورجالهم الفنون الحربيـة ولكنهم عصوا وفى سـنة ١٢٠٣ اغتم السلطان عبد الحميد الاول من هذه الحالة فرض وبعد قليل مات بالغا من العمر ٦٦ سنة رحمه الله رحمة واسعة بمنه وكرمه وله من الاولاد مصطفى الرابع ومحمود الثانى

﴿أسماء معاصرى السلطان عبد الحميد الاول من الامراء والملوك وجهاتهم﴾

فرنسا ...... لوى السادس عشر من فاميلية بوربون

الروسيا ..... كترينا الثانية

انجلترا ...... جورج الثالث من فاميلية هانور

اسبانيا...... شارل الرابع من فاميلية بوربون

البرتغال ..... بدرو الثانى من فاميلية براقانس ثم مارية

أسوج ...... كوستاو الثالث

بروسيا...... فره دريك

دانيمرك ونوروج قرستيان الرابع من فاميلية أوندن بورغ

أوستريا ..... جوزيف الثانى

نابولى وسجليه .. فردناندو الرابع من فاميلية بوربون

فلمنك....... كيلوم الخامس

ساردنيا ..... أمه ده الثانى

الصين ...... هيوان جونغ

الهند ...... دارشكوه الثانى

٢٨ السلطان سليم خان الثالث

﴿ابن السلطان مصطفى الثالث﴾

ولد المشار اليه سنة ١١٧٥ وجلس فى ثانى عشر رجب سنة ١٢٠٣ الموافق سنة ١٧٨٨ ميلادية بالغا من العمر ثمانيا وعشرين سنة ومدّة سلطنته تسع عشرة سنة وكسور وكان غيورا على المملكة فطينا نبيها متيقظا فاستبشر الناس بتوليته وقد تقدّم ان الحرب لم تزل على قدم وساق وان اليكيجريين عصوا يوسف باشا الصدر الاعظم فاجتهد السلطان فى التجهيزات الحربية وعزم على الذهاب بنفسه الى الحرب لاعادة سطوة الدولة كما كانت فلم ترض الوزراء ولا الوكلاء بذهابه ونصحوه بان الجيش غير مأمون الثبات ثم تسببوا فى عزل القبودان حسن باشا الغازى الذى كان من أعظم رجال زمنه وعين بدله حسين باشا الكريدلى فقام بالدونانمة فى شهر القعدة من هذه السنة فى البحر الاسود بخمس عشرة سفينة حربية صغار الحجم وبوصوله الى قرب قلعة (أوزى) كمن بالمراكب وأرسل المركب المسمى قانجه باش الى قريب القلعة خدعة لاخراج مراكب الروسيا من الميناء فانخدعوا وأسرعوا بمطاردة هذه السفينة بفرقتين وبجملة سفن حربية صغار الحجم وكثير من العساكر البحرية فلما قربوا من الكمين اشتبكت الحرب فلم ينج من سفن الاعداء الا القليل ولاشتداد البرد عاد الى الاستانة أما من جهة البر فان يوسف باشا الصدر الاعظم أرسل أربعة آلاف عسكرى أمام جهة قلاصة من ملحقات بغدان فاشتدت الحرب وكانت تلفيات العدو كثيرة لكثرته وكانت النتيجة احراق بلدة قلاصة وما حولها بمعرفة الروسيين وانسحابهم وما بقى من الاربعة آلاف عاد الى الصدر الاعظم هذا ومن جهة أخرى فان أربعة آلاف بيادة وخمسة آلاف سوارى انتصروا فى اجوت على عساكر أوستريا وفى شهر شوّال من السنة الحالية عرضت دولة أسوج على الدولة الاتفاق بشرط أن الدولة العلية تدفع لها عشرين ألف كيس فوقعتا على المعاهدة بذلك وفى أثناء ذلك عزل

يوسف باشا الصدر الاعظم وعين بدله حسن باشا سر عسكر ودين ثم حصلت موقعة حربية بين عشرين ألفا عثمانيين بقيادة عثمان باشا الكرد و بين فرقة من عساكر الروسيا وأوستريا وكانت النتيجة انتصار الاعداء بضياع مهمات حربية وكان ذلك من سوء تدبير الباشا المذكور وفى سنة ١٢٠٤ أرسل حسن باشا السردار ستين ألفا بقيادة مصطفى باشا كانكش الى محل يسمى بوزاوه للانتقام من الاعداء وأخذ ثار عثمان باشا المتقدم ذكره وهو على آثرهم فوقعت الحرب بشدة ومن سوء التدبيرات الحربية وعدم الاحتياطات تغلبت عساكر الدولتين وفى الثالث من المحرم سنة ١٢٠٤ اشتبكت الحرب بين حسن باشا الغازى القبودان السابق سر عسكر جهات اسماعيل وبين الجنرال بوتمكين الروسى الشهير بعساكره الكلية فانتصر حسن باشا الغازى انتصارا فائقا على انتصاراتهما السابقين لكن بالأسف أن الروسيا انتصرت بالاستيلاء على اق كرمان فى جهات أخرى واستولت أوستريا على بلغراد هذا وهذا فى نقطة الصدر الاعظم فبناء عليه عزل وعين بدله حسن باشا الغازى القبودان المشار اليه ولكن للأسف لم يمض قليل من وزارته حتى توفى فى ١٤ رجب سنة ١٢٠٥ بداء الحمى وعين بدله حسن باشا روسجقلى أما دولة أسوج فانها نقضت العهد واصطلحت مع الروسيا وأما من جهة البحر فان السيد على باشا القبودان الجزائرلى انتصر مرارا فى البحر الابيض على الاعداء وفى ٢١ من شهر صفر استولت الروسيا على قلعة كلى وفى ٢٣ منه استولت على سنه وفى ٩ ربيع الاول استولت على طولجى وفى ٢٨ منه على ايساقجى وفى ١٦ ربيع الآخر الموافق ١١ كانون الاول حصلت واقعة مهيلة ويقال أن الدم سال على الارض كالسيل وأخيرا من كثرة عسكر الاعداء استولت الروسيا على قلعة اسماعيل فبناء عليه فى ليلة التاسع من جمادى الآخرة أعدم حسن باشا الروسجقلى الصدر الاعظم وبعد بضع عشرة يوما عين يوسف باشا الصدر الاعظم الاسبق وقيل أن قتل الصدر الاعظم فى غير محله حيث كانت عساكر الاعداء كثيرة جدا وقيل أنه أخطأ فى المناورات والتدبيرات الحربية

وفى سنة ١٢٠٦ حصل اختلال عظيم فى داخلية فرنسا وتغيرت سياسة بعض الدول منها أوستريا فأنها رغبت كف الحرب عن الدولة العلية فاتحدت انجلترا وبروسيا معها وتداخلوا فيما بين الدولة العلية والروسيا فى الصلح ومضمونه ترك بلاد قريم وقوبان وبسارابية للروسيا واعادة الباقى للدولة وفى سنة ١٢٠٧ نتج من احتلال فرنسا قتل ملكها وزوجته ومحو الملوكية وتحويلها الى الجمهورية ورئيسها الجنرال نابليون بونابرت الشهير وكان أول سياسته اظهار المودة والتقرب للدولة العلية وتعظيم شأن السلطان سليم فارسل له سفيرا ومعه مهندسون وضباط وطوبجيه ومعلمون ومصابب ومسابك للترسخانة بادوات وآلات كثيرة وبعض مدافع أما السلطان سليم فانه عزم على عمل عظيم وخطر جسيم وهو ترتيب جيش الدولة على نظام جديد وذلك من المحاضر المعمولة من السرداريين والصدور العظام ورؤساء الجيش ومقدار تلك المحاضر لايحصى وكلها متحدة المعنى وهو عدم امكان مقاومة الاعداء بهذا الجيش الفاسد النظام وكان السلاطين السالفون يخشون الدخول فى ذكر هذه المسألة الخطيرة خوفا من اليكيجريين حتى قال يوما الصدر الاعظم للسلطان مصطفى الثالث أفندم أن هذا الجيش لا ينفع فى هذا العصر وضرورى من ايجاد النظام الجديد فاندهش السلطان ونظر يمينا وشمالا هل موجود فى محضره من يفشى هذا القول لليكيجريين ثم قال ان جيشنا عظيم يريد بذلك اخفاء هذا الخبر وغمز الى الصدر الاعظم بالسكوت وبعد هذا المجلس طلب الصدر الاعظم بمفرده وقال له انك قلت قولا عظيما يخشى منه الخطر وأما أنا ففى حيرة من قبل توليتى السلطنة بسنين عديدة فى مسألة اختلال الجيش ولكن خوفا من الخطرات العظيمة أخفى هذا الداء فى جوفى كالقروح ثم سأل يوما أحد رجال الدولة يكيجريا ماذا تقول فى النظام الجديد على قبول الاستفهام باللطافة فكان جوابه أننا ما كفرنا ولن نكفر يريد بذلك التفهيم أن اتخاذ النظام الجديد ضرب من الكفر وحيث ان كتابنا هذا مبنى على الايجاز فتكفى هذه العبارة لتصور الانسان درجة كراهة اليكيجريين للنظام الجديد وخطارة مركز

الدولة فى هذه السنين العديدة فاقتحم السلطان سليم معمعة هـذا الخطر وشكل ألايا بيادة على أسلوب النظام الجديد فى لوند چفتلك برئاسة عبد الرحمن باشا انما كان ذلك مكتوما عن الخاص والعام ولزيادة التكتم كانت المصروفات المخصصة لذلك البعض من طرف السلطان والبعض من موارد سرية وفى سـنة ١٢٠٨ حصل من بونابرت مناقشات ومنازعات مع أغلب حكومات أوربا وفى سنة ١٢٠٩ اشتدّ الخلاف والعـداء بين فرنسا وانجلترا حتى أراد رئيس الجمهورية بونابرت قطع طريق انجلترا على الهند وفى سنة ١٢١٠ اهتم السلطان سليم بالاصلاحات الداخلية وتقوية الحربية برا وبحرا وأنشأ دونانمة عظيمة منتظمة وفى سنة ١٢١١ أمر السلطان بتعليم اليكيجرية الفنون الحربية فى القشلاقات على أسلوب النظام الجديد لكن على غير اسمه خوفا من الفتن والخطرات كما تقدّم وفى سنة ١٢١٢ حصل بين البكوات بمصر المعروفين بالمماليك الشقاق وظهر فى نجد الفتن والعصيان من قبيلة الوهابيين حتى دخلوا الحرمين الشريفين وقتلوا ألوفا عديدة من المسلمين وقطعوا طريق الحج حتى منعوا تاديته وكذلك عصى على باشا دبه دلنلى فى البانيا وحرك أهالى مورة بالعصيان وفى سنة ١٢١٣ ذهب بونابارت الى مصر بعساكر كلية وكتب جوابا لاهالى مصر والعلماء مضمونه أنه آت لتأديب المماليك وأنه مؤمن بالله ورسوله وصديق للسلطان سليم الى آخره فوقع بينه وبين المماليك محاربات ومناوشات عديدة ولتفرق كلمتهم وسوء نظامهم انهزموا فى أواخر كل الوقائع حتى احتلت عساكر فرنسا القاهـرة فلما بلغ ذلك السلطان سليم اندهش وغضب فى آن واحد أما اندهاشه فمن تكرار اظهار بونا بارت الاخلاص والمودة له وبتشيره بجواباته عقب كل انتصار قبل أن يصـل اليه الخبر بالوقائع الفرنساوية وتعظيم السلطان بجوابات معنونة بوكيل محمد رسول الله صلى الله عليـه وسلم بهـذه الالفاظ تماما وأما غضبه فلدخول العساكر الاجنبية فى بلاده ثم أرسل يوسف باشا الصدر الاعظم الى الشام ومنها الى مصر بعساكر برا وبعد وقائع حربية انتصر يوسف باشا على الفرنساويين حتى طلبوا الصلح فاصطلحوا على شرط أن يعطى

ميعادا احدى و أربعين يوما لجمع عساكره والجلاء عن مصر بشرط أنه لا يحصل اهانة ولا استهزاء من أهالى مصر لهم فبناء على هـذا الاتفاق أعاد يوسف باشا أغلب العساكر الى الشام وبقى هو بشرذمة قليلة فلما اجتمعت عساكرهـم واستعدّوا للقتال أرسل قائدهم بلاغا للصدر الاعظم يقول فيه أنكم خالفتم شروط الصلح حيث أن أهالى مصر أهانوا عساكرنا مرارا عديدة كما قدّمنا لكم الشكوى فى أوقاتها فلذا لا نخرج من مصر لتأديب من استهزؤا بنا وبالفعل هجم على مصر فدافع الصدر الاعظم بشرذمته القليلة باعانة من بعض الاهالى فلم يقدر على مقاومة الجيش لكثرته عددا وعددا فعاد الى الشام ودخل الفرنساويون مصر

الاتفاق ٤٧

وفى سنة ١٢١٤ خان حكام أفلاق وبغدان الدولة العلية واتحدوا مع الروسيا فعزلتهم الدولة فاخذت الروسيا هذه المسألة وسيلة وفرصة لاحتلالها المملكتين المذكورتين فغضب السلطان وأمر بمحاربة الروسيين هناك وترك الفرنساويين بمصر موقتا وفى سنة ١٢١٥ حصلت مناوشات ومحاربات كانت فى الغالب سجالا وفى سنة ١٢١٦ تداخلت انجلترا بين الروسيا وبين الدولة فأقنعتها الروسيا بترك الدولة العلية موقتا واتحادهما معها لمحو فرنسا فقبلت وسحبت عساكرها واتفق الثلاث ثم أرسل السلطان يوسف باشا الصدر الاعظم الى مصر بجيش من طريق الشام وكذلك أرسلت انجلترا فرقة من جيش ببعض مراكب حربيـة الى مصر للاتحاد مع الصـدر الاعظم بناء على الاتفاق المذكور فانتصر الصدر الاعظم برا وانجلترا بحرا على الفرنساويين وأجلوهم عن مصر ولمعلومية هـذه الوقائع لاخواننا المصريين من التواريخ العربيـة وفى مقدمتها تاريخ الجبرتى اكتفينا بما ذكر وبعـد ذلك أسرع بونا بارت بمصالحة السلطان سليم فقبل منـه السلطان لكن لما كانت أغراض انكلترا موجهـة الى محو فرنسا

الاتفاق ٤٨

كما تقدّم غضبت هى والروسـيا على السلطان سليم واتحدتا عليـه فهجمت الروسيا على بلاد الدولة برا وبحرا وأما انجلترا فانها أدخلت مراكبها فى بوغاز الاستانة وطلبت من السلطان تسليم استحكامات جناق قلعة أى بوغاز الدردنيل

ودونانمـة الدولة اليها وتسليم بلاد افلاق و بغدان للروسـيا وان يتفق معهما على محاربة فرنسا والا تضرب الاسـتانة بمدافع السفن فحصـل اضطراب فى السراية السلطانيـة لطائفة النساء والخـدم وأما السلطان سليم فانه كان ثابت الجاش فلما وصلت هـذه المذكرة للباب العالى ذهب رئيس الكتّاب الذى هو بمثابة ناظر الخارجية فى عصرنا هذا الى سبستيان سفير فرنسا بالاستانة وأخبره بذلك وقال له أن هذه العداوة من هاتين الدولتين ماهى الا بسببكم فقال له السـفير أن خوفكم من هـــذه المراكب لا يليق بالدولة وعظمتها القديمـة لان هـذه السفن لاتضرب الاستانة ولو سلمنا جدلا أنهاتضربها فتأثير ضرباتها كتأثير بعض الحرائق التى تحصل بالاستانة فى كل سـنة ومع ذلك يلزم تركيب المدافع على طوابى البوغاز وها أنا أرسل المهندسين من طرفى أما السلطان سليم فانه عقـد مجلسا وطلب من أعضائه ابداء آرائهم وبعد قال وقيل و تشعب الاراء حيث ان بعضهم قال اننا نقبل الطلبات بعد تحويرها رجح السلطان القول الاخير وقال أن الثبات يلزم والعمل ألزم فأمر فى الحال بتركيب المدافع بالطوابى ليلا وعدم اظهار شئ من ذلك نهارا فاجتهدوا فى ذلك وذهب سفير فرنسا بنفسه بمن معه لمباشرة هذه الاعمـال وبعـد ثلاثة أيام طلب الاميرال الانجليزى بالحاح و شدّة المجاوبة عن طلباته فاتخذ السلطان سليم التسويف مسلكا حتى تم تنظيم الاستحكامات ثم أرسل للاميرال الانجليزى خبرا بصفة مجاوبة عن طلباته مضمونه أن الدولتين كانتا فى سلام ومراكبكم كانت على باب بوغاز الاستانة فدخولك فى البوغاز بغتة وتهديد الاستانة بالضرب وطلب تسليم استحكاماتنا ودونانمتنا لكم مغاير للانسانية فلذا لاأجاوب مالم تخرج بسفنك من البوغاز فلما رأى الاميرال تغيير الاحوال وكثرة المدافع فى برّى البوغاز انسحب بسفنه من أمام الاستانة ولما وصل بها الى چناق قلعة ضربت مدافع الاستحكامات سفنه فاغرقت منها سفينتين بستمائة وأربعون نفسا

الاتفاق ٤٩ وفى سنة ١٢١٧ أو سنة ١٢١٨ اتحدت دونانمة انجلتره والروسيا فاحرقتا سفن الدولة التى كانت راسية فى أوارون وفى سنة ١٢١٩ أرسلت الدولة دونانمتها

الى بوغاز الدردنيل واشتبكت الحرب مع الدونانمة الروسية التى أتت لسد البوغاز وبعد قتال انسحبت سفن الروسيا أما سفن انكلتره فانها ذهبت الى سواحل الشام واسكندرية واستولت على الاخيرة وفى سنة ١٢٢٠ وقعت حرب بينها وبين العساكر المصريين فى رشيد وقيل كان ذلك سنة ١٢٢١ فانتصر المصريون عليها وذهب محمد على باشا واليها الى هناك ثم انسحب الانكليز منها ومن اسكندرية ولمعلومية هذه الوقائع من التواريخ العربية اقتصرنا عن التطويل فى ذكر تفاصيلها (تنبيــه) وقائع البضع سنوات الماضية ذكرت فى بعض التواريخ على وجه مخالف فى التقديم والتأخير والمقصود بالذات هو معلوميـة الوقائع ليس الا وقد تقدّم أن السلطان سليم شكل ألايا على النظام الجديد فى لوند جفتلك وفى وقت قريب بلغ ثمانيـة آلاف نفر ثم شكل أيضا ألايا فى اسكدار وكان ذلك مكتوما عن اليكيجريين حسب الامكان فلما اشتدّت الحرب بين الدولة والروسيا أمر السلطان سليم بارسال عساكر النظام الجديد الى مواقع الحرب فذهب بهم عبد الرحمن باشا فانتصروا على ضعفهم من فرق الروسيا مرارا ولما بلغ ذلك السلطان سليم فرح جدا واهتم فى زيادتهم لكن للاسف لما أشيع هذا الخبر بين اليكيجريين انبعثت فيهم روح الغيرة والحسد وحصل بينهم قال وقيل وفى سنة ١٢٢٢ أشتدّت القلاقل منهم فارسل السلطان للسردار جوابا مضمونه انه أشيع حصول الغيرة فى اليكيجريين من النظام الجديد فكيف يتصور ذلك حيث أنهم خواص رجال الدولة والفضل لهم فى رفعة شأنها أما النظام الجديد فما هو الا فريق من الامة بتعليم مخصوص فى فن الحرب لاستعانة الجيش به على مقاومة الاعداء الكثيرة الغالبين فى أكثر الوقائع الحربيـة منذ أكثر من قرن حتى سلخوا من أملاك الدولة بلادا وقلاعا غير قليـلة فلعدم حصول أدنى وساوس بين أخص أولادنا اليكيجريين يلزم تفهيمهم ذلك فلم يثمر هذا لدى الاشقياء منهم بشئ بل زادوا طغيانا وتمردوا ولقد كان أساس هذه الارتباكات الدسائس الاجنبية وقد قلنا فى أول هـذا الكتاب أن أصـل كل بلاء هو اشتغال الناس]

بلغو القـول وفارغ الـكلام بلا تروّ ولا تعقل اما من الدسائس الاجنبية فان المسيو سبستبان سفير فرنسا قال فى أثناء وجود سفن انـكلترا أمام الاسـتانة لحسين أغا البهلوان أغا اليكيجريين ان حضور هذه السفن هو بناء على طلب من بعض رجال الدولة الميالين الى الانـكليز فاجهـل الاغا المذكور اعتقد صحـة ذلك وصار يقـول فى المواقع العسكرية أن الانـكليز والمسكو فنيا وأن سلطاننا الاعظم يتعب فى غير جدوى وان هؤلاء الخائنين بعدأن يسلموا الاستانة للاعداء يكونون ملوكا يقرع بذلك أصحاب الـكلمة المقربين للسلطان وصار يكرر ذلك علنا فلما بلغ ذلك رجال سفارة الانـكليز قيل أن بعضهم قال للاغا المشار اليه أن حضورنا بالسفن للاستانة هو بدعوة من بعض رجال الدولة وأن سفن الروسيا كادت أن تأتى من البحر الاسود الى الاستانة وبعد اجتماعها بسفننا يصير رفع اليكيجريين واقامة العسكر النظام الجديد بدلهـم لـكن من حسن حظهم لم يتم ذلك فما كان من الاغا المذكور الا أنه اشـتعل لهيب الغيظ فى فؤاده حتى عم ذلك جميع اليكيجريين وأما السلطان سليم فانه كان حليما سليما ذا مروءة شفوقا ميالا للصفح والعفو وكان لا يكتم شيئا عن رجاله فنتج من هذه الاقوال الفارغة خلعه ثم قتله وقتل الـكثيرين من الاكابر على ما يأتى ومصيبة الدولة من لغو النظام الجديد فلذا أكرر القول بانه اذا فشى الـكلام الفارغ فى الامم يكون سببا لـكثرة مصائبها فنعهم من ذلك يكون من حسن السياسة ثم أنه زاد غيظ اليكيجريين وصاروا يحقرون عساكر النظام الجديد ويرمونهم بالـكفرومن سوءطالع ذلك الوقت ان موسى باشا الـكوسه قائم مقام الصدارة العظمى والشيخ عطا الله الاعرج شيخ الاسـلام كانا يكرهان النظام الجديد ويكتمان ذلك عن السلطان سليم ويخبران الاشقياءباسراره ويخبرانه باخبارهم بخلاف الواقع حسبما يوافق سياستهما خصوصا موسى باشا الملازم للسلاطين بمقتضى منصـبه وكان هذا الباشا يقول لليكيجريين هـل يجوز اختلاطـكم بمن دخلوا فى زى الافرنج وخرجوا عن دينهـم يعنى بذلك عساكر النظام الجـديد فاشتعلت نار الحماقـة

والغيظ فيهم فاجتمعوا فى آت ميدان بزعامة من يقال له (قباقجى) فاختبأ أهل الحشمة والادب فى بيوتهم وقفل التجار دكاكينهم وأرسل الاشقياء المنادين بتعليمات الكبراء مثل موسى باشا وقالوا فى مناداتهم لايتأخر أحد عن أشغاله ولا يحصل مناضر لاحد انما قيامنا هو لراحة عباد الله ونظام الدولة فبناء عليه اطمأن الناس وفتحوا الدكاكين ومن خوف الاشقياء من عساكر النظام الجديد حيث كان موجودا منهم فى جهات اسكدار نحو ثلاثة آلاف تجمعوا بكثرة وفى الواقع لو ساعدت المقادير السلطان وأحضر عساكر النظام الجديد لحراسته لهابه الاشقياء وتفرقوا ولكن ماقدّر يكون ثم أنهم أرسلوا للسلطان يطلبون منه (ابراهيم أفندى نسيم الكتخداى والحاج ابراهيم أفندى ناظر البحرية ومميش أفندى كتخداى ركاب الهمايون وأحمد أفندى صفى وكيل رئيس الكتّاب أى ناظر الخارجية وأحمد بك دفتردار الايراد الجديد (١) وأبا بكر أفندى أمين الضربخانة ويوسف أغا كتخداى والدة السلطان وأحمد أفندى كاتب السر من رجال أندرون (٢) الهمايون وأحمد بك مابينجى وشاكر بك البوستانجى باشى ولطف الله أفندى من المدرسين) مع لغو النظام الجديد فعرض موسى باشا هذا وهذا على السلطان فلغا النظام الجديد على أمل اكتفاء الحال بذلك ونادى المنادى فى الاستانة بما ذكر فما كان من موسى باشا الا انه عرض على السلطان ثانيا انه غير ممكن تفرق الاشقياء الا باعدام من ذكروهم فحزن السلطان لذلك حزنا عظيما حيث كان يحبهم مثل نفسه ثم قال لموسى باشا ان ابراهيم أفندى الكتخداى والحاج ابراهيم أفندى وأحمد أفندى كاتب السر بينى وبينهم العهد فاصرف نظرا عنهم وخلص مايمكنك خلاصه من الباقين وأمر من بقى الى الله تعالى فما صدق موسى باشا بسماعه هذا القول الا وحجز مميش أفندى وأحمد أفندى صفى وبكر أفندى وخنقهم فى الباب العالى وشاكر بك فى سراى الهمايون وأرسل رؤسهم الى الاشقياء وكان غرضه الوحيد

---

(١) الايراد الجديد هو الواردات المعدّة لمصروفات النظام الجديد

(٢) اسم لخدمة السراية السلطانية ومعية السلطان

هو اعدام ابراهيم أفنـدى الكتخداى فارسل وراءه جواسيس فعرفوه انه يريد الاختفاء فاخبر الاشقياء فلحقوه وقبضوا عليه وبكل احتقار واهانة أحضروه الى آت ميـدان فتبعه على أغا أحد أتباعه وقال لهم أيها الاخوة والرفقاء لاتقتـلوا سيدى واقتـلونى بدله وتحضن بسيده وقاية له وكان العهد والميثاق بين الاشقياء انهم لا يقتلون أحدا ولا يمسون بسوء غير هؤلاء الاحد عشر شخصا فاجتهدوا فى تفرقه عن سيده ولما لم يتفرق قتلوهما بالخناجر والسيوف فوقع من ابراهيم أفندى الكتخداى كيس مملوء بالجواهر النفيسة و بعض دنانير فاخذوه وسلموه لموسى باشا من غير أن يأخذوا منه شيأ لوضعه فى بيت المال كالاصول المتبعة فى ذلك الوقت فلم يضعه فى بيت المال بل أخذه لنفسه و بهـذا تعلم درجة سفاهته وخيانته ثم انه لما تحصل الاشقياء على أغراضهم من قتل من ذكر والغاء النظام الجديد قالوا اننا نريد المحافظة على السلطان مصطفى الرابع والسلطان محمود الثانى أولاد جنتمكان السلطان عبد الحميد الاول حيث لم يبق من سلالة آل عثمان غيرهما و بعرضهم ذلك على السلطان سليم قال لاباس من حضور أحد الاوجاقيين مع أحد العلماء العظام الى السراية ليحفظاهما لكن استنكف العلماء العظام ذلك عدا محمد أفندى حافظ الدرويش إمام السلطان فانه قبل وحضر مع من يدعى عثمان أغا رئيس السكبانيين (١) الأسبق الى السراية و بعـد ذلك أرسل السلطان سليم جوابا بخط يده للباب العالى معناه (انى لم يكن لى ذرية وأما مصطفى ومحمود أولاد عمى فانهما أولادى ولم يكن لهما أحـد أولى بهما منى فاذا أنا معاذ الله قصدت لهما سوءا أكون سببا لانقراض ذرية آل بيتنا واضمحلال الدولة فهل يدخل هذا فى مخيلة المجانين فضلا عن العقلاء فلا يرينا الله ذلك أبدا وأطال الله عمرهما) فلما قرئ هـذا فى الباب العالى بكى العلماء الموجودون هناك ثم انه فى ثانى يوم الذى هو يوم الجمعـة ٢١ ربيع الاول من سـنة ١٢٢٢ وقت الصـباح اجتمع أرباب الدولة مع شـيخ الاسـلام بوجود عارف أغا سكبان باشى للمشاورة

(١) نوع من العسكر

فقرروا أن المسألة انتهت بالغاء النظام الجـديد وقتل من قتل فيلزم فض هذه
الجمعية وكل انسان يلتفت لماهو مطلوب منه مع اعطاء الخلع والبخاشيش لذويهم
فقال شيخ الاسلام عطاء الله الاعرج يلزم سؤالهم أى الاشقياء هل بقى لهم شئ
من الطلبات فذهب بعض الحاضرين للاستفهام منهم فلما سمعوا هذا القول دخلوا
فى ميدان المشاورة والجدال ثم قام فريق منهم منفعلا وذهب الى شيخ الاسلام
المذكور وقال له ان السلطان سليم غير مستقل الرأى وسلم زمام الدولة لاناس من
الظلمة وهم يظلمون الاهالى فوافقه على ذلك بعض الحاضرين وطلبوا الفتوى
من شيخ الاسلام بخلعه فافتاهم به وأما باقى الحاضرين منهم مصطفى بك عزت
وحفيد أفندى ومنيب أفنـدى ومراد زاده أفنـدى عارضوا فى الخلع وأوسعوا
المباحث معهم وطلبوا أشياء معينة يترتب عليها الخلع وقالوا ان السلطان أجابكم
بكل طلباتكم فاتركوا مسألة الخلع فوافق على ذلك من العصاة مصطفى أغا
قزغانجى وأراد اقناع رفقائه فما كان من بابوردلى من رفقاء القباقجى الا أنه قال
ما معناه انه دخلت النفسانية فيما بين السلطان وعبيده وبعـد الآن لا يقدر
أن يكون علينا سلطانا ولا نقـدر على القيام بعبوديته فالأوفق أن تعمل رابطة
متينة لهذه المسألة فبينما هم فى هـذه المحاورة واذا بالعساكر المجموعة فى آت
ميدان قد قرؤا الفاتحة على اجلاس السلطان مصطفى فبوصول هذا الخبر لمجلس
شيخ الاسلام قال ماذا نعمل فقال له العصاة ان حضرتكم والعلماء تذهبون لاجلاسه
فقال لهم أنا لا أذهب وحدى وأريد عسكرا فقالوا له يكفى خمسمائة نفر قال لا يكفى
فقالوا له نحن الآن ألفان وحين وصولنا للسراية نكون عشرين ألفا فبناء عليه
قام شيخ الاسلام بالالفين وأكد عليهم بان لا يدخل فرد واحـد من العسكر الى
السراية فبناء عليه وضعوا رايتين بالقرب من باب السراية فذهب هو ورفقاؤه الى
الباب العالى وهناك قابلهم موسى باشا بكل بشاشة ولطافة وفرح فرحا شـديدا
فقال شيخ الاسلام لمنيب أفندى اذهب مع سكبان باشى أغا وبعد مقابلة أفندينا
السلطان سليم أعرضا عليـه ان جميع العبيد يريدون استراحتكم واجـلاس

أفنـديـنا السلطان مصطفى فقال منيب أفنـدى عافونى تكرما منكم من هذه المأمورية فعرضوا ذلك محلى حفيد أفندى قاضى عسكر الاناضول فقال على الرأس والعين وقام ومعه الاغا المذكور وذهبا الى السراية فوجداها مغلوقة الابواب فعادا وأخبراهم بذلك فحرروا تذكرة وأرسلوها الى السراية بعنوان أغا دار السعادة ومضمونها أنه لايمكن تفريق هذا الجمع حتى يتم اجلاس السلطان مصطفى للسلطنة فاخـذها الاغا وأعطاها للسلطان سليم فلما قرأها قال ذلك تقـدير العزيز العليم فقام وأحضر تاج السلطنة وسلمه للسلطان مصطفى وأما العسكر فانهم كانوا مشتغلين بتجهيز الالغام لقلع الابواب ظنا منهم عـدم اجابة طلبهم ولا تسل عما حصل من الغوغاء حتى انهم وجدوا أحمد بك مختار المابينجى فقبضوا عليه وقتلوه ثم ذهب شيخ الاسلام وموسى باشا والعلماء الى السراية وذهب الاولان الى المحـل المعد لانتظارهما وعرض الاول الكيفية على السلطان سليم وقرأ نصف الآية (تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء) فاظهر له السلطان سليم المحبـة والاحترام وفى الحقيقة ما كان يعلم لحد تلك الساعة عداوة الشيخ له ولا خيانته ولا عداوة وخيانة موسى باشا فالواجب على السلاطين معرفة أحوال رجالهـم خصوصا المقربين اليهم حق المعرفة باى طريق كان ثم انهما بايعا السلطان مصطفى وتلاهما غيرهما كالمعتاد وبعـد ذلك طلب الاوجاقيون ورجالهـم العطايا والبخاشيش مع أن بعض السـلاطين السالفين محوا هـــذه العادة الذميمة الموجبـة أن يتمنى سفهاء اليكيجريين جـلوس سلطان جـديد كل يوم حيث انهـم عبيـــد الدنانير والدراهـم ففرق لهـم السلطان مصطفى مائة وثمانين ألف قرش ومن طرف أختـــه السلطانة (أسماء) عشرين ألف قرش ثم فى الايام التاليـة قتلوا الكثـير من رجال الدولة من حزب السلطان سليم أما أمور الدولة فانها اختلت بالكلية لانها صارت فى يد الاوجاقيين فكان خلع السلطان سليم مصيبة على الدولة حتى نتج منه مصائب ومشاكل داخلية وخارجية فمن المصائب الداخلية خلاف ما ذكر عدم تنفيذ أوامر السلطان مصطفى مطلقا وأما الخارجية فان

نابليون بونابارت امبراطور فرنسا غضب على خلع السلطان سليم وغير سياسته مع الدولة واتفق مع اسكندر الاول امبراطور الروسيا وعرض عليه تقسيم بلاد الدولة وأخيرا لم يتفقا وأما الجيش المحارب فانه لما بلغه واقعة الاستانة حصل فيه فتور كلى لانه لما أراد السلطان مصطفى ابقاء ابراهيم باشا حلمى الصدر الاعظم والسردار كما كان لم يقبل وعين مصطفى باشا جلبى اليكيجرى الاصل بدله فصارت أحوال الجيش فى فوضى ولم يكن هناك ضابط قادرا على قيادته فطلب رجال الدولة مصطفى باشا البيرقدار للجيش فذهب فى الحال من بلده روسجق بخمسة آلاف فارس الى سلستره فسكنت الفوضى فى الحال خوفا منه لكونه كان مهابا وكان يظن أن الصدارة والسردارية تكون له فلما بلغه تعيين مصطفى باشا جلبى سالف الذكر ووصل هناك فعلا غضب فى نفسه ولما ظهر من الصدر الاعظم العظمة والكبرياء احتقره واستمال اليه الجيش فاغلظ له السردار فى المعاملة لانه لم يعرف شيئا من السياسة ولا المداهنة لكون أصله من اليكيجريين كما ذكر فلم يقبل البيرقدار هذه الاحوال وعاد الى روسجق وبعد ذلك عاد الجيش الى حالته الفوضوية ثم ان بعض من بقى من رجال حزب السلطان سليم دعوا مصطفى باشا البيرقدار سرا للاستانة لخلع السلطان مصطفى واعادة السلطان سليم فجاء ومعه بضعة آلاف من العسكر فدخلها ليلا وأرسل نفرا لقتل القباقجى فقتلوه ورموا جثته فى الشارع وفى يوم الخميس السابع والعشرين من جماد الاول سنة ١٢٢٣ ذهب البيرقدار بمن معه من العسكر الى الباب العالى وقبل هذا التاريخ بمدة قليلة أراد موسى باشا الاعتزال من وظيفته ليذهب بغنائمه المنهوبة من مال الدولة وأموال المقتولين فقبل استعفاؤه وعين بدله طيار باشا الذى كان من ألد أعداء السلطان سليم ثم لما علم الاوجاقيون بوجود البيرقدار بالاستانة وان قتل القباقجى هو بامره اختفى كل منهم من شدة الخوف ثم طرد شيخ الاسلام من منصبه وأبعد كل من كان على شاكلته من أرباب الوظائف المفسدين كما سيأتى هذا ما كان من أمر البيرقدار وأما ما كان من أمر الجيش

العمومى فانه قرب الى الاستانة بالراية الشريفة فاستعد السلطان مصطفى لاستقبالها كالعادة فتشاور حزب السلطان سليم فى كيفية خلع السلطان مصطفى واجلاس السلطان سليم ثانيا فاتفقوا على رأى أحدهم راهز أفندى على انه بخروج السلطان مصطفى لاستقبال الراية الشريفة يصير توقيفه فى قصر داود باشا ثم يذهبون الى السراية لاجلاس السلطان سليم بدون حصول تهلكة فلما عرضوا ذلك على مصطفى باشا البيرقدار لم يقبل وقال مامعناه لايليق أعمال هذه السفالة لمن يكون له شرف وانسانية فقال قائل منهم لم أقف على اسمه أن توقيف السلطان لدى مقابلة الراية الشريفة لايوافق وحيث ان المتغلبين أزيلوا فيلزم اغفال المقربين للسلطان ثم يعقد مجلس بحضور نفس السلطان للنظر فى هذا الامر واتفقوا على ذلك ثم انه لمخالطة السيد على باشا القبودان للاوجاقيين المتغلبين طلب البيرقدار عزله فلم يرض أغلبهم لصلاحه الظاهر حتى أن والدة السلطان مصطفى أرسلت للصدر الاعظم جوابا تقول فيه عنه أنه مخلص لولدى وقادر على حفظه فلا تعزله فارسل الصدر الاعظم للبيرقدار بان يبقى هذه المسألة وفيما بعد يجرى ماهو الصالح للدولة بما يرضى البيرقدار فغضب وأرسل له رسولا يخبره بان اتفاقهم مبنى على ازالة جميع المتغلبين فتحير الصدر الاعظم وغضب غضبا شديدا لانه لم يعلم سر المسألة فاخبر بان المسألة هى خلع السلطان مصطفى واعادة السلطان سليم ولكون ذلك غير موافق لمشربه أرسل الخبر للسلطان مصطفى فلم يهتم بذلك ثم انه أحضر اليه أحد قرناء السلطان وقال له ان الامر سيمضى ثم لاينفع الندم فليأذن لى السلطان بقتل رفيق أفندى ورفقائه (وهم الذين من حزب السلطان سليم والمدبرون كيفية اعادته للسلطنة) ثم يصير سد أبواب الاستانة ونتفق مع الاوجاقيين على طرد البيرقدار ومن معه فقال نذير أغا وغيره من القرناء ان البيرقدار خادم الدولة والسلطان فلا نتبع الاوهام فكان لسان حال الصدر الاعظم حينئذ يقول (لقد أسمعت لوناديت حيا ولكن لاحياة لمن تنادى) ثم ان رفيق افندى ورفقاءه علموا قول الصدر الاعظم وما انتهى عليه

الحال فاخبروا به البيرقدار فى الحال ونصحوه بان التأخير فى العمل وخيم العاقبة
وفى يوم الخميس ٤ ربيع الآخر ذهب البيرقدار ومعه أزيد من خمسة عشر ألفا
من العساكر الى الباب العالى وطلب ختم الهمايون المعتاد اعطاؤه للصدور العظام
من الصدر الاعظم الحالى بعنف وخشونة فتحير فى أمره ثم اعطاه له فسلمه
البيرقدار لاحد الجالسين ثم أرسل الصدر الاعظم مع بعض فرسان عسكره الى
الجيش خارج الاستانة ثم طلب شيخ الاسلام والوزراء الى الباب العالى فبحضورهم
قال لشيخ الاسلام لنا أمر يتعلق بالدين والدولة ويقتضى الذهاب الى دار
السلطنة هيابنا فاندهش الشيخ وأبطأ فى حركته وقال له هل أنت ابن عرب قم
فقام مندهشا من هيبته فلما وصلوا الى باب السراية الاوسط طلب مرجان أغا
باش أغا السراية وقال له أن عموم رجال الدولة والعلماء وأعيان روملى والاناضول
يريدون اعادة جلوس السلطان سليم فلذا جئناهنا فأخرجوا السلطان سليم لاجلاسه
ثم أرسل أيضا شيخ الاسلام الى السلطان مصطفى ليخبره بذلك فلما أخبره غضب
غضبا شديدا وقال له انت متفق معهم حتى أتيت هنا أمامه لخلعى والله لاقطعنك
أربا فاراد الشيخ الاعتذار فلم يقبل وقال له امش من أمامى واذهب واصرف
الباشا والا أفعل فيك مالا يفعل فى أحد فلما عاد وأراد التظلم مع الباشا لم يمهله
أن قال له يارجل يامنافق غيرت المسألة فى داخل السراية فاذهب عاجلا وانه
هذه المسألة فذهب ولم يتجاسر على مخابرة السلطان مصطفى ثم عاد وقال له أنه
لم يقبل النصيحة وأن الباب صار سده ففى الحال شرع الباشا البيرقدار فى كسر
الباب لدخول العسكر واحضار السلطان سليم وأما السلطان مصطفى فانه جمع عنده
أتباعه وشاورهم فى الامر فقالوا اذا أعدم السلطان سليم ومحمود لم يبق أحد من
السلالة فطبعا لم يكن اذ ذاك وجه لخلعك فأعطنا رخصة بالدخول على سراية
الحريم لهذا الغرض فأذن لهم فقام منهم عبد الفتاح وسليم آبا ونذير أغا ومحمد ابن
الدالى أيوب وعلى البغدادلى ومصطفى من الجنابنيه ومعهم أربعة عشر نفرا
من البلطجية والجنابنية وأما مرجان أغا باش أغا السراية فانه لم يحضر السلطان

سليم كتنبيه البيرقدار عليه كما وأنه لم يشارك من تعرض للجناية ظاهرا أى فعلا ولكن كان على رغبته حتى أن سكوته مع كونه رئيسهم ومسموع الكلمة وكلهم طوع أمره يعتبر شريكا لهـم ثم أنهم قتلوا السلطان سليم بالسـيوف والخناجر والبلط ولما انتهوا من ذلك ذهبوا لقتل السلطان محمود واذا بجارية كرجيـة أحضرت طبقا مملوءا رمادا فى يدها وكلما يريد أحد منهم الدخول لقتل السلطان محمود تنثر فى عينيه الرماد واحدا بعد واحـد حتى لحق بها عنبر أغا وعيسى أغا فاخذاه فى السطوح وفى أثناء ذلك رمى سليم آبا المنحوس بخنجر على بعد بقصد قتل السلطان محمود فاصابه فى ذراعه فجرحه ثم صدمه أحد الابواب فى حاجبه الايمن فانجرح أما مصطفى باشا البيرقدار فانه دخـل ببعض عسكره بعـد كسر الباب فتصادف دخوله وقتل السلطان سليم فى لحظة واحدة أما القاتلون فانهـم أبرزوا جثة الشهيد بقرب الباب توهما منهم أن البيرقدار عنـد مايراها كذلك يقطع الامل ويذهب من حيث أتى فجاء توهمهم بالعكس اذ أن البيرقدار لما رأى الجثة على هذه الحالة حزن فوق مايتصور وقال واى أفندم أقطع هذه المراحل وأجىء للاستانة لاجلسك ثم أراك بهـذه الحالة فوالله لاقتلن رجال الاندرون الخائنين عموما انتقاما ثم حضن الجثة فلحقه رامز أفندى أحد رفقاء رفيق أفندى الآنف الذكر وقال له أمان أفنـدم الآن ليس وقت البكاء والماضى مضى والغرض خلاص الدولة من التهلكة وحفظ السلطان محمود فلما سمع الباشا ذلك ذهبت منه السكرة وجاءت له الفكرة ففى الحال نهض مسرعا ونادى بأعلى صوته أن ابحثوا عن السلطان محمود فجرت العساكر فى كل جهة وصوب أما رجال الاندرون وبالاخص القاتلون فانهم اختبؤا وأما الباشا البيرقدار فانه من شدّة غضـبه وشغفه على رؤية السلطان محمود كان يمر حول السراية واذا بالسلطان محمود أنزلوه من السطوح بغاية الصعوبة فجاء وأمامه أحمد أفنـدى حافظ امام أول السلطان ومن تحت أبطيه كل من محمد بك وطاهر أفنـدى فقال الباشا بصوت مزعج من هذا فاندهش الجميع وسكتت الغوغاء والاصوات دفعة واحدة

ثم أسرع أحمد أفندى الامام المومى اليه وقال له أفندم هذا السلطان محمود وقد بايعته على الخلافة واتمام المصلحة الخيرية موقوف على همتكم فقال الباشا خطابا للسلطان محمود (آه أفندم كنت أتيت لاجلاس ابن عمك فرأيته وياليتى كنت فاقد البصر حتى لا أراه بهذه الحالة والآن أتسلى نوعا بمبايعتك وسأقتل الذين قتلوه وجعلوه بهذه الحالة وهم طائفة الاندرون فسأقتلهم جميعا بالسيف) فقال له أحمد أفندى الامام أفندم ماذنب طائفة الاندرون حيث القاتلون معلومون فافندينا السلطان يأمر بالبحث عنهم واحضارهم ويجازيهم فحينئذ قال السلطان محمود مخاطبا للباشا البيرقدار (ياباشا أنا أرسلهم لك وأنت اصرف عساكرك من السراية وانزع أسلحتك ونذهب الى أودة الخرقة الشريفة) فزعق الباشا على عساكره بقوله اخرجوا فخرجوا جميعا بغير أن يتلفظ منهم أحد فتعجب الحاضرون من حسن طاعتهم بهذه الدرجة فبقى عنده بضعة أنفار وتفرق الباقون وخلعوا أسلحتهم ونزع هو أيضا سلاحه عدا بالته المرصعة التى كانت بوسطه فنظر اليها وقال للسلطان محمود ان هذه تذكار ابن عمك فلا أقدر ان أنزعها فرخص له السلطان فى حملها فذهبوا على هذه الحالة الى مكان الخرقة الشريفة فامر السلطان الباشا بتناول الطاتلو والقهوة حسب الرسومات فى أرسلان خان (١) ودخل السلطان محمود بمفرده أودة الخرقة الشريفة وقد ذكر المرحوم جودت باشا فى تاريخه أن شجاعة ومهابة مصطفى باشا البيرقدار المشار اليه بلغتا حد الوصف لكن السلطان محمود كان أهم منه فى الشجاعة والهمة مع زيادة الذكاء والعلم الواسع لان سنه كان أربعا وعشرين سنة ولم يسبق له مخالطة مع عظماء الرجال والجيش فضلا عما به من الجراحتين وعقب خلاصه من يد الجلادين قال فى مخاطبته له أومر عسكرك بالخروج وانزع أسلحتك ولنذهب الى أودة الخرقة الشريفة فهذا لايصدر الا من شجاع وذى همة انتهى وفى أثناء زيارة السلطان محمود الخرقة الشريفة صار البيرقدار يتمشى

(١) محل خارج أودة الخرقة الشريفة كان معدا لعرض الامور على السلاطين وصدور أوامرهم فيه وكان يقال له وقتئذ عرضخانة

واذا بالسلطان مصطفى أقبـل فى أودة العمامة فقال انى لم أتنازل عن السلطنة فمن الذى أجلس محمودا فقال البيرقدار من هذا هل هو السلطان مصطفى قولوا له ليذهب الى منزله والا فهو يتسبب لأمر يصدر منى يترتب عليه اللعنة الى يوم القيامة فقام أحمد أفندى الامام مع بعض رفقائه نحو السلطان مصطفى وقال له ان قسمتكم فى السلطنة قد انتهت فاسترح وشرف بمحل الحريم الهمايونى فعزم على ذلك واذا بوالدته أتت الى باب الوسط باكية معربدة وأخذت تسب البيرقدار فقال مصطفى باشا نحن معاشر العثمانيـين لانمس النساء ولا نؤاخـذهن وكانت العادة عند جلوس أحد السلاطين ان تنتظر الساعة السعيدة للمبايعة فيها ولكن لوجود هـذه الاهوال لم تنتظـر وانما وافق ذلك يوم الخميس رابع جمادى الآخرة الساعـه ٩ والدقيقـة ٤٠ والطالع كان سعد الاكبر فى ٢٨ درجة فى برج القوس فقال المنجمون الخـيرة فيما اختاره الله وفى أثناء ذلك رأى البـيرقدار مرجان أغا فقال له أنت السبب فى قتل السلطان سليم لعدم فتحك الباب ثم سبه وقال للسلطان ائذن لى بقتل قاتلى السلطان سليم والمتسببين وظهر فى وجهه شدة الغضب فقال له السلطان ياباشا العجلة من الشيطان والتأنى من الرحمن فاضطر الباشا الى كظم غيظه ثم أمر السلطان بابقاء جميـع المأمورين كما كانوا ثم دخـل للحريم وأمر بالبحث عن القاتلين وسجن البوسـتانجى باشى وأمر بالبحث عن الباقين فاحضروا واحـد بعد واحـد وكانوا هربوا جميعا أما السلطان سليم فانه لم يتيسر دفنه فى ذلك اليوم بل فى ثانى يوم من قتله الذى هو يوم الجمعة وقد اجتمع لدفنه مصطفى باشا البيرقدار الذى صار صـدرا أعظم وشيـخ الاسلام والوزراء والعلماء فدفنوه فى جامع لاللى نوّر الله قبره ورحمه رحمة واسعة ثم اهتم السلطان محمود بالبحث عن كل من كان له يد فى هذه الفتنة واحضاره حتى بلغ من قتل منهم فى البضعة أيام التالية ثلثمائة نفر منهم موسى باشا القائمقام السابق المعلوم أمره وأما الشيـخ عطا الله شيـخ الاسلام السابق فصار نفيه وعوفى من القتل اكراما للعلم الشريف

٢٩ السلطان مصطفى الرابع

(ابن السلطان عبد الحميد الاول)

ولد المشار اليه سنة ١١٩٣ وجلس سنة ١٢٢٢ وقد تقدّمت الوقائع والفتن الداخلية وأما الوقائع الخارجية فان بونابارت امبراطور فرنسا غير سياسته مع الدولة كما ذكر وعرض على الروسيا وأوستريا تقسيم بلاد الدولة العلية وقال انه يستحيل إبقاء الدولة العلية كما يشاهد من أحوالها فجعل له بلاد البوسنة والبانيا بما فيها يانية وبلاد اليونان وترحالة ومكدونيا وللروسيا البغدان والافلاق والبلغار ولاوستريا الصرب وقيل ان الاستانة اختلفوا فيها حتى قيض الله للدولة السلطان محمود فبدأ فيها بتغيير أحوالها من الخطر الى الصلاح ومن الضعف الى القوّة ولم يحصل فى مدّة السلطان مصطفى شئ يذكر غير ماذكر وفى سنة ١٢٢٣ صار توقيف السلطان مصطفى وجلوس السلطان محمود كما تقدّم

(أسماء الامراء والملوك المعاصرين للسلطان سليم والسلطان مصطفى)

اسبانيا ..... فرديناند السابع

برتغال...... ماريه

الروسيا.... كترينا الثانية ثم باولوص الاول ثم اسكندر الاول

فرنسا ...... الامبراطور نابليون بونابارت الاول

ساردنيا ..... وقتورا مانويل الخامس

أسوج ...... كوستاو الرابع

دانيمارك .... قرستيان السابع

ألمانيا ..... فرانسو الثانى

بروسيا ..... فردريك كيلوم

نابولى ...... فرديناند الرابع

أوستريا ..... چوزيف

الونديك ..... جمهورية

انكلترا ..... جورج الثالث

فلمنك .... كيلوم

الصين .... هيوان دانغ

الهند .... دلمراشكوه

---

٣٠ السلطان محمود عدلى الثانى

﴿ ابن السلطان عبد الحميد الاول ﴾

ولد المشار اليه سنة ١١٩٩ وجلس سنة ١٢٢٣ الموافق سنة ١٨٠٨ ميلادية بالغ من العمر ٢٤ سنة ومدّة سلطنته اثنتان وثلاثون سنة وكان محبا للسلطان سليم وأفكارهما متطابقة فاهتم بايجاد النظام الجديد باسم سكبان احتراسا من تجديد الفتن من اليكيجريين لكن لفرط شجاعة الصدر الاعظم وعدم المامه بفن السياسة وحسن الادارة بكتم مايلزم كتمه والمداراة أحيانا وشدّة كراهة اليكيجريين له عادت الفتن كما كانت وذلك انه عقب الواقعة الماضية الهائلة المقتول فيها السلطان سليم تخابر اليكيجريون فى أمر قتل الصدر الاعظم فاجتمع فريق منهم ولصقوا ورقة مكتوبا فيها (روملليدن كلدى برچتاق بيرام ابرتسى ياقلج أو ينايه چق يابجاق) ومعناه أتى من روملى شكلى وسيلعب بعد العيد سيف أوسكين لكن لم ينتظروا الى بعد العيد كما قالوا بل فى ليلة الثلاث الموافق ليلة القدر حاصروا الصدر الاعظم فى الباب العالى بعائلته واما الصدر الاعظم فانه أدخل حرمه وجواريه فى الغرف الداخلة ودافع هو ومماليكه بحالة مدهشة وقتل كثيرا منهم واستمر ذلك الى اليوم الثانى الساعة ٨ نهارا ولما لم يأت له امداد من خارج وتصادف اشتعال النار فى

المخزن الموجود فيه الجبخان لم يسلم نفسه ولا أحدا من اتباعه لهم حيا فحرقوا
جميعا ثم هجم الاشقياء على السراية وطلبوا اجلاس السلطان مصطفى فوجدوه
ميتا وفى موته خلاف قيل انه مات بالسكتة وقيل انه مات خنقا والله سبحانه
وتعالى أعلم و بعد حصول مضاربات ومناوشات بينهم وبين من قابلهم فى أمر المدافعة
عن السراية انصرفوا بعد ان قتلوا الكثيرين من رجال الدولة أما من خصوص
الخارجية فان الروسيا لازالت مستمرة على الحرب و السطو على بلاد الدولة وأما
السلطان محمود فانه فرّق انجلترا عن الروسيا وعقد صلحا معها ثم استعد لمقاومة
الروسيا وفى سنة ١٢٢٤ أرسل عساكر بكثرة واشتبكت الحرب بينها وبين
الروسيا التى دست الدسائس فى الصرب بالعصيان فصارت الدولة تحارب الروسيا
والصرب فى آن واحد ثم حاصرت الروسيا قلعة سلستره فقامت الاهالى مع حاميتها
فى الثالث والعشرين من شهر رمضان وخرجوا وهجموا على الاعداء بشدة
مستميتين فحمى وطيس المعركة وبعد ان قتل من الاعداء ألف انسحبوا اضطرارا
وفى ١٥ منه هجمت الروسيا بجميع قوتها على قرية تاتاريجه وسدّت كافة الطرق
الامدادية فلما رأى جيش الدولة ان أعداءهم يبلغون ضعفيهم تقريبا قاتلوا
قتال الموت حتى كانت واقعة هائلة وازداد العناد من الطرفين وأخيرا انسحبت
الاعداء مغلوبين والموتى من كل طرف يبلغون عشرة آلاف وفى رواية أن قتلى
العثمانيين ألف غير الجرحى والله أعلم وفى سنة ١٢٢٥ زاد اهتمام السلطان
بالتجهيزات الحربية واذا باليكيجريين بالاستانة ثاروا كعوائدهم وسفكوا دماء
الابرياء فاشتغل السلطان باطفاء نار هذه الفتنة فلهذا وشدة ثوران البلقان تمكنت
الروسيا من الاستيلاء على قلعتى هزار غراد وسلستره ثم أرسل الجنرال فامنسكى
قائد الجيوش الروسية جوابا شديد اللهجة للسردار مضمونه أن الدولة العلية
اذا لم تسرع بالصلح فلا بد من وقوعه فى جوار الاستانة فارسل السردار ذلك
الجواب الى الباب العالى فامر السلطان بعقد مجلس عمومى للشورى فى جامع محمد
الفاتح وأخيرا تقرر بدعوة كافة المسلمين ببلاد الدولة للجهاد لانه فضلا عن قلة

عساكر الدولة فانها غير منتظمة وغير مطيعـة فعزم السلطان على القيام بنفسه للجهاد وفى جمادى الآخرة انتصرت عساكر الدولة على الروسيا مرارا فاضطرت الروسيا الى الانسحاب عن محاصرة وادنه وانسحبت أيضا مقهورة فى ٣ رجب عن روسجق ثم ان الدولة أخذت فرقة من العساكر لاستيفاء تاديب الصرب فادبتهم تأديبا شافيا وفى أثناء ذلك عادت الروسـيا لمهاجمة روسجق فاستولت عليها وأسرت كثيرا من العساكر وفى سـنة ١٢٢٦ حصل الصلح فى مدينـة بكرش ولم أقف على مضمونه انما ردت البلاد من الروسـيا الى الدولة وكانت مدّه هذه الحرب ثلاث سنوات وما تم هذا الصلح الا وقد ورد خبر بعصيان المماليك فى مصر على واليها محمد على باشا وعصيان الوهابيين بالحجاز وقطعهم طريق الحج فـكلفت الدولة محمد على باشا بتأديب الوهابيين واعادة الامن بالحجاز فقام الباشا بهذه المأمورية واستولى على مدينة الدراعية وشتت شملهم وأسر رئيسهم وفى سـنة ١٢٢٧ قتل أغلب المماليك بالقلعة ولمعلومية تفاصـيل ذلك بالتواريخ العربيه كالجبرتى اختصرنا هنا وفى سنة ١٢٢٨ عاد الصربيون الى الثورة ففى الحال صار تاديبهم وفى أثناء هذه المشاغل الخارجية تـكوّنت فى بلاد الدولة ثورات وفساد من تغلب أكثر أعيان الولايات مع بعض الولاة كعلى باشا تبه‌دلنلى والى يانيه فاشتغلت الدولة بتأديب ومحو المتغلبين واحدا بعد آخر وفى سنة ١٢٣٣ حصل حرب بين الدولة وايران بدسائس الروسيا فطالت نحو سنتين لظهور الفتن والعصيان فى خلالها وفى هذه المدة كانت أفكار السلطان مشغولة بخصوص أمر اليكيجريين حيث علم علم اليقين أن أمر الدولة لاينجح بهذه الطائفة الباغيـة واذا بالاروام فى بلاد اليونان قد ثاروا على الدولة بدسائس الروسـيا ومساعداتها لهـم سرا فاستمرت هذه الفتنة بضع سنوات لان الروسيا استمالت اليها دولتى فرنسا وانجلترا للمساعدة فى استقلال اليونان وظهر من اليكيجريين فى خلال فتنة الاروام أمور وحشية من نحو عصيانهم وتهوّراتهم وفى سنة ١٢٤٠ اشتدّت الفتنة الخارجية والداخلية وفى سنة ١٢٤١ عقد مجلس بامر السلطان فى باب المشيخة بوجود

الصدر الاعظم فقرروا باخذ من يليق من اليكيجريين لتعليمه باسم اشكنجى
أى بياده وفعلا بدئ بالعمل وفى ليلة الخميس تاسع القعدة الموافق سنة ١٨٢٨
ميلادية اجتمع اليكيجريون فى آت ميدان كعادتهم وتعرضوا لبعض الاهالى بما
لايليق وهجموا على بعض البيوت ونهبوا مافيها وهجموا على الباب العالى فاخرج
السلطان الراية الشريفة وجمع تحتها رجال السراية والعلماء وطلبة المدارس
والاهالى والطوبجية فى ميدان السلطان أحمد ثم أرسل حسين باشا ومحمد باشا
ونعمان أغا الطوبجى اليهم فى قشلاقاتهم ودعوهم الى الانقياد والتسليم فأبوا
وتمردوا فأمر السلطان الطوبجية برئاسة نعمان آغا المذكور واليوزباشى ابراهيم
أغا الملقب بقره جهنم بضرب قشلاقاتهم عليهم فجعلوا عاليها سافلها وقطع جذورهذه
الشجرة الخبيثة ثم قفل جميع التكايا المملوءة باهل الالحاد والضلال الذين نسبوا
نفوسهم للحاج بكتاش مع قتل أغلبهم الذين كانوا يستصوبون أعمال اليكيجريين
ويعطون لهم العهود فبهذه الاعمال أنقذ السلطان بلاد الدولة الواسعة من التهلكة
والخراب وأرسل للولايات بقتل كل من يوجد من اليكيجريين ولم يسلم سلاحه
ثم اهتم بجمع العساكر النظامية من الاناضول والروملى باسم رديف عساكر
خاصة ومنصورة محمدية وفى زمن قليل بلغ عدد العسكر الجديد سبعا وثلاثين ألفا
وعين حسين باشا سرعسكر فبهذا التدبير انتشر العدل فى الولايات وارتاح الاهالى
وقطع دابر العصاة ودخلت الدولة فى طور جديد لكن أخذت الاعداء عدم وجود
جيش بالدولة فرصة وبالاخص منهم الروسيا فطلب الدول الثلاث الروسيا وفرنسا
وانجلترا فى سنة ١٢٤٣ استقلال اليونان واعطاء امتيازات لبلاد الصرب والافلاق
والبغدان وهجمت الروسيا على بلاد الدولة وقد تقدم أن جيش الدولة جميعه
لا يبلغ سوى ٣٧ ألفا فصارت الروسيا تستولى على بلاد بلا حرب سوى مناوشة
الاهالى فاستولت على مدينتى ياش وبكرش وأرسلت فرقة أخرى تبلغ خمسين
ألفا الى بلقان ثم اتحدت دونانمة الثلاث دول المذكورة على الدولة العلية فاستولت
الروسيا على ايسقاجه وابرانيل وطولجى وكوستنجه ووارنه فى سواحل البحر

الاسود وباقى سفنها مع سفن الدولتين المذكورتين غدرت على دونانمة الدولة فى جهة أنا أورين فاحرقوا من سفن الدولة ومصر عشرة وحاصروا على أربعين فلعدم أخذ الاعداء لها أغرقوا ونجت عشرة سفن فكانت خسائر الدولة فى هذه الواقعة خمسين سفينة ثم استولت الروسـيا على أرمنيا وقلاع قارص وأخسخة والقاجق وقامت بلاد البلقان ضـد الدولة أيضا وغاية ما أمكن الدولة هو ارسال حسين باشا بعشرة آلاف فلم يمكنه مقاومة الاعـداء وأما السلطان فانه كان مهتمـا بتشكيل العسكر الجديد وانشاء السفن الحربية حتى اذابلغ الجيش المقدار اللازم يذهب بنفسه الى الحرب لكن ذلك يحتاج الى زمن طويل والاعـــداء تستولى على البلاد بلا مقاومة حتى بلغت عساكر الروسيا الى مركز جتالجـة قريبا من الاستانة فانعقد مجلس عمومى فى باب الفتوى للشورى فى الحالة الحاضرة فتقرر باغلبية الاراء قبول طلبات الدول من نحو استقلال بلاد اليونان وغيرها وفى سنة ١٢٤٥ تم الصلح وفى سنة ١٢٤٦ عصى داود باشا والى بغداد طالبا الاستقلال فعزله السلطان وعين بدله على باشا رضا وأعطى له فرقة من العساكر للقبض على داود باشا فذهب المشار اليـه واتحد مع والى الموصـل وسائر الولاة المجاورة لبغداد فاشتبكت الحرب فانهزمت أعوان داود باشا وتحصن هو بالقلعـة وبعد محاصرته سبعين يوما قبض عليـه حيا فطلب العفو بواسطة على باشا فعفى عنه وأرسل بعائلته الى بروسة وبعد مدّة عين شـيخا للحرم المدنى بناء على طلبه وأما فرنسا فكان مطمح نظرها موجها نحو الاستيلاء على الجزائر فلم تر أحسن فرصة من الوقت الحاضر لضعف الدولة وقلة العساكر فاخذت فى احداث المشاكل بها بواسطة قنصلها الذى حصل بينه وبين واليها أمور ومشاكل فارسلت عساكرها وسفنها وبعد قتال بينهما استولت عليها وفى سنة ١٢٤٧ تسلطت الاوهام على مصطفى باشا والى اشقودره حتى أنه لم يقبـل نصيحة الدولة ثم استأمن أعوانه فامنتهم الدولة وعاد هو للقلعـة فتحصن بها فحوصر عليه فيها ثم طلب العفو من السلطان فعفا عنه وعزل عن الولاية وأعقب ذلك أن عصى محمدعلى باشا والى مصر

وطلب الاستقلال بتحريك من الاعداء الاجانب وأصحاب الاغراض وفى سنة ١٢٤٨ أرسل عساكره بقيادة ابنه ابراهيم باشا المشهور وحصل بينه وبين العساكر الشاهانية جملة وقائع حربية كانت النصرة له فى غالبها حتى بلغ الى قرب قونية وامتدّت هذه الحرب لغاية سنة ١٢٥٤ ومن وقائعها الشهيرة أسر رشيد باشا وذلك انه فى وادى قونية حصلت واقعة بينهما فانهزم عساكر مصر فاتبعهم رشيد باشا وتصادف ظهور ضباب هائل فقصد الصدر الاعظم رشيد باشا ادخال عساكره الى قونية ثم رأى فرسانا مصرية فظنهم أتراكا فدخل فيهم فقبضوا عليه وانهزمت عسكره فبناء عليه وصل ابراهيم باشا الى قرب كوتاهية ثم أرسل السلطان خليل باشا القبودان بحرا الى مصر فقبض على سفينتين مصريتين بقرب قبرص وهربت الثالثة لكن انتصر ابراهيم باشا على حافظ باشا بقرب أورفا برا فاغتم السلطان وأرسل خليل باشا المذكور الى مصر لينصح محمد على باشا بالاقلاع عن سفك الدماء بين المسلمين فلم يفد كما يأتى ثم لم يشغل هذا السلطان الغيور صاحب الهمة العلية هذه المشاكل عن اجراء الاصلاحات الداخلية وتكميل النظامات وتعميم تعيين سفرائه فى عواصم أوربا واصلاح الضربخانة واحداث نقود جديدة وفتح بوستة خانات ووضع أساس أصول الكورنتينة وأنشأ بين غلطة والاستانة كوبريا وبنى جامع الطوبخانة الشريف وأنشأ سفنا كثيرة حتى بلغت مائة متنوعة ثم حصل حريق هائل بالاستانة أتلف عشرة آلاف بيت وفى سنة ١٢٥٥ جاء الخبر عقب هذا الحريق الهائل بان محمد على باشا لم يقبل النصيحة ثم اهتم السلطان بتكثير العساكر واذا بمرض اعتراه فمات به رحمه الله تعالى رحمة واسعة وله من الاولاد السلطان عبد المجيد والسلطان عبد العزيز

﴿أسماء معاصرى السلطان محمود من الملوك والامراء وجهاتهم﴾

الروسيا ..... الامبراطور اسكندر الاول ثم نقولا الاول

انجلترا ..... جورج الرابع

اسوج ونروج. شارل الثالث عشر ثم اسقولوا الاول

دانمارك ... فردريك السادس

بروسيا...... فردريك الثالث ثم فردريك الرابع

فلمنك ...... كيلوم الثالث

أوستريا ..... فرنسو الثانى

بلجيكا ..... ليؤبولد

ويرتمبورغ ... فردريك الاول

البرتغال .... جان السادس ثم مارية الثانية ومعها رون ميكل

ساردنيا ..... امنويل الخامس ثم شارل فلكس ثم شارل البرت

اسبانيا ..... جوزيف بونابارت ثم فارديناند السابع ثم قرستين ثم ايزابله الثانية

فرنسا ...... نابليون الاول ثم لوى الثامن عشر ثم شارل العاشر ثم لوى فليب الاول

يونان ...... أوتونى الاول

ساكسونيا... فردريك أوكست

ايران ...... فتح على خان

الصين...... تاوقوانغ ثم ابنه هيان قونفع

تونس ...... واليها حسين باشا من قبل الدولة

مصر....... واليها محمد على باشا من قبل الدولة

---

٣١ السلطان عبد المجيد الاول

(ابن السلطان محمود)

ولد المشار اليه فى سنة ١٢٣٧ وجلس سنة ١٢٥٥ بالغا من العمر ١٨ سنة ومدة سلطنته اثنتان وعشرون سنة وقد تقدم ان الحرب كانت بين محمد على باشا

وبين الدولة قائمة ففي هذا العام اضطر القبودان أحمد باشا فوزى الى تسليم
دونانمة الدولة الموجودة فى البحر الابيض لمحمد على باشا وذلك من سوء تدبير
وأغراض خسرو باشا السر عسكر فعين رشيد باشا للصدارة العظمى وفى هذا العام
كتب السلطان الفرمان المشهور بكلخانة مضمونه التأكيد بمساواة جميع الرعايا
وفى سنة ١٢٥٦ اهتم محمد على باشا وابنه ابراهيم باشا بالحرب وظنا ان موت
السلطان محمود وجلوس السلطان عبد المجيد يكونان سببا لاتمام انتصاراتهما
فارسلت الدولة دونانمة عظيمة الى مينا وسواحل اسكندرية وأحالت ادارة ولاية
مصر موقتا على محمد باشا عزت فاستولت الدونانمة على قلاع جونيه وصيدا وسوريا
وانتصرت عساكر الدولة برا على ابراهيم باشا فلما رأى ذلك مير بشير رئيس المشايخ
ترك مساعدة ابراهيم باشا وانضم الى عساكر الدولة وكذلك أهالى ومشايخ جبل
لبنان والشيخ أحمد بك شيخ العربان ثم استولت عساكر الدولة على قلاع
صيدا وعكا وطرابلس وحما وحمص أما من جهة الدول فان انكلترا وأوستريا
والروسيا وبروسيا قطعوا العلاقات مع محمد على باشا بل ان انكلترا أظهرت
المساعدة للدولة ثم بواسطة المذكورين وتعهداتهم بعدم عصيان محمد على باشا مرة
أخرى تم الصلح على ماهو معلوم فبناء عليه عادت دونانمة الدولة السابق تسليمها
الى محمد على باشا الى الاستانة كما كانت وفى سنة ١٢٥٧ ثارت فى كريد
الاشقياء فاعادت الدولة فى الحال الأمن فيها ثم اهتمت الدولة ثلاث سنين
بالاصلاحات الداخلية وساح السلطان لرؤية الفابريقة التى أنشئت لاعمال الجوخ فى
أزميد وساح أيضا الى بروسة ومدللو وفى سنة ١٢٦١ فتحت فى الممالك الشاهانية
مكاتب كثيره لترقية المعارف وفى سنة ١٢٦٢ أظهر من يدعى بدرهان بك بجوار
الموصل العصيان والفساد فارسل اليه عثمان باشا مشير جيش الاناضول فادبه وأعاد
الامن وفى سنة ١٢٦٣ أنشئ مدرستان حربيتان بالاستانة لاستخراج ضباط وأطباء
وفى سنة ١٢٦٥ أظهر نور الله بك فى كردستان العصيان ثم ندم وذهب الى الاستانة
معتذرا للسلطان فعفى عنه وأكرمه وفى سنة ١٢٦٦ ساح السلطان الى جزائر

البحر الابيض برسم التفتيش على الاحوال وفى سنة ١٢٦٧ عزل السلطان الشريف محمـد بن عون أمير مكة وعين بدله الشريف عبد المطلب وفى سنة ١٢٦٨ أنشئ أربعة قلاع جسام فى طريق الحديدة وفى سنة ١٢٦٩ طلبت الروسـيا امتيازات فى الكنائس الموجودة فى ممالك الدولة والتأمينات الكافية وغيرها من الطلبات المبهمة المقصود منها وقوع الحرب من قبل استعداد الدولة وايجاد القوة الكافية لمقاومتها لانها خرجت من حرب الشام مع محمد علي باشا كما تقدم وساقت فعلا قوة هائلة الى الافلاق والبغدان ففى الحال أرسلت الدولة عساكرها النظامية والرديف المتقاعدين ففى الوقائع الحربيـة التى حصلت فى چتانة وقلفات واولتينيچه تشتتت شمل عساكر الروسيا خلافا لما كانت تظن من ان قوة الدولة كسوابقها فلما وجدت ما يخالف فكرتها أظهرت التجلد والاهتمام الفائق فى تهيئة جيش عظيم حتى أبلغته ثمانمائة ألف أما السلطان فانه كان أرسل رفيق باشا الى فرنسا وانكلترا سفيرا ليفهمهما اعتداء الروسـيا ونقضها بغير حق للمعاهدة المصدق عليها من الدول فنصح كل من فرنسا وانكلترا وسردنيا الروسيا بعدم الحرب فلما لم تذعن ساعدوا الدولة العليـة برا وبحرا بمئتى ألف عسكرى فقابلتهم الروسيا بحرا بمائة وثلاثين سفينة حربية متنوعة ولم أقف على مقدار سفن الدول المتفقة التى انتصرت حتى استولت على المدائن والقـلاع الموجودة فى سواحل البحر الاسود للروسيا وكذلك انتصر عساكر الدولة والمتفقين على عساكرها بجوار نهر المالو فى جزيرة قريم وفى سنة ١٢٧٠ حصلت بعض تلفيات فى دونانمة الدولة فى واقعة سينوب وفى سنة ١٢٧١ حاصر المتفقون مدينة سواستبول وأغرقوا كثيرا من سفنها وأخربوا قلعتى مقسيمليان وتوردسود وكانتا من أمتن القلاع ثم اتحدت السفينة المسماة المحمودية والتشريفية مع بعض سفن المتفقين بارسال مقذوفاتها على المدينة المذكورة فهدّت قلعتى قسطنطين وقرنتنة وقيل كترينة وطابية تلغرافيا ونتج من ذلك حريق هائل فاحرق ثلثها وكانت تلفيات الروسيا هائلة خصوصا من الضباط المشهورين ثم انهزمت عساكرها

فى واقعة ابن كرمان وكذلك حطمت بضع سفائن من سفنها فى بحر الصين وفى سنه ١٢٧٢ عصت عساكر الاكراد فى خربوط فارسلت الدولة فرقة من العساكر فادّبتهم وأعادت الامن وفى أثناء ذلك جاوز أربعون ألفا من الاروام حدود الدولة بدسيسة روسيا فتسلطوا على أرمية ودومكة وترحالة فارسلت الدولة الفريق شاكر باشا بستة آلاف بيادة وآلاى واحد سوارى وبطاريتين من المدافع ومعه عبدى باشا الشركسى بمن معه من العساكر المصرية ولم أقف على مقدارهم فوقعت الحرب فظهرت أولا علامة الانهزام من العساكر المصرية لكن على أثر قدوم شاكر باشا بفرقته انتهت الحرب بهزيمة الاروام ثم عينت الدولة عمر باشا الشهير سردارا على جيشها المحارب للروسيا فكثرت تلفيات الاخير واستولى المتفقون على مدينة سواستبول فعجزت الروسيا عن المقاومة وطلبت الصلح بواسطة فرنسا وفى سنة ١٢٧٣ عقد مجلس فى ويانة فعينت الدولة رشيد باشا الصدر الاعظم من قبلها وعينت عالى باشا للصدارة ثم عقد مجلس فى باريس من دول فرنسا وانكلترا وساردينيا وأوستريا والروسيا وبروسيا فتم الصلح وانسحبت العساكر وفى سنة ١٢٧٤ أنشئت السكة الحديدية بين أزمير وأيدين وفى سنة ١٢٧٥ حصل اختلال فى الصرب فخرج منها حاكمها ميلوش بيك وذهب الى ويانة فعينت الدولة بدله اسكندر بيك فعجز عن استمالة الاهالى اليه فذهب قبولى أفندى من قبل الدولة مندوبا للتحقيق فتبين بان المدان هو اسكندر بك فعزلته وولت بدله ميلوش بك ثانيا وفى هذا العام وقعت منازعات بين المارونيين والدروز فى جبل لبنان وفى سنة ١٢٧٦ اجتمع ثلاثون ألفا من الدروز فى خان مرج بقيادة شيخهم اسماعيل عطرش واجتمع فوق السبعين ألفا من المارونية فى زاملة فاقتتلوا معهم فقتل منهم كثيرون فبناء عليه ساقت دولة فرنسا دونانمتها الى بيروت واحتلتها بخمسة عشر ألفا من العساكر فلما بلغ ذلك الدولة أسرعت بزيادة قوتها الحربية فى الشام وأرسلت فؤاد باشا ناظر الخارجية المشهور مفوضا فى تسوية هذه المسئلة فقبل وصوله

أطفئت نار الفتنة لكنها سرت فى نفس الشام فهجم أوباش كثيرون من المسلمين على غير المسلمين فلما وصل فؤاد باشا أخذ المجرمين وسجنهم ثم أجرى محاكمتهـم كل منهم على قدر جرمه وفى سنة ١٢٧٧ انتهت تسوية هـذه المسئلة والمشكلة بالحالة التى عليها الآن جبل لبنان وانسحب الفرنساويون بمراكبهم وفى هـذا العام توفى السلطان عبد المجيد رحمه الله تعالى رحمة واسعة ودفن بتربته المخصوصة بجوار السلطان سليم وأولاده ثمانيـة السلطان محمـد مراد خان الخامس والسلطان عبد الحميد الثانى حفظه الله ونصره ورشاد أفندى وكمال الدين أفندى وبرهان الدين أفندى ونور الدين أفندى وسليمان أفندى ووجد الدين أفندى حفظهم الله

﴿أسماء معاصرى السلطان عبد المجيد من الملوك والامراء وجهاتهم﴾

انكلترا ..... الملكه فكتوريا

الروسيا .... نقولا الاول ثم اسكندر الثانى

المانيا ..... كيلوم الاول

أوستريا .... فرانسوجوزيف

فرنسا .... نابليون الثالث

ايطاليا ..... امانويل

يونان ...... أوتونى

دانيمارك .... فردريك

البرتغال ..... بدرو

اسبانيا ..... الملكه ايزابله

بلجيق ..... ليئوبولد

فلمنك ...... كيوم

نابولى ...... فرانسو

اسوج ونروج . شارلى

الصرب ...... ميلوش من قبل الدولة العلية ثم ابنه ميخال

افلاق .... قوزه بك ثم شارل من قبل الدولة العلية

الجبل الاسود . نقولا بك من قبل الدولة العلية

سيسام ..... فرتيادى بك ثم باولاوا كى

آسيا

ايران .... محمد شاه ثم نصر الدين

أفغان .... الامير شير على .

الصين .... هيان قونغ

فاس .... عبد الله

مصر .... محمد على باشا ثم عباس باشا الاول

تونس .... محمد صادق باشا

٣٢ السلطان عبد العزيز

ولد المشار اليه فى سنة ١٢٤٥ وجلس سنة ١٢٧٧ الموافق سنة ١٨٦١ ميلادية بالغا من العمر اثنين وثلاثين سنة وفى أول جلوسه أطفئت نار عصيان أهالى الجبل الاسود ثم زار أجداده فى بروسة وبعد عودته اخترع النيشان العثمانى وفى سنة ١٢٧٨ اهتم باتمام السكة الحديدية بين أزمير وكوستنجه وفى سنة ١٢٧٩ ساح السلطان الى مصر وبعودته زينت الاستانة ثلاث ليال وفى هذا العام افتتح المعرض فى ميدان السلطان أحمد المسمى سركى عثمانى وهو أول معرض ثم اهتم بالاصلاحات والتعديلات الداخلية وفى هذا العام عصت أهالى الجبل الاسود ثانيا فارسل لهم عمر باشا السردار وبعد عدة وقائع حربية استأمن أهله فانسحبت العساكر وفى سنة ١٢٨٠ حصل ارتباك فى شأن النقود حيث أن الاوراق التى

كانت أنشئت بدل النقود فى زمن السلطان عبـد المجيد اعانة على حرب قريم المعروفة بالقوايم انخفضت قيمتها طاقات فأصبحت القائمـة التى قيمتها مائة قرش لا تساوى الا ثلاثين قرشا بالعملة الذهب أو الفضة و تمشى بعشرين قرشا و تصبح بار بعين قرشا وهلمجرا فتشكل البنك العثمانى بناء على رأى فؤاد باشا الصدر الاعظم وأنشئ سهام جديدة باسم القونصليد العثمانى فاستردت الحكومة القوائم المذكورة من الاهالى وأعطت لهـم بدلها نقودا ذهبية وفضية وهـذا هو الاساس لدين الدولة مع المصاريف الجسيمة التى صرفت فى الحروب الروسية القريمية التى دامت ثلاث سنين وفى هذا العام وضعت أصول الموازين المالية كاصول موازين الدول الاورباوية وصار تعميم المجالس النظامية فى كافة الولايات وأرسلت مفتشون كثيرون للنظر فى سريان الدعاوى وتطبيقها على النظام وفى هذا العام ثارت أهالى كريد المسيحيون بتحريكات أجنبية فارسلت الدولة اليهم عساكر بقيادة مصطفى باشا النابلى الكريدلى الصدر الاعظم الاسبق ثم عمر باشا السردار وعالى باشا الصدر الاعظم وحسين باشا عونى وعساكر من مصر وكانت تأتى اليهم ذخائر ومؤونات وعساكر متطوعة بكثرة من الخارج فاسر حسن بك غمسز أميرال الدارعة عز الدين السفينة اليونانية المسماة ارقادى وبعد تأديب العصاة وايجاد الأمن عادوا وفى هذا العام سنة ١٢٨١ هاجر من قبائل الشراكسة بضع مائة ألف بيت أو عائلة الى بلاد الدولة لما استولت الروسيا على بلادهم وأما الدولة فانها أعانتهم بالمؤنة بضعة أشهر وبادوات زراعية وعربات النقل وعافتهم من الويركو ومن العسكرية وفى هذا العام عصت قبيلة عسير باليمن فاستولت على قلعة جذان وبلدة أبى عريش فارسلت اليهم الدولة عساكر وبعد تاديبهم واسترداد القلعـة والبلدة عادت وفى سـنه ١٢٨٢ سار الوباء من الاسكندرية الى الاسـتانة ومنها الى بعض جهات الاناضول فمات به الكثيرون وأعقب ذلك اشتعال النار بالاستانة فاحرقت جهة خواجا باشا ثم سرت الى المحلات المعروفة بمغال أوغلى وفضلى باشا الى المحل المسمى أوجلر تحت ميدان السلطان أحمد وسرى فرع آخر من ديزوار به الى كدك باشا

وقدرغه وقومقبو الى ساحل البحر مع المحلات المعروفة بنيشانجى وسراج اسحاق بما يقرب من ثلثى الاستانة فاعانت الدولة المصابين واكتسبت أيضا من أصحاب المروءة والحمية الاعانات ثم أطفئت وأعقب ذلك ارتفاع الوباء وفى سـنة ١٢٨٣ ساح السلطان عبد العزيز الى أوربا ولما عاد الى الاستانة أجريت الزينة من طرف الاهالى ومن مزايا سياحته تعـديل مواد الامتيازات الشخصية الاجنبية باحسن مما كانت عليـه قبلا لان هـذه الامتيازات كانت أعطيت لهم عقب انتصارات الدول فى أوقات حرجة وفى هذا العام فرّ قوزه بك حاكم المملكتين افلاق وبغدان الى باريس خوفا من الاهالى فعينت الدولة بدله شارل أحد برنسات بروسيا بشروط معلومة فجاء الى الاستانة لتقديم التشكرات للاعتاب السلطانية وفى سنة ١٢٨٤ صار لغو المجلس المعروف بمجلس (والاى أحكام عدلية) وتشكل بدله المجلس الشورى بالاسـتانة وتشكل أيضا للمجالس النظامية ابتـدائية واستئنافية وتميز وأحدث ديوان جسيم بالاستانة باسم (أحكام عدلية) ومعناه بمصر الحقانية وصار تعديل واصلاح كيفية التدريس وزيادة المكاتب وفى سنة ١٢٨٥ دعا اسماعيل باشا خديوى مصر بعض ملوك أوربا لفتح قنال السويس وفى سنة ١٢٨٦ زار الاسـتانة الامبراطور فرانسو جـوزيف امبراطور النمسا وامبراطورة فرانسا وبعض برنسات أوربا فاكرمهم السلطان وفى سنة ١٢٨٧ حدث حريق هائل بالاستانة بادئا من جهة بك أوغلى فكانت الخسائر جسيمة فاعانت الدولة والاهالى المصابين وفى سنة ١٢٨٨ أنشئ عربات تراموای من الكوبرى الى صماتيه وطوب قبوه ومن قره كوى الى أورته كوى (١) وفى هـذا العام مات الصدر الاعظم عالى باشا بمرض الصدر ودفن فى تربته المخصوصة بجوار الجامع السليمانى رحمه الله وكان من أهم رجال عصره وعـين بدله محمود نديم باشا ابن نجيب باشا وتنقحت أصول المعاشات وفى سنة ١٢٨٩ عزل محمود باشا المذكور من الصدارة وعين بدله مدحت باشا المشهور ثم عزل وعين بدله محمد رشدى باشا المترجم ثم عزل

(١) محلات بالاستانه

وعين بدله محمد رشـدى باشا شروانى زاده ثم عزل وعين بدله أسعد باشا ثم حسين عونى باشا ثم عاد محمود باشا نديم ثانيا وكل هذه التبدّلات حصلت فى ثلاث سنين أعنى لغاية سنة ١٢٩٢ فبذا حصل الارتباك فى أمور الدولة وطلب أهالى بوسنة المسـيحيين امتيازات بدسائس أجنبية وعصوا فارسلت الدولة اليهـم فرقة من العساكر ولمساعدة الصرب والجبل الاسود لهم سرا انكشفت أحوالهم فاظهروا جميعا العصيان وفى سنة ١٢٩٣ عزل السلطان محمود نديم باشا الصدر الاعظم وحسين أفندى فهمى شيخ الاسلام وعـين بدل الاول محمد باشا رشدى المترجم وعين بدل الثانى حسين أفندى خير الله

وفى يوم الثلاث ٧ جماد الاول سنة ١٢٩٣ خلع السلطان عبدالعزيز بموجب فتوى وجلس بدله السلطان محمد مراد الخامس فبايعه الناس وكان متأثرا جدا من الاحوال التى رآها قبـل جلوسه مما لايليق حصوله وزاد تأثيرا من دخول حسين عونى باشا السر عسكر عليـه بغير اذنه حين دعاه الى الجـلوس وموت السلطان عبد العزيز فى اليوم السادس من خلعـه مشاعا بان سبب موته قطعه عروق ذراعيه وأعقب ذلك ورود الاخبار بان عصيان بوسنه وهرسك امتـد الى الصرب والجبـل الاسود والبلغار والافلاق وبغدان حيث شهروا السلاح فى وجه عساكر الدولة جهارا وأعقب هذا وذاك واقعـة حسن أفندى شركس الضابط برتبة صاغ قول أغاسى وتفصيلها ان الوكلاء أى النظار بالاستانة عقدوا ليلا مجلسا فى سراية مدحت باشا رئيس مجلس الشورى يومئذ الكائنة فى طوشان طاش وهو محـل بالاسـتانة فذهب حسن أفندى المذكور وكان ياورا للسلطان عبدالعزيز وقيل ان شقيقته احـدى سيدات السراية ولما وصل وأراد الدخول على الوكلاء منعه الحجاب فقال لهم انى مامور بذلك ومعى تلغراف سرّ مهم يتعلق بالجيش المحارب وضرورى من مقابلة السر عسكر فذهب أحد الحجاب يسـتأذن فسار وراءه حتى دخـلا معا ففى الحال أخرج مسدسات من جيبه بسرعة عجيبة وضرب حسين باشا عونى السر عسكر مرتين ثم راشد باشا ناظر الخارجية فقتل ثم

جرح بعض الوزراء اما مدحت باشا وباقى الوزراء فقــد هربوا فى غرفة أخرى وأغلقوا أبوابها فقال لهم والله لأأريد منكم غير مدحت باشا وانى غير مفتر ولا مجنون فقال له بعضهم اعقل يافلان وارجع ولم يفتحوا له الابواب ثم تكاثر عليه الحجاب للقبض عليه فلم يقدروا بل جرحوه جراحات كثيرة حتى ضعفت قواه فقبضوا عليه ثم حكم عليه بالاعدام ونفذ الحكم فهـذه التأثيرات أوجبت حصول خلل فى شعور السلطان مراد فاهتم الاطباء بعلاجه مدّة فلم يثمر فتشاور الوزراء فى ذلك ودعوا مولانا السلطان عبد الحميد أيده الله بنصره فشار عليهم بالصبر والتأنى لعل الله يشفى أخاه ثم لما قطع الاطباء فى مذكرتهم بعدم الشفا طلبوا فتوى من شيخ الاسلام فافتى بانه مخلوع شرعا

وفى يوم الخميس المبارك الحادى عشر شهر شعبان سـنة ١٢٩٣ الساعـه ٤ والدقيقه ٣٠ جلس للسلطنة الوارث الشرعى شوكتلو مهابتلو ولى النعم السلطان عبد الحميد خان الثانى أطال الله بقاءه وأيد ملـكه بنصره العزيز انه على مايشاء قدير وبعباده لطيف خبير

(لاحقـــة)

واقعة المرحوم السلطان عبـد العزيز رحمه الله تعالى رحمة واسعة هى كما ذكرنا حسبما اتضح وقتها بنص التواريخ التركية ثم فى سـنة ١٨٨١ ميلادية تفضل مولانا السلطان بدقة التحقيق واعطاء الحرية الكاملة للمحققين فظهرت أشياء كانت موجبة لادانة البعض فصار مجازاة جميع من كان له يد فيها بدرجات مختلفة منها نفى مدحت باشا ومحمود باشا نديم الى الطائف فمكثا فيه مدّة طويلة الى ان توفيا أما أولاد المرحوم السلطان عبد العزيز رحمه الله فهم يوسف عز الدين أفندى ومحمود جلال الدين أفندى ومحمد شوكت أفندى وعبد الحميد أفندى وسيف الدين أفندى

(أسماء معاصرى السلطان مراد الخامس وجهاتهم)

انجلترا..... الملكة فكتوريا

الروسيا ..... اسكندر الثانى .... امبراطور

ألمانيا ...... غيلوم الاول .... امبراطور

أوستريا ..... فرنسو جوزيف

فرنسا ...... نابليون الثالث وبعد محاربة ألمانيا وأسره صارت فرنسا جمهورية

ايطاليا...... امنويل

اليونان ..... أوتون ثم بعد خلعه جورج الاول

الدانيمارك ... فردريك السابع

البرتغال..... بترو الخامس

اسبانيا ..... الملكة ايزابله

البلجيك .... لا أوبولد

الفلمنك .... كيلوم السادس

اسوج ونوروج. شارل الخامس عشر

الصرب ..... ميلان من قبل الدولة العلية ممتازه

افلاق وبغدان. شارل من قبل الدولة العلية ممتازه

الجبل الاسود.. نقولا من قبل الدولة العلية ممتازه

ايران ...... الشاه ناصر الدين

الافغان ..... الامير شير على خان

بخارى ..... الامير مظفر الدين

الخوقند ..... قولى خان

الخطب ..... الامير حبيب الله خان

كشفر ...... الامير يعقوب خان

فاس .... منلا عبد الله

الحبش ..... تودور

مصر .... اسماعيل باشا من قبل الدولة العلية ممتازه
تونس ..... محمد صادق باشا من قبل الدولة العلية ممتازه

تنبيه يرى من أسماء الملوك و الامراء المعاصرين للسلاطين المتقدمين اختلاف وتشابه ناشئ من تغير أحوال الممالك و اختلاف الحروف الافرنكية عن العربية فمن يلاحظ من حضرات القراء شيأ من هذا القبيل وصح عنده خلاف ماذكر فليعتمده حيث ان هذه الاسماء منقولة من كتب التواريخ

﴿ واقعـــة تونس ﴾

ولنذكر أحوال تونس و وقائعها الاخيرة اجمالا ليقف القراء على غلطات أمرائها و وزرائها حتى احتلتها الاجانب احتلالا عسكريا باسم الحماية وما كابدته الدولة العلية فى استخلاصها أولا وثانيا من يد الافرنج فنقول

ان أول من تولى فيها بعد الفتح الاسلامى هو عبد الله بن أبى سرح عاملا لسيدنا عثمان بن عفان الخليفة فى سنة ٢٩ هجرية ثم كان خلفاؤه من بعده عمالا تابعين لولاية مصر لغاية سنة ١٥٠ وفى سنة ١٥١ تولى فيها عمر المهلبى وهو أول المهلبيين عاملا من قبل أبى جعفر المنصور ثانى الخلفاء العباسيين لكن لم يكن عاملا بسيطا كأسلافه بل كان مطلق التصرف حتى فى الحرب و السلم شبه امتياز وفى سنة ١٨١ تولى عليها ابراهيم بن الأغلب وصار بنوه يتوارثون الولاية من بعده حتى ان فى سنة ٢٩٧ تولى عليها عبد الله المهدى وكان هو وخلفاؤه مستقلين تقريبا وفى سنة ٣٦٥ تولى عليها المنصور بن يوسف الصنهاجى ثم بنوه من بعده وفى سنة ٦٠٢ جاءت دولة الحفصيين وأولهم الشيخ عبد الواحد وكانوا مستقلين ثم انتقلت فى سنة ٩٨١ الى الدايات والبايات و البشوات من قبل الدولة العلية وفى سنة ١١١٧ انتقلت الى الحسينيين وأولهم حسين باشا التركى لغاية سنة ١١٥٣ ثم تولى ابن أخيه على باشا لغاية سنة ١١٦٩ ثم تولى محمد بن

حسين باشا بن على باشا لغاية سنة ١١٧٢ ثم تولى أخوه على باشا لغاية سنة ١١٩٦
ثم تولى ابنـه حموده باشا لغاية ســنة ١٢١٩ ثم تولى أخوه عثمان باشا لغاية
سنة ١٢٣٠ ثم تولى محمود باشا ابن محمد باشا وفى سنة ١٢٣٩ تولى ابنه حسين
باشا وفى سنة ١٢٥١ تولى أخوه مصطفى باشا وفى سنة ١٢٥٢ تولى ابنه أحمد باشا
وفى ســنة ١٢٧١ تولى محمد باشا ابن حسين باشا وفى ســنة ١٢٧٦ تولى أخوه
محمد باشا الصادق الذى مكن الفرنساويين من الاحتلال فى تونس كما سيأتى وكانوا
يجتهدون بطرق التذلل للدولة لتوسيع التصرفات حتى صارت تونس ممتازة

﴿ أسباب استيلاء الدولة العلية على تونس والجزائر ﴾

ان الدولة الحفصية ضعف أمرها الى أن استولى الطليانيون على تونس فاستغاثت
الاهالى بالدولة العلية فارسلت اجابة لذلك قوة أخرجت الطليانيين منها واحتلتها
محلهم لحد قروان كطلب أهاليها وكانت الجزائر استقلت فلم تتعرض لها الدولة
وكانت عاصمتها تلمسان فكثرت فيها الحروب الاهليـة وخشيت الاهالى استيلاء
اسبانيا عليها وفعلا استولت عليها فحضر خير الدين باشا الجزائرلى المشهور المتقدم
ذكره فى عصر السلطان سليمان الاول وذهب الى الاســتانة وكان هو حاكمها
الاكبر وقتئذ وتنازل للسلطان عنها فارسل السلطان مائة سفينة وجيشا فطرد
الاسبانيين من الجزائر وعاش هو واليا عليها من قبـل السلطان ثم انقاد للدولة
سائر أهاليها وخطب للسلطان سليم الثانى ابن السلطان سليمان الاول فى سنة ٩٨١
فما كان من حسن الحفصى آخر أمراء الحفصيين الا انه استعان باسبانيا ووعدها
بتمليكها سواحل تونس فاعانته وحاربت حيدر باشا الذى لم يكن عنده غير ألف
عسكرى فلقلة عسكره وكثرة عسكر عـدوه هرب كما سبق فى حينـه ثم أرسلت
الدولة سنان باشا فانقذها من الاسبانيين ومن حسن الحفصى وعين لها حيدر باشا
المذكور واليا ومعه العساكر الكافية ومن بعده صار لها حاكمان يسميان بالباى
والداى فتزاحما وصار لكل واحـد حزب فوقع الاختلاف والحروب الاهليـة

بينهما حتى ملت الاهالى فقتلوا الباى والداى وانتخبوا حسين بن على التركى من الاوجاقيين كما تقدم وذلك فى سنة ١١١٧ واسترحموا من الدولة اعتماده واليا عليهم بدون شريك له فقبلت الدولة وعينته وأنعم عليه برتبة باشا وهو جد العائلة الموجودة هنالك للآن والاوجاقيون هم الضباط الاصاغر كاليوز باشا تقريبا فيعلم من ذلك ان أصل جد عائلة باى تونس هو ضابط صغير عثمانى وقد فوضت له الدولة فى الامور عدا المعاهدات مع الاجانب والسياسة وما أشبه ذلك لان الدولة ما كانت تقصد خلاف راحة الاهالى كما قاله المرحوم السيد بيرم الخامس فى كتابه صفوة الاعتبار ثم ظهر الفساد والعصيان باسباب هذه التفويضات حتى أبطل السلطان محمود رحمه الله تعالى هذه العادة والسبب الاعظم فى ذلك هو تسبب حسن باشا والى الجزائر فى دخولها تحت الدولة الفرنساوية من سوء تصرفاته وساعد باى تونس وقتئذ على ذلك بمنعه نزول القبودان باشا وعساكره المرسلين من الدولة فى حلق الوادى لعزل الباشا والى الجزائر حتى لاتحتلها الفرنساويون فى حلق الوادى الذى هو مينا بتونس توهما من الباى ان احتلال عساكر الدولة بتونس يمس ولايته أو كان ذلك بدسائس فرنساوية ومع ذلك لو كان تمكن القبودان باشا من النزول فى حلق الوادى لما ضاعت ولاية الجزائر التى انبنى عليها احتلال فرنسا بتونس بعد خمسين سنه من غلط هذا الباى ثم لعدم وجود أمر بيد القبودان من الدولة على أن ينزل فى حلق الوادى بالقوة عاد للاستانة ليخبر السلطان بذلك . وفى أثناء ذلك احتل الفرنساويون الجزائر فلما خاطبه الباب العالى فى ذلك مستفهما عن سبب منعه القبودان باشا من حلق الوادى لم يجد له سبيلا للاجابة خلاف ارتكانه على لزوم كورنتيته ومن أغرب ما يذكر من غلطات حكام المسلين حصول حرب ما بين والى تونس ووالى الجزائر فى سنة ١٢٣٦ عند اشتعال نار فتنة اليونان بأغراء ومساعدات الدول واشتغال الدولة العلية بها مع حرج موقفها فارسلت رسولا للتداخل فى منع الحرب بينهما وبالفعل أصلح ذات بينهما (فانظر ما حل بالقطرين من المصائب الحالية) فلما

تعين حسين باشا واليا على تونس كطلب الاهالى فرضت عليها الدولة كما فرضت
عليها فى عقب انقاذها من يد الطليانيين من اعانة الدولة بالسفن الحربية بلوازمها
برا أو بحرا عند الحاجة وهدايا ترسل من الوالى عند ولايته وعند جلوس السلاطين
وعنـد وجود المناسبات وأغلب الهدايا كانت من نتايج البلاد كالخيـل الجياد
والحيوانات الغريبة والمنسوجات الحريرية والصوفية والاسلحة النفيسة المرصعة
بالمرجان واشترطت الدولة أيضا على أن الخطبة باسم السلطان والراية تكون من راية
الدولة والنقود باسم السلطان والجبايات تكون على قدر حكومة تونس الداخلية
والحربية فقط لان سنان باشا فاتح تونس لما رأى حالتها لم يشترط عليها وقتها خلاف
ماذكر وفى سنة ١١٨٤ حصلت نفرة بين فرنسا وعلى باشا باى تونس فجاء أسطول
فرنسا الى سواحل تونس ورمى بعض الحصون وبمصادفة وجود مندوب الدولة
بتونس لطلب الاعانة الحربية لان الدولة وقتها كانت فى حرب مع دولتى الروسيا
وأوستريا فتداخل المندوب بين فرنسا وباى تونس وأصلح ذات بينهما فعاد أسطول
فرنسا كما جاء وعادت العلاقات الحسنة كما كانت وفى سـنة ١٢٥٥ طلب والى
تونس أحمد باشا رتبة المشيرية فانعم عليه بها وبنيشان وفى سنة ١٢٥٦ أمرت
الدولة والى تونس باعمـال التنظيمات الخيرية على مقتضى فرمان (كولخانه)
فاجاب الوالى الطلب مبدئيا وطلب المهلة وفى سنة ١٢٥٨ ألحت عليه الدولة
بالتنفيذ فارسل اليها رسولا يطلب امهاله أيضا وفى سنة ١٢٦٣ كثرت الدسائس
الاجنبية فى تونس فخاف الوالى من الدولة العلية توهمـا من الوشايات الاجنبية
فاستشعرت الدولة بذلك فارسلت اليه رسولا لتأمينه من جميـع ماتوهم به وبتأييده
فى ولايته لمدة حياته مع اسقاط الاموال المقررة على تونس ففرح الوالى (وهذا
أحد احتجاجات فرنسا لدى الدول على استقلال تونس عند ماأرادت احتلالها)
ثم التمس الوالى من الدولة بجميع الامتيازات منها الولاية لآله من بعده وفى
سنة ١٢٦٥ أرسل له عباس باشا والى مصر مكتوبا وداديا ينصحه فيـه بترك
الاوهام ويحذره من الدسائس الاجنبية وقال له انه لما ذهب للاستانة نال من السلطان

ومن رجال الدولة من الاكرام وحسن المعاملة ما يدهش الالباب مع أن أفعال جدّه محمد على باشا وعمه ابراهيم باشا ضدّ الدولة معلومة فالاحسن أنك تذهب معى الى الاستانة وترى ماتناله من الحظ الاوفر فاجابه بانه عبدللدولة ولم يختلج بفكره شئ مما يتهم به خلاف تمسكه بالامتيازات السابقة (قاتل الله هذه الامتيازات التى أولها امتياز وآخرها اجهاز) ثم أرسل اليــه عباس باشا رسولا من العلماء ومعه آخر من التجار ليفهماه ان الدولة تقصد من الاصلاحات والتنظيمات خيرا وجمع كلمة المسلمين ولا باس فى ابقاء الامتيازات ومنها عدم وجوب ذهاب الوالى الى الاستانة وفى سنة ١٢٧٠ أرسل أحمد باشا والى تونس المذكور أربعةعشر ألف عسكرى وفرقاطةشراعية وستة سفن اعانة للدولة فى حرب قريم وفى سنة ١٢٨١ أرسلت الدولة حيدر أفندى رسولا للنظر فى الثورة العامة التى حصلت فى تونس وأرسلت أيضا مليونا ونصفا من الفرنكات اعانة لتونس من الضيق المالى فسكنت الثورة ثم حصلت من الاهالى ثورة عامة وشكوا للدولة من الظلم فذهب حيـدر أفنـدى بالاسطول العثمانى وأرسلت الدول أساطيلهم فطلب الاهالى تداخـل الدولة العلية بواسطة مندوبها لاصلاح داخلية البلاد وطلبوا انضمامهم فعلاللدولة ورفعوا علم الدولة فى أماكنهم فحينئذ تداخلت الدول كل على حسب غرضه فاثرت الحالة على الوالى ووزيره واستقر الرأى على ارسال تشكر للدولة على مافعلته والرجاء منها بارسال فرمان بروابط الامتيازات بما لم يبق معـه مقال يقال وكان هـذا الرأى مملوءا بالدسائس الاجنبية ظاهره كما يرى وباطنه كان أساسا لدخول القطر تحت نفوذ الدول الاجنبية فارسل الوالى خير الدين باشا الشهير للاستانة بطلب ترك المال وزيادة الامتيازات فذهب وعرض ذلك على الصـدر الاعظم فؤاد باشا الشهير وبعد اجتماعات كثيرة بين الوزراء بالاستانة تقرر ما مضمونه ان الصدر الاعظم سيرسل قريبا للوالى فرمانا كما يطلب ثم ان السلطان عبـد العزيز رحمـه الله تعالى قال لخير الدين باشا انى أحترم والى تونس ولـكنى متأسف جدًا من تصرفاته السيئة التى أهوت بالقطر الى الخراب والتفليس على غير عذر فعاد

خير الدين باشا وفى سنة ١٢٨٨ ظنت ايطاليا ان الفرصة مناسبة لتداخلها فى أمر تونس حيث ان فرانسا والمانيا فى حربهـما وان الدولة العلية بعيـدة عن تونس ولوجود لجنـة ايطالية بها وأخفى الباى أغلب الامور المهمة على الدولة العلية وكان مصطفى باشا الخزندار وزير تونس أجر أرضا واسعة الى لجنة ايطالية فأوسعت اللجنة الامتيازات والحدود فارسل الوزير المذكور أحد أعوانه دائما للتسبب فى فسخ الايجار فادعت اللجنة حصول خسائر لها من تعدّى تابع الوزير الذى امتنع من تحمل شئ من ذلك ففرحت ايطاليا بهذا المشكل وأمرت قنصلها بقطع العلائق وتهديد الوالى ثم جهزت أسطولها للاستيلاء على تونس فاستشعرت الدولة العلية بذلك وتداخلت و منعتها وانتهى الامر بدفع تعويض الخسائر بعـد ثبوتها وذلك بناء على أمر الدولة العلية ثم ان الدولة أخرت ارسال الفرمان للباى لهذا السبب فكتب الباى الى الاستانة باستعجاله وكتب خير الدين باشا أيضا للباب العالى ما مضمونه ان القطر التونسى فى خطر وان لم تتداركه الدولة تسوء العاقبة فورد جواب من على باشا الصدر الاعظم بان نازلة الفرمان تقضى بارسال معتمد من قبل والى تونس للتفاهم فى النازلة مع تلميح باستقباح سير الوالى ففهم ان الدولة غير راضية بان يبقى الفرمان على مكتوب الصدر السابق فوجه خير الدين باشا ثانيا بالتفويض وكان الصـــدر الاعظم يومئـذ هو محمود نديم باشا فاحضر الفرمان والنيشان المجيـدى المرصع فلما عاد الى تونس أرسل الوالى لاستقباله مصطفى بن اسماعيل أمير أمراء المقربين اليـه وعقد موكبا الى خير الدين باشا أما مضمون الفرمان بالاختصار فهو المشير المفخم الحائز للنيشان المجيـدى الشريف مع النيشان الهمايونى المرصع وزيرى محمد صادق باشا أدام الله اجلاله آمين ليكن معلوما ان الايالة التونسية التى هى من ممالك دولتنا العلية المتوارثة التى عهدتك كما وجهت سابقا الى عهدة أسلافك لم تزل تظهر حسن السيرة وتنهى الى طرفنا خلوص النيـة فأمولنا السلطانى هو على مقتضى الشيم المرضـية التى جبلت عليها هو الدوام فى ذلك المسلك المرضى ولما كان المقصود الأصلى والمراد

القطعى لسلطنتنا السنية هو ارتقاء طمأنينة الايالة الراجع لدولتنا عمرانها والراحة لسكانها ولتمام الاستحصال على هذه المطالب وما ورد بها أخيرا بكتابك الملتمس به من جانب الخلافة العلية قررت وأبقيت أيالة تونس المحدودة بحدودها القديمة المعلومة بضم امتياز الوراثة وبالشروط الآتية وحيث أن مرغوبنا السلطانى على ماتقدم بيانه هو تزايد عمران تلك الحكومة وراحة الاهالى قدسمحت السلطنة السنية بعدم ارسال ما كان يرسل باسم معلوم من الايالة لطرف دولتنا العلية بموجب التبعية المقررة لمملكتنا الملوكية وصدرت ارادتنا السنية بان يكون والى تونس مرخصا له فى تولية المناصب الشرعية والعسكرية والملكية والمالية لمن يكون متأهلا لها وفى العزل عنها بمقتضى قوانين العدل وفى اجراء المعاملات المعلومة مع الدول الاجنبية كما كان سابقا فيما عدا المواد البوليتيكية العائدة الى حقوقنا المقدسة الملوكية ونعنى بها ما كان كعقد الشروط المتعلقة باصول السياسة والحرب وتغيير الحدود ونحوها مما يكون اجراؤه من حقوق سلطنتنا السنية وعند حلول القدر المحتوم فى الولاية وتقديم المفروض لطلب الفرمان الشريف من الوارث الاكبر من عائلتك لطرف سلطنتنا السنية يرسل الفرمان مع منشور الوزراء والمشيرية الهمايونى كما الجارى للآن بشرط ان تستمر الخطبة باسمنا السلطانى وتزين السكة التى تضرب علامة علنية للارتباط القديم الشرعى لايالة تونس لمقام الخلافة وان يبقى السنجق على لونه وشكله ومهما وقع الحرب لدولتنا مع أجنبى يرسل عسكر عن تلك الايالة الشهانية بقدر الاستطاعة طبق ما جرت به العادة القديمة فى الجميع ومع تلك المواد يكون أمر الولاية بطريق الوراثة لعائلتك على ان تبقى سائر المعاملات الارتباطية مع دولتنا العلية جارية مرعية كما كانت سابقا وان تجرى الادارة الداخلية لتلك الايالة مطابقة للشرع الشريف وقوانين العدل التى يقتضيها الوقت والحال الكافلة بتأمين السكان فى النفس والمال والعرض فاعلانا بما ذكر صدر هذا الفرمان الجليل من ديواننا الهمايونى وأرسل موشحا أعلاه بخطنا السلطانى فخلاصة نياتنا السلطانية انما هى اصلاح حال تلك

الايالة المهمة المودعـة بعهدة صداقتكم وبآل بيتكم لسعادة ورفاهيـة تبعيتنا المستظلين بظل عـدلنا السلطانى مع تمام المحافظة على حقوق سلطتنا المحققة بتونس من قديم الزمان فيلزم الاهتمام باجراء هـذه الشروط المؤسسة انتهى فى ٩ شعبان سنة ١٢٨٨

ولما قرأ هذا الفرمان حصل لعموم الاهالى افراح خارقة للعادة فى الحاضرة وفى سائر البلاد وقبائل العربان ودامت الزينات مدّة ثلاثة شهور متوالية والسبب فى ذلك مايتعلق بالوالى من استقرار أمره على أساس متين له ولعائلته طالماسعى من كان قبله ولم يتحصل عليه وأما فرح الاهالى فلحصول مرغوبهم من تمام الاتصال بالدولة العلية الاسلامية مع شروط الامن وحسن الادارة فيها ولم ينكر أحد من القناصل هذا الفرمان ولم يعارض أحد من الدول لان الدولة لم تقصد من هذا الفرمان الا خير الوالى تونس وللامة التونسـية ولكن جاء الامر بالعكس من جهل وعـدم اخلاص الوالى ووزرائه حيث انهـم استنادا على هـذا الفرمان اتسعوا فى أمور الامتيازات مع جهلهم بامور السياسة خصوصا مع فرنسا وايطاليا وكانوا يخفون أغلب الامور المضرة بهـم على الدولة العليـة حتى نتج من ذلك احتلال فرنسا فيها ومن ضمن أسـبابه غفلة الوالى وسماعه الدسائس الاجنبية فى ازعاج نفس خير الدين باشا الوزير الشهير الذى صارت تونس بسياسـته فى مدّة وجيزة بحالتـه من الاصلاح يحسدها العـدو عليها حتى استعفى وتعين بدله مصطفى بن اسماعيل الذى نشأ فى معية الوالى ومن اتباعه وكان مغرما بالتجمل بالملابس الفاخرة حتى كان فى أصابعه جملة خواتم وعلى صدره مجوهرات كثيرة وسلسلة ساعته كانت مجوهرة ومن أسباب الاحتلال أيضا مادة المسيو زيسانسى الفرنساوى الذى أخذ من حكومة تونس أربعمائة ماشيه (١) أرض قابلة للزراعة والسقى لتربية المواشى فيها من خيل وبقر وغنم وليس للحكومة شئ فى ذلك فحصل خلاف بينه وبين الحكومة فتداخل قنصل فرنسا فى الامر وبواسطته منع المذكور

(١) الماشيه الواحده تسعة آلاف وستمائة ذراع تقريبا

دخول أحد من رجال الحكومة فى الارض المذكورة فارسل الوزير المذكور رجالا فنعهم القنصل ثم طلب من الحكومه أربعة مواد الترضية والقا المسؤلية على من تسبب فى النازلة وعقد مجلس مختلط للنظر فى طلب المسيوديسانسى والرابع الجواب عن ذلك فى ظرف يومين وقد شاع بايعاز منـه على أن الغرض من القاء المسؤلية على المتسبب هو عزل الوزير فاضطربت أحوال الوالى والوزير واشتد خوفهما ولم يعلما الدولة العلية بالمسئلة ثم ترجى القنصل بصرف النظر عن الوزير واجابة باقى الطلبات ويضاف الى ذلك عزل الكاتب الذى ذهب للارض فكتب الوالى تلغرافا لناظر خارجية فرنسا بارسال رسول اليه ليتكلم معه فى المسئلة فاجيب بواسطة القنصل بانه لافائدة فى ذلك وان القنصل معتمد لدى فرنسا فاجاب الوالى بالقبول ونزل الوزير ابن اسماعيل فزار القنصل وهو بملابسه الرسميـة واعطاه الترضية ثم عقـد مجلس برئاسة واحـد فرنساوى وكانت النتيجة ظهور الحق بيد المسيوديسانسى ضد الحكومة ثم طلب أحـد الفرنساويين مد سلك كهربائى فأجيب وكذلك سمح الباى لفرنسا باتصال السكة الحـديدية الجزائرية بتونس ومن المتممات لاسـباب احتـلال فرنسا ان الوزير ابن اسماعيل سعى فى ابدال القنصل ثم غير مشربه حتى طمع فى ولاية العهد بان يتولى بعد سيده الوالى الحالى محمد صادق باشا اذا أتم ادخال تونس طوعا تحت فرنسا فاحكم مع القنصل المودة حتى قيـل ان بطانة الوزير تأتى اليـه معلمة له بجميع أسرار الحكومة وسائر تصرفاتها حتى اتفق الوزير مع القنصل على شروط ادخال تونس تحت فرنسا غير ان الوالى لم يسعف بالاجابة على تلك الشروط التى قدّمها الوزير له سرا خوفا من الدول ومن الاهالى لئلا يخبر أحدهم الدولة العلية فجعل الوالى يسوف العقد من وقت الى آخر وجعل الوزير يسعى فى احداث وجه لتداخل فرنسا فارسل سرا الرسل للاستانة يلتمسون ان تطلب الدولة رسميا أو ترسل الاسطول العثمانى الى مناء تونس فلم يسعف السلطان الى طلبه الاعوج وقيل انه أساء معاملة ايطاليا لاجبارها على اعلان الحرب على تونس ليطلب من فرنسا الحماية ولم ينجح فيه ثم أظهر

الاستخفاف بقنصل فرنسا ظاهرا ومال عنه كل الميل فكتبت رعايا فرنسا لدولتهم بان حقوقهم فى تونس ضائعة وطلبوا الانتصاف و اذا بفرنسا قد أتت بخيلها ورجلها الى حدود تونس معلنة بان قصدها حفظ حقوقها فى جهة الحدود وغيرها (وهذه الاقوال هى العادية من الدول التى تريد أخذ بلاد الغير أو الاحتلال فيها) و استفتحت فرنسا على هذا العمل بما حرره ناظر خارجيتها الى سفرائها لدى الدول فى ٩ مارس سنة ١٨٨١ ماملخصه أيها السيد أتشرف بان أرسل لكم جملة رسائل فى شأن تونس وأريد أن أحقق لكم المقصد اجمالا ونخبركم عن سبب ارسال العساكر الآن وعن النتيجة التى نرجوها فكم من مرة عرفت الدولة الجمهورية مقاصدها وأنتم تذكرون ذلك خصوصا ماصرح به السيد رئيس الوزارة فى المجلس العام وهو لايمكن أن يكون فيه أدنى شك من صدقه ومع هذا فانى أريد زيادة الايضاح لينفعكم لدى الدولة التى أنتم عندها فنقول أن سياسة فرنسا فى تونس ليس لها الا مقصد واحد وهو الذى يوضح سريرتنا من منذ خمسين سنة الواجب علينا لحفظ وراحة مستعمراتنا العظمى الجزائرية (يفهم من هذا أن مقصد فرنسا موجه نحو الاستيلاء على تونس من قبل هذا بخمسين سنة أى من يوم احتلالها الجزائر) فمن سنة ١٨٣٠ لم تات دولة من الدول المتتابعة على انكار مستعمراتنا الافريقية واننا لنعمل الواجب علينا لحفظها من جار عدو أو كثير الاراجيف وقد كانت القبائل التونسية مخونين ومحاربين حتى فيما بينهم وقد فاق على الجميع قبائل وستانة والفراشيش وخمير ولاتعرف كمية المحاربين ولا كمية قوتهم فلذلك التزمنا الآن أن نرسل من العساكر عشرين ألفا وكان الداعى الاول لارسال العساكر قهر قبائل حدودنا الشرقية ولكن لافائدة فى تقرير الامن والراحة وأعداؤنا لايزالون يهددوننا ونحن لانخاف من الهجوم المنسوب لباى تونس اذا كان منه وحده لكن نظر القليل فى العواقب ألزمنا التحرى من اتحاده مع غيره وهذه تشويشات يمكن أن ياتى لها وقت وتقلقنا كثيرا فى الجزائر وتصل حتى الى فرنسا فيلزمنا بناء على ما ذكر أن يكون لنا عند الباى محبة كبيرة واتفاق قلبى ويلزمنا جار يعوضنا المحبة التى لنا عليه ولا

بسمع التشويشات الخارجيـــة لضررنا واستحقار قوّتنا الراسخة ونحن نحترم
بالتدقيق منافع الاجانب وهم يقدرون أن يتوسعوا بثبات مع فوائدنا والدول
يتحققون من أن مقاصدنا من جهتهم لا تتغير والى هاته المدّة الاخيرة اتحادنا مع
دولة الباى المفخم مستمر الا ما يحدث أحيانا من الاختـلاف فى دفع تعويضات
لقبائلنا المضرورين ثم فى الحين يرجع الاتحاد ويزداد ثبوتا الا هاته المدّة الأخيرة
فانه باسباب يصعب الاطلاع عليها قد تغير ميل الدولة التونسية الينا دفعة واحدة
وهذا الحال هو السبب الثانى لارسال العساكر التى كنا نود التجنب منه ولكن
بسبب السيرة الرديئة التى طالما صبرنا عليها ألزمتنا بما هو واقع لاننا نعترف أن
تونس كمملكة مستقلة وأما الحالة فى المخالطة الآن مع الباب العالى فهى مخالطة
محبة وميل طبيعى وبودنا لو كنا رأينا نازلة تونس فى منظر آخر غير الذى هى عليه
الآن ولكن قد بان ما يجب علينا مما ذكرناه سابقا وأننا نقدر أن نستفهم من
الباب العالى اذا كان باى تونس هو والى من قبلهم فلماذا لم يمنعوا سـيرته التى
فعلها نحو فرنسا منذ عامين (ومن العجيب أن فرنسا لا تريد فى نفس الامر
أن يطلع الباب العالى على أمور تونس وكثيرا ما كانت تظهر للباى عدم ارتباطه
بالباب العالى والاغرب ان فرنسا لم تشتك من باى تونس للباب العالى ولا بخبر
بسيط فهذا افتراء فرنسا ظاهر قاتل الله الاغراض السيئة) ولماذا لم يفتشوا ليمنع
التحيز الموجود الآن الذى نحن مجتهدون أن ينتهى بشروط تؤمن حدودنا من
الهرج المستمر والتشويش المغرى البارد ولا نخاف عند ما نقول ان لنا فى أوربا
الرضا العام فى جميع الجهات عدا الجهات التى بها النظر الفارغ المطمس للعقول
وهذه هى أيها السيد التى خيمت حول الباب وحول تونس وفى كلا الطرفين فنحن
مشمولون بالمحبــة وجميع ما نرجو من الباى هو أن لا يكون عـدوا لنا ولو أن
المملكة تنظر لفوائدها فتقدر أن تتحصل من اتحادها معنا على فوائد لاتحصى
أكثر مما نحصله نحن منها (فتأملوا) من هذا ونقدر أن نأتى لها بكل خير من
العمران الحاصل عندنا ففى سنة ١٨٤٧ فعلنا فيها البريد وفى سنة ١٨٥٩

وسنة ١٨٦١ فعلنا التلغراف وفى سنة ١٨٧٧ وسنة ١٨٧٨ فعلنا السكة الحديدية بطول خمسين فرسخا من حدود الجزائر وفى هذا الزمان تفعل بها سكتين حديديتين احداهما لتربط تونس بابن زرت (١) من جهة الشمال وطولها عشرون فرسخا والاخرى تربط تونس بالسوسة من جهة الجنوب (ياليتها لم تفعل شيأ من ذلك حيث انها سموم قاتلة) وسنبتدى عن قريب فى ابتداء عمـل مرسى فى نفس تونس لتدخل المراكب (الفرنساوية طبعا) من الشط ومن حلق الوادى الى ذات القاعدة وان الحنايه الجميلة التى تأتى بالمياه العذبة الى تونس قد أصلحها أحد المهندسين الفرنساويين ولما ترجع الخلطة الطيبة فانا لانزال نفعل أشياء حسنة ومنارات على الشطوط وطرقا داخلية توصل بين البلدان ونسقى الارض بالترع الكبيرة فى البلاد التى بها أنهر كثيرة ولكن هاته البلاد أهلها ليسوا معتنين بتلك الانهر وكذلك الغابات وكذلك نعمل استخراج المقاطع الموجود بها كل نوع من المعادن وكذلك ترتيب الفلاحة فى الاراضى الحسنة وبالجملة ان مملكة تونس خصبة وغنا قرطاجنة القديمة يدل على ذلك وتحت الحماية الفرنساوية يمكن ان تزال جميع الحجب عن المنافع الطبيعية فى هاته البلاد ونقدر ان نزيد أشياء أخرى وهى انه اذا كان الباى يعتمد علينا فى الترتيب الداخلى فى المملكة فانا نفعـل الخير الذى يسهل علينا عمله منـه ترتيب كيفيـة قبض الايرادات و المصروفات و دفاتر الحسابات على مقتضى مانستعمله نحن فى ماليتنا ومنـه أيضا خير عظيم وهو ترتيب العدلية على الاصول التى فعلتها الدول فى ترتيب العدليـة فى مصر وفائدة هاته التراتيب لاترجع الى فرنسا وحدها بل للمملكة ولجميع الدول المتمدنة التى نحن منها (وأين التمدّن مع هـذا النهب) فلا يمنعنا شئ من عملنا فى تونس مثل الذى فعلناه فى جزائرنا والذى فعلته انجلترا فى الهند اذا نحن جعلنا باى تونس متكفلا بمطالبنا الحقانية فهو الدليل على مانحسبه دائما من ان تونس مملكة مستقلة من غير ان نراعى بعض آثار للتبعية بالاسم فقط لبعض أسـياد قد تركوها مدّة قرون

(١) مينا بتونس

(فانظروا أيها الامراء العرب ومن على شاكلتهم كيف تفسر الدول الطامعة فى بلادكم تفويضات الدولة العلية وتوسيع امتيازات بعض الممالك الاسلامية بقصد زيادة العمران وراحة الاهالى فكلما اشتد الارتباط بين الممالك الاسلامية وبين الدولة العلية قوى الحفظ من الاغتيال والعكس بالعكس) وقد تظهر تلك التبعية نادرا ولو تحسب المدّة التى هى فيها مستقلة لكانت أكثر من مدّة التبعية ففى سنة ١٥٣٤ أخذها المشهور بيباربوروس خير الدين أربع أو خمس مرات بانتصاره على اسبانيول وفى العام الذى بعده أخذها شارلكين وكذلك فى سنة ١٥٥٣ ثم أخذها داى الجزائر فى سنة ١٥٧٠ ثم أخذها الدونجوان النمساوى فى سنة ١٥٧٣ ثم فى طول القرن السابع عشر كانت تحت ظل الانكشارية من غير حكم (فانظروا المغالطة بجعل الدولة العلية وحكمها فيها ينسب للانكشارية) ورؤساهم الموسومون بالدايات كانوا اذ ذاك أربعين فقسموها تقريبا كالمماليك الذين قسموا مصر ثم فى سنة ١٧٠٥ كان أحدهم المسمى بحسين بن على الذى أصله كريكى أو كرسكى صار مسلما وكان هو أحذقهم فعرف كيف يستميلهم وقتل جميعهم واشتهر بالباى وبعصيان العساكر أقام العائلة الحسينية ومن ذلك الوقت لم تزل الامارة فيهم على هيئة السيادة الاسلامية ولهم الآن مائتاسنة تقريبا وهم مستقلون والرابطة الحقيقية بينهم وبين الباب العالى هى رابطة دينية وهم يعترفون بالخليفة الا انهم ليسوا تحت السلطان ومما يوضح هذا انهم لايدفعون له أداء الاعند ولاية كل باى يرسل هدية تعظيما لرئيس الديانة القاطن بالقسطنطينية (ماأعجب هذه التفسيرات الخداعية) وفى باقى مدّة الولاية فلا مسئلة سياسية يمكن ان تذكر غير هاته التحية الودادية فليس لأمير المؤمنين حق آخر على باى تونس والمملكة تعقد شروطا كدولة مستقلة مع دول الاجانب وتعقد معهم اتفاقات برضاء الباى فقط وعلى هذا النمط وقعت معاهدة مع فرنسا فى سنة ١٧٤٢ وكذلك فى العام الثالث والعام العاشر وفى سنة ١٨٢٤ وهكذا صارت

المعاهـدة (١) المهمة فى ٨ أغسطس سـنة ١٨٣٠ التى تمنع ملك العبيـد والتلصص فى البحر ولا يلزم التكلم على المعاهدات الباقية كالتى فى شأن صيد المرجان وان الباب العالى لايحكم على الولاية الا حكما وقتيا وهو راض باستقلالها ومما يؤيد هذا انه فى القرن الثامن عشر لم يقبل تشكى دول أوربا من التلصص البحرى والسعى البربرى وليس له حكم عليهم وهو ليس مولاهم وهو لم يضمن السرقات التى فعـلوها مخلة بتجارة البحر المتوسط وان دول أوربا عملوا الحرب عشرين مرة مع المملـكة من غـير عقد الحـرب مع تركيا وفى سـنة ١٨١٩ كانت معاهدة اكس لا شبيل حكمت على تونس بمنع التلصص البحرى من غير ان يطلب من الباب العالى التداخل على انه متسيد على تونس وفى سنه ١٨٣٣ حاربت مملـكتا سار دنيا ونابلى تونس من غـير أن تحاربا الباب العالى لانهـما يريان مثل ما ترى ان تونس مستقلة ثم ان علاقة تونس مع فرنسا وقت أخذ الجزائر على النحو السابق مع واسـطة تركيا ولما قـدم الينا أحمـد باى فى سـنة ١٨٤٣ قوبل بكل مايلزم من التعظيم للملوك والباب العالى لم يتوجع اذ ذاك من عملنا التعظيم الملوكى وكذلك جميع أوربا لم تلم على ذلك لان رأيها موافق لرأى اللورد أيردين الذى يقول فى تسجيله ضد أخـذنا الجزائر المكتتب بتاريخ ٢٣ مارس سنة ١٨٣١ ان الدول الاورباوية يفعلون من مدّة طويلة المعاهدات مع الدول البربرية مثل الدول المستقلين وخصوصا تونس فانها لاتحسب نفسها الا حرة والدليل الواضح الحق الذى لاينـكره أحد هو عمل القوانين فى تونس المسماة بويورلدى وحلف عليها الباى الموجود بتونس محمـــد الصادق لما جلس على الـكرسى فى ٢٣ ايلول سنة ١٨٥٩ مثل ماحلف أسلافه فان قانونا واحدا منها وهو المسمى بالقانون النظامى لمملـكة تونس قد احتوى على مائة وأربع عشرة

(١) لم تـكن الولاية التونسية ماذونة من الباب العالى باجراء المعاهدات مع الدول ولا التداخل فى السياسة فاذا كانت هذه المعاهدات حقيقية تـكون من باب الخيانة وهكذا الامراء يغلطون

مادة وانتشر بالعربى و الفرنساوى فى تونس ولم يصرح فيه ولا بكلمة واحـدة
تقول السلطان ومما لايقدر ان يشك أحد معه فى استقلال الباى مانشر فى الصحيفة
الرابعة من المقدّمة فى ذلك القانون ونصه ان الموظفين الـكبار التونسيين اختاروه
بكلمة واحدة ليكون رئيس الدولة على مقتضى قانون الوراثة المعروف فى المملـكة
و فى ذلك القانون فصول تامة شرحت الحقوق والواجبات للملك وحالة الامراء من
العائلة الحسينية وحقوق واجبات الرعايا وكيفية خدمة الوزراء و ترتيب خدمتهم
والمجلس الـكبير بالمملـكة والمداخيل والحساب ولا شك ان من يطلع عليها يجد
ذلك البيان ومع هـذا فهو دليل واضح على اســتقلال مملـكة تونس وجميع
المعاهدات التى بين الدول و بين تونس منذ الثلاثة قرون الاخيرة لم تقل الا مملـكة
تونس وملك تونس ومنها خمسة عشر أو عشرون معاهدة أمضيت من فرانسا فيها
ذلك القول (وليس هـذا بعجيب لان فرانسا من منـذ خمسين سنة تعمل الامور
المسهلة لاستيلائها على تونس فكل هذه المعانى والالفاظ فى المعاهدات هى وضع
يدها لتتخذها حجة لها عنـد الفرصة كما هو الحاصـل وانما عدم ادراك الباى
ووزراؤه معنى هذه الدقائق وفرح الوالى باسم الملك الفارغ مما يعار عليهم وعلى
أمثالهم) وأيضا المعاهدة التى وقعت مع ايطاليا فى سـنة ١٨٦٨ مذكور فيها
مملـكة تونس فبناء على ماتبين من الادلة القطعية المتعدّدة فالباب العالى لا يقدر
ان يتعجب من انـكار فرنسا لسيادته على تونس وفى سنة ١٨٣٥ أدخـل تحت
سيادته طرابلس وأراد ان يعم سيادته على تونس فرأى قوّة فرنسا المضادة له منعته
من مقصده وفى ســنة ١٨٤٥ أتى مابينجى السلطان الى تونس ومعـه فرمان
ليقلد الباى منصب الولاية الا انه لم يقبل منه ثم مضت عشرون سنة من غـير
تجربة جديدة لـكن فى أواخر سنة ١٨٦٤ رجعت التمهيدات القديمة وانما هاته
المرة كانت المملـكة بنفسها هى التى طلبت التقليد ولـكن هذا كان من الغريب
اذ وقع من الامير الذى هو حتى لذلك الوقت بعينه وهو يظهر المدافعة عن استقلاله
وهذا انما كان من الاشارات القوية التى خوفت الباى من حالته امام الباب العالى

فارسل لذلك أمير الامراء خير الدين الى القسطنطينية ليعرض ويأتى بالفرمان وهاته المرة أيضا عارضت فرنسا فى ذلك وعوضا عن الفرمان السلطانى فالباى ومستشاروه التزموا بالرضاء بمكتوب وزيرى متضمن مافى الفرمان ثم اغتنم الفرصة وقت مصيبتنا فى سنة ١٨٧١ وتمموا ماكانوا ممنوعين منه سواء كان فى مدة لوى فيلب الذى كان فى الغالب اسطوله يمنع الاسطول التركى من القدوم الى تونس فى مدة الامبراطور الذى لم يقلل من العـزم المشار اليـه وفرمان ١٥ تشرين أول سـنة ١٨٧١ الذى اتخذوه تحت ظل مصيبتنا انتشر فى ١٧ تشرين الثانى فى باريط على يد خير الدين باشا باسم السلطان وقبـله الباى الذى كان طلبوه له مع عدم الارتياح وفرنسا على كل حال سجلت بقوة وحسبت الفرمان باطلا وكأنه لم يقع ومن مدة عشر سنين لم تبطل شيأ من عملها عند مايقتضى الحال ومع نجاح الباب العالى هو بنفسه له شك فى اجراء حق فرمان بتاريخ سـنة ١٨٧١ الذى ضرب استقلال مملكة تونس المتقادم وهـذا الفرمان انتشر قليلا على انه عنـد الغالب لايعرف ماعدا بعض الدول التى لها فوائد فانهم تأولوا فى ترتيب الفرمان المذكور بأن تونس تكون جزء تحت يد الباب العالى مع ان حكم باى تونس باق كما كان يعرف من منذ مئتى سنة غير أن الباى صار واليا أى واليا عاما على ايالة تونس وعلى موجب ذلك فالوراثة فى الحقيقة لم تكن مستمرة فى العائلة الحسينية خلافا لما ذكره الفرمان بل الوالى يعزل بأرادة السلطان ومن الممكن ان يعرف الباى ضرره وضرر ملكه وحريته وحياته التى هى غلطة كبيرة حسبما أشاروا عليه بها ومحمد الصادق ليس له خوف من جهة فرنسا ولومع ماعمل من الشر معها ومع هذا فهى ليست ضده لا لذريته ولا لذاته ولا لدولته ومن جهة الباب العالى فهو بالعكس وله الخوف الكبير منـه لانه يمكن أن يبـدله بحسب الحال انتهت

واذا تأملها المتبصر وتدبر معانيها يجدها مخالفة للواقع سيما فى بعض الاحوال التاريخية كما يتبين من مقابلة ماذكر فى تاريخ تونس وسياستها وصلتها مع الدولة العلية من المكاتبات الرسميـة التى تكررت حتى من موظفى فرنسا ويؤكد ذلك

أيضا فى لوائح الباب العالى ولائحته الاخيرة فان الحالة لما بلغت الدرجة الاخيرة تظاهر والى تونس بان أرسل للباب العالى مكاتبات بالتشكى من فرنسا وأرسل الى نواب الدول تسجيلا على ذلك أيضا ولما تحقق الباب العالى الاحوال رسميا أرسل عدّة لوايح الى سفرائه محتجا لدى الدول بالمحافظة على المعاهدات وبالاخص معاهدتى باريس و برلين الوارد فيهما املاك الباب العالى وعدم جواز مسها وأخيرا أرسل وزير خارجية العثمانية الى سفراء الدولة مما يوضح فيها مقاصد الدولة وملخصها كما يأتى

فى عشرة مارس سـنة ١٨٨١ بالقسطنطينية ان اعلاماتى المختلفـة عرفت فطا نتكم الوقائع التى صارت فى المسئلة التونسـية وقد نسبت لبعض القبائل البدويين بجهة الجزائر بالهجوم فالحكام التونسـيون اعلنوا بانهم حاضرون ليضبطوا من غـير تراخ فالدولة الفرنساوية حكمت بان يلزمها ارسال عـدد وافر من العساكر الذين قد استولوا على جزء عظيم من الولاية ولم يبعدوا عن المركز الا ببعض فراسخ فمن غـير التفات الى ما كنا أكدنا به على حضرة الباشا (١) ليأخذ التدابير اللازمة لتمهيد الراحة فى المواضع الثائرة فدولة الجمهورية لاتريد أن تنظر المخالطة الاقترانيـة بتونس مع السلطنة العثمانيـة التى هى محسوبة جزءا متمما للسلطنة المذكورة على أن سيادة السلطان التى ليس فيها خلاف على هذه الولاية وهى سيادة لاتنكرها أى دولة من الدول عموما وهذا الحق بقى للآن صحيحا ولم ينقطع من زمن فتحها فى سنة ١٥٣٤ ميلادية بخير الدين باشا وفى سنة ١٥٧٤ بقليـج على باشا وسنان باشا وكانت الدولة العلية أرسلت الى تلك المواضع قوة عظيمة برا و بحرا ومن زمن ذلك الفتح فالتأسيسات التى فعلها الباب العالى هى ان جميـع ولاة تونس يتوارثون الولاية من ذرية الوالى الاول المسمى من السلطان و يتقلدون الى الآن المنصب منـه وفرمانات الولاية تبقى فى خزنة الديوان وكذلك جميـع المكاتبات التى تأتى منهم للباب العالى فانها تارة تـكون فى شأن مخالطتهم مع الدول الاورباوية وتارة تـكون فى شأن أحوالهم الداخلية

(١) يقصد به باى تونس

والتى لهاته المدّة الاخيرة فان الباب العالى من استحفاظه على حقوقه زيادة على
كونه يسمى الوالى العام فانه يرسل من القسطنطينية الى تونس قاضيا و باشكاتب
الولاية ولم يكن الا من ترحم الدولة العلية ان منحت الوالى أن يسمى هو بنفسه هذين
الموظفين و أيضا فاتباعا لمذهب وخصوصية سيادة السلطان فان الخطب يذكر فيها
اسم جلالتـــه ويضرب على السكة أيضا وفى وقت الحـــرب ترسل تونس
الاعانة الى التخت و على حسب العادة القـــديمة يأتى للقسطنطينية دائما اناس
رسميون ليقـدموا تعظيمات الوالى وخضوعه لاعتاب السلطنـة وليقبلوا أيضا
الاذن اللازم من الباب العالى لامور عظيمـة فى الولاية ثم أن الباشا الموجود
الآن والتونســيون طلبوا زيادة فى التفضل و أعطى ذلك لحضرته السنية
بالفرمان المؤرخ فى سنة ١٨٧١ وتعرف به جميع الدول والآن قد استغاث
الوالى بسيده الحق ليعينه على الحالة الرديئة التى وقعت فيها تونس الآن وهاته
الاشياء التحقيقية لا ينكرها أحـد فهل تريدون أن تعرفوا الآن تقريرها
بالتاريخ وبالمكاتبات الرسميـة هو سهل لكن نقتصر على المهم منها لئلا يطول
الكلام فى هـذا التلغراف ففى المعاهدات القديمة التى بين تركيا وفرنسا تعدد
القاب الحضرة السلطانية ويكون منها لقب سلطان تونس فانظر مثلا معاهدة ١٠
صفر سنة ١٠٨٤ هجرية وسنة ١٦٦٨ ميلادية وفى هاته المعاهدات أيضا يوجد
بان كل المعاهدات التى بين الدولتين تجرى أيضا لفظ تونس وفى نصف القرن
السابع عشر أى فى ١٥ صفر سنة ١١٦٦ أرسل السلطان فرمانا للباى والحاكم
الكبير بالولاية فى رضا الباب العالى بان قنصل فرنسا يجمع خدمات قناصل الدول
الذين لم يكن لهم اذ ذاك نواب بالقسطنطينية كالبرتغال واسبانيا وغيرهما والقنصل
وكالته هى حماية السفن تحت الراية الفرنساوية فى المراسى مشهورة بالولاية
والفرمان يمنع تداخل قناصل الانجليز واللؤلانديين من التداخل فى خدمة نائب
فرنسا وذلك سند مؤرخ ٩ رمضان سنة ١١٩٧ هجرية المتقرر بمعاهدة ١٢
ربيع آخر سنة ١٢٠٥ فانه يأذن حكام الجزائر وتونس وطرابلس الغرب

بان يجمعوا على اسم السلطان السفن التجارية لسلطنة الرومان وأيضا فان الاتفاق الذى تقدّم هذا السند وتم ١٥ شوال سنة ١١٦١ هجرية بالاذن من السلطان وكان هذا الاتفاق وقع بين الحكام المذكورين والسلطنة المذكورة فان الوالى العام بتونس وهو اذ ذاك فى رتبة بكلربكى ونال اسم على باشا ويذكر فى مقدمة كل مكتوب ممضى عليه منه هاته الكلمات بعينها وهى مولانا السلطان الغازى محمود

وعلى ذكر وقائع ذاك الزمان أستطرد لكم الاذن الصادر من الباب العالى فى ١٥ ربيع الاول سنة ١٢٤٥ هجرية وسنة ١٨٢٧ ميلادية لحكام الجزائر وتونس وطرابلس الغرب فانه يامرهم أن لايتداخلوا فى الخلاف الواقع بين النمسا ومملكة المغرب وكذلك الاذن الصادر لوالى تونس فى ١٤ صفر سنة ١٢٤٧ هجرية وسنة ١٨٣٠ ميلادية فانه يأمر بترتيب العسكر النظامى بالولاية على نمط الترتيب العسكرى النظامى العثمانى وأيضا قد أتى مكتوب معين للطاعة من الباشا التونسى لجلالة السلطان فى سنة ١٨٦٠ وذلك الباشا هو الذى سماه السلطان واليا عاما وقد انشر هذا المكتوب فى جميع صحن أوربا من غير أن يعارض ولا من جهة واحدة ونزيدكم شيئا آخر وهو أنه فى سنة ١٨٦٣ فى واقعة القرض التونسى الذى وقع فى باريس من غير رضاء الباب العالى كان رسيود وأروان وولويس وزير خارجية الامبراطور نابليون الثالث قد أعلن رأيه بناء على شكايات الدولة العثمانية وقال أنه يلزم اما الباشا بتونس أو الصراف الذى يريد عقد القرض معه أن يطلب رضاء الباب العالى ليصح هذا القرض وللمدافعة على حقوق الباب العالى فان الوزير الفرنساوى أرسل يقول هذا الكلام للصراف المشار اليه وها نحن نضع بثبات الكلام السابق لدى ميزان العدل والحق الذى للدول الممضين على معاهدة بارلين وإنا لمتحققون بان فكر الدول محيط بدلائل كثيرة فى الواجبات العمومية التى يقتضيها المؤتمر المحترم وأنهم يريدون أن يفعلوا بالعدل قولنا الذى قدمناه وانهم يتحفظون على حقوق الباب العالى المحفوظة بالمعاهدة المذكورة ويصلحوا الحال بين الدولتين فرنسا وتركيا فى علائقهما

التى لهما فى هذه الولاية المرؤف بها التونسية المتممة للسلطنة العثمانية والمرغوب من جنابكم أن تتكلم مع وزير الخارجية فى مضمون هذا التلغراف وتشرح له ما تراه نافعا ولكم الاذن بان تعطوا نسخة من هـذا لجناب الوزير اذا طلب انتهى الامضاء مصطفى عاصم

ومما لاشك فيه أن فرنسا لم تنازع قط فى أن تونس من ممالك الدولة العثمانية فى وقت من الاوقات حيث أن وزير الروسيا سأل وزير فرنسا فى مجمع فيانه عقب حرب قريم عن تعيين الممالك العثمانية للجهل ببعضها ومنها تونس فاجابه الوزير الفرنساوى بان لاشك ولا نزاع فى كون تونس من الممالك العثمانية وان كانت لها امتيازات وكذلك فى سائر المعاهدات من قبل احتلال فرنسا على الجزائر بمدد طويلة مرعية الاجراء فى تونس كما بالممالك العثمانية ولكن عند الفرص الدول عندها المعاهدات كلا شئ وعند الاغراض وتيقن احداهن بقوة نفسها ويعلم ذلك من محاورة سفير انجليزى فى الاستانة اذ ذاك مع جلالة السلطان ويتبين منها عـدم وفاء الدول بالمعاهدات وحاصل المحاورة المذكورة هى ماعلم من تلغراف المسيو غوشن سفير انجليزى فى الاستانة الى وزير خارجيتها بتاريخ ١٩ نيسان سنة ١٨٨١ وملخصه يقول السفير انىَ وجدت جلالة السلطان مشغول الفكر بهذه الافعال وبناء على ما عنـدى منها لاذن أعلنت له بان الدولة الانجليزية تريد بقاء الحالة الموجودة فى تونس والنائب الانجليزى بتونس له الاذن ليرشد الباى اذا استشاره بان يعين فرنسا فى تقرير راحة الحدود وانىَ أرجو ان جلالتـه يشير على الباى أيضا فالسلطان سكت بعض دقائق ثم ظهر على وجهه الغضب وقال انه فهم من كلامى ان الدولة البريطانية ولم يقل العظمى تريد بقاء الحالة على ماهى عليه فى تونس ولها نفع ذلك وفهم أيضا انا أشرنا على محمد الصادق بان يعين العساكر الفرنساوية فنبهته عظمته بانى ما قلته ان الدولة الانجليزية تنتفع ببقاء الحالة الموجودة ولكنها تظهر تمنى ذلك فقط على هذه الكيفية وتتأسف كثيرا من فتح مسئلة جديدة فى الشرق وانا لاانفتكر ان توجد فوائد خصوصية لانجلترا مربوطة باى كيفية كانت

فى أحـوال تونس فعند هـذا أجاب السلطان بانه لم ير كيف يجمع بين رجائنا
فى ابقاء حالة تونس على ماهى عليه ومع ذلك نشير على الباى بان يعين العساكر
الفرنساوية فهذان الشيآن لايتوافقان لانه على رأيه يكون دخول العساكر
الفرنساوية الى تونس ناقضا للحالة الموجودة الآن فسكت السفير (طبعا)
وفى تلغراف آخر منه يقول أيضا ان الجلسة التى وقعت بينى وبين الباش وكيل
كان يطلب فيها صحبة انجلترا وقال ان الدولة الانجليزية تقدر ان تعمل مع الدولة
العثمانية المساعدة وان الباب العثمانى يكون ممنونا اذا كانت انجلترا تريد ان
تفعل معه ذلك فقلت له ان ماكنت قلته لكم قد وقع والذى كنت أقوله دائما
هو انه يأتى زمن تكون فيه تركيا متذكرة بان صحبة انجلترا لها لازمة وقد تكلم
على الحاجة الاكيدة الآن وتكلم أيضا على رد مودة انكلترا فتبعته وقلت
ماهو دليل المودّة الذى أظهرته تركيا لانجلترا منـذ بعض سنين وفى أى وقت
اتبعتم اشاراتنا النافعـة للسلطنة التركية نعم ان الترك قد عملوا غاية جهـدهم
ليتركوا المودة التى فى رأى العموم فى انجلترا ورجوعها الآن ليس بسهل فحضرته
العلية أجاب بان جميع الاشياء الآن تتغير من غير أن يظهر على وجهه الغضب
من الكلام الذى قلته له قصدا واستمر فى طلبه الاعانة وأنا شرحت له أن مسئلة
تونس ونازلتها مثل النوازل الاخرى الشرقية ولا تقدر انجلترا على اتمامها وحدها
ومع هذا فليس لنا فائدة خصوصية وسياستنا متمسكة بالموافقة الاوروباوية ولادولة
تريد قيام عسر جديد قبل ان تتم الاعسارات القديمة وكل دولة تكون حازمة اذا
كانت تفتش كل واسطة بحصر النازلة التونسية فى حدود ضيقة أقل مايمكن لئلا
تقوم نازلة تدخل فيها الدول بآراء مختلفة فجنابه العالى يقدر يفهم من جملة كلامى
بان ليس لى اذن لتقرير الرجا بان تكون الدول العظام الاوروباوية يظهرون أنفسهم
مختلفين على نازلة مختلطة بين الباب العالى وتونس والطلب الخصوصى من انجلترا
ليس بالموافق لحالة الباب العالى منذ بعض سنين مع الدول المشار اليها انتهى
من يتأمل لهذه الاقوال يعلم له ماهى أحوال وأعمال أوربا ضد الدولة

ولما احتج بعض الجرائد والوزراء على الوزارات الانجليزية حين ذاك فى مسئلة تونس لم ينفع بشئ حيث الوزراء اذ ذاك كانوا أحرارا ورئيسهم غلادستون المشهور بكراهته للاسلام والسلطان بل قالوا ان الباب الذى فتح لفرنسا فى تونس هو من أعمال سلسبورى لما كان فى مؤتمر برلين حيث قال لوزير فرنسا فى مؤتمر برلين عند مشاحنته معه فى مسئلة قبرص ان انجلترا لاتعارض فرنسا اذا أرادت الاستيلاء على تونس على شرط ان ترضى فرنسا بذلك الدولة العثمانية صاحبة الملك لا اغتيالا ثم انه لما أعلن وزير فرنسا الاول برضا انجلترا على ذلك فى مجلس النواب فاعلن وزير خارجيتها حينذاك بالتكذيب وما ذلك الا تحفظا على مايريد لدولته حتى اذا حصل مشاحنة بين الدولتين كان لانجلترا وجه فى نقض ما حل بتونس وأما دولة الروسيا فلاشك انها يسرها كل مايضعف الدولة العثمانية فلذا كانت ممنونة من واقعة تونس وكانت مساعدة لفرنسا وأما ألمانيا فاجابت السفير العثمانى بان الاولى للدولة العثمانية الاضراب عن مسئلة تونس ولا يخفى ان ذلك كان فى مدة بسمرك وله فى ذلك فوائد وملحوظات كثيرة وكل لبيب يفهم الاوجه التى كان يقصدها وكان أول من بادر بامر نائبة فى تونس باتباع سياسة فرنسا فيها وتبعتها على ذلك النمسا وأما ايطاليا فانها تجرعت من ذلك الغصص ولكنها لما كانت غير كفؤ لم يسعها غير السكوت ولما عبرت عساكر فرنسا حدود تونس معلنة بانها تريد تاديب قبيلة خمير من أعراب الجبال الشمالية عند حدود الجزائر لم يتعرض لها أحد بالمصادفة لان حكومة تونس كانت موافقة فى باطن الامر مع فرنسا ومع ذلك فما كان عندها تحت السلاح ألفا عسكرى فليتأمل من أعمال هذا الباى الوالى الممتاز على أمة عددها نحو مليون ونصف ولم يكن عنده ألفا عسكرى مع وجود الاوامر السلطانية مشددة بتنظيم جيشه على النظام العثمانى وقيل ان على بن الزى تابع الوزير التونسى كان يخبر قنصل فرنسا ونائبها باسرار الحكومة ولما وصلت عساكر فرنسا لبلد يقال لها كاف وبجوارها باجه اشتكت حكومة تونس بالقول انها مستعدة لتربية قبائلها الذين تشتكى منهم فرنسا

وقيل ان هذا وسيلة ظاهرية فقط وقيل ان الباى ندم بعد ذهاب السكرة ومجىء الفكرة ومع ذلك فقد أوعز الوزير بواسطة تابعه المذكور الى نائب فرنسا بان لا واسطة مفيدة فى الدخول تحت فرنسا الا قدوم شرذمة من العساكر الى قصر الوالى والاحاطة به اذ النسوة لما ترى ذلك تصرخ من الخوف فيضطر الوالى الى الامضاء على الشروط ويجد العذر عند الاهالى بذلك ولما بلغت المسئلة لحد هذه النقطة أرسل خبرا بالسلك الكهربائى للباب العالى يقول انه قد علم ان فرنسا تطلب عقد شروط ولا يعلم ماهى فما ذا يعمل فاجابه الباب العالى بانه يحيل كلما يطلب منه على الباب العالى ولا يمضى شيأ وقبل ذلك أشاع أصحاب الاخبار انه فى عزم الدولة العلية ارسال خير الدين باشا الى تونس معتمدا فى حسم النازلة لمعرفته باحوالها وسياسة الاهالى والاجانب ولكى يكون عونا على ابقاء الحالة المعروفة فارسل الوالى تلغرافا للباب العالى يطلب ان يكون المرسل غير المشار اليه فتعجب كل عاقل على المقاصد من ذلك الطلب اذ تلك الحالة لاتدع مجالا للشخصيات سيما وقد سبقت من خير الدين باشا الى الوالى المجاملة وعدم اكتراثه بما فعله معه عند حلوله بالاستانة وترقيه فيها فبذا كل مطلع على الباطن زاده ذلك تيقنا فى التواطىء على تلك الاعمال لان وجود مثل خير الدين باشا فى تونس لا يروج عليه مايروج على غيره ومع مجاراة الباب العالى وتقليله لمواقع النزاع قدر الامكان لتأمين الوالى حيث أظهر الميل للدولة فانه أسرع الى امضاء الشروط مع فرنسا والحال ان مداد الباب العالى بنهيه عن امضائه لم يجف هو ولم يخبر الباب العالى بعد ذلك بشىء حتى سأله عما شاع من امضائه فاجابه بانه مكره على ذلك وكلما ورد بعد ذلك من الباب العالى سلمه الى نائب فرنسا مدعيا ان الشروط قاضية بذلك (فليتأمل) وهذه هى المعاهدة

ان دولة جمهورية فرنسا ودولة باى تونس أرادوا ان يقطعوا بالمرة التحير الذى وقع قريبا فى حدود الدولتين فى شطوط تونس وأرادوا ان يربطوا مخالطتهم القديمة التى هى مخالطة المودّة والجوار الحسن فاعتمدوا على ذلك وعقدوا معاهدة فى نفع

الجهتين المهمتين فعلى موجب ذلك رئيس الجمهورية الفرنساوية سمى وكيله موسيو الجنرال تريار الذى يتفق مع حضرة الباى السامية على الشروط الآتية

أولا - المعاهدات الصلحية والودادية والتجارية وغيرها الموجودة الآن بين الجمهورية الفرنساوية وحضرة الباى يتحتم تقريرها واستمرارها

ثانيا - ليسهل للدولة الجمهورية اتمام الطرق للتوصل للمقصود الذى يعنيه الجهتان العظيمتان فحضرة البـاى ترضى بان الحكم العسكرى الفرنساوى يضع العساكر فى المواضع التى يراها لازمة لتتقرر وترجع الراحة والامان فى الحـدود والشطوط وخروج العساكر يكون عنـد ما يتوافق الحكم العسكرى الفرنساوى والتونسى على ان الدولة التونسية تقدر على تقرر الراحة

ثالثا - دولة الجمهورية تتعهـد لحضرة البـاى بانه يستند عليها دائما وهى تدافع عن جميع مايتخوف منه لضرر ما اما فى نفسه أو عائلته أو فيما يحير دولته

رابعا - دولة الجمهورية تضمن فى اجراء المعاهـدات الموجودة الآن بين دولة تونس والدول المختلفة الاورباوية

خامسا - دولة الجمهورية تحضر نحو حضرة البـاى وزيرا مقيما لينظر فى اجراء هاته المعاهدة وهو يكون واسطة فيما يتعلق بالدولة الفرنساوية وذوى الامر والنهـى التونسيين وفى كل الامور المشتركة بين المملـكتين

سادسا - ان النوّاب السياسيين والقناصل الفرنساوية فى الممالك الخارجية يتوكلون ليحموا أشغال تونس وأشـغال رعيتها وفى مقابلة هـذا فحضرة الباى يتعهد بان لايعقد معاهدة عمومية من غير أن تعلم بها دولة الجمهورية ومن غير أن يتحصل على موافقتها من قبل

سابعا - دولة الجمهورية ودولة حضرة الباى أبقوا لانفسهم الحق فى ان يؤسسوا ترتيبا فى الماليـة التونسية ليمكن لهـما دفع مايلزم من الدين التونسى العام وهذا الترتيب يضمن حقوق أصحاب الدين

ثامنا - ان غرامة الحرب يغصب عليها القبائل العصاة بالحدود والشطوط

وتفعل دولة الجمهورية معحضرة الباى فيما بعد شروطا على كميتها وكيفية دفعها ودولة حضرة الباى تضمن فى ذلك

تاسعا — للمدافعة على منع ادخال السلاح والآلات الحربية للمملكة الجزائرية الفرنساوية فدولة باى تونس تتعهد بان تمنع الاشياء المشار اليها من جزيرة جربا ومرسى قابس وسائر المراسى الجنوبية فى المملكة

عاشرا — انهاته المعاهدة توضع لدى رضا دولة الجمهورية وترجع فى أقرب مدّة ممكنة لحضرة الباى السامية حرر فى ١٢ مارس سنة ١٨٨١ بالقصر السعيد

الامضاء محمد الصادق باى والجنرال باريار

ومما يتهم به الوالى طلبه ظاهرا من قنصل فرنسا وقايد العساكر ان يمهلاه مدّة للتأمل من حالة الشروط فاجابه القنصل بانه لاداعى الى ذلك حيث ان الشروط بقيت عند وزيرك مدّة وتأملتها انت أيضا ولم يبق الا الامضاء وكذلك قيل ان السيد محمد العربى زورق ورئيس المجلس البلدى وأحد أعضاء مجلس الشورى أصر على عدم موافقة الامضاء على الشروط وانه لح على الوالى بذلك بالمجلس ونصحه بان مايخشى منه بعدم الامضاء سيقع لامحالة بعد الامضاء فالتمسك بالبراءة الاصلية أسلم وأشرف وقال بان جميع الاهالى لاتطيع الوجهة المذكورة وعلى فرض قهرهم فيكون الوالى على شرفه وربما اضطرت الدول والدولة العليـة الى التداخل بوجه يحسن الحال فلم يلتفت لكلامه بل عزل من جميع وظائفـه وجعلت عليـه مراقبة فى داره وحجر عليـه من مخالطة الناس وتحقق مزيد الاضرار به الى ان احتمى بقنصلاتو انكلترا وسافر عن وطنه وأقام بالاستانة ويشهد صراحة للتواطئ ماصرح به البارون بى لنك الفرنساوى فى تشرين سنة ١٨٨١ بما وقع فى هاته المسئلة عند ارساله لاستقراء أمر تونس فى كانون الثانى سنة ١٨٨١ من اجابته الوالى اذ ذاك بانه يقبل الشروط اذا كان الواسطة فيها فردينانددلسبس

ومع ذلك كله لم تعـلم الدولة العليـة بشئ من أعمال الوزير التونسى ثم ان فاتحة أعمال نائب فرنسا بعدامضاء المعاهدة طلبه من الوالى نفى على بن الزى

حالا لكلى لا يبيح بالاسرار التى اطلع عليها فنفى الى حصن قابس ثم ذهب الوزير بن اسماعيل الى باريس فى سفينة فرنساوية حربية شاكرا لانعام فرنسا بتلك المعاهدة ومعلنا لها بانه يصدق فى خدمتها أزيد مما كان يبذله سابقا فقلدته فرنسا باكبر نيشان لها مع الشريط الكبير ورجع الى تونس ولم يلبث بضعة أشهر حتى ورد الامر على الوالى من وزير فرنسا بعزله لان نائب فرنسا بتونس ذهب الى باريس وتفاوض مع دولته فيما يسلكونه فى تونس حيث ان الاعراب والجهات الجنوبية اعلنوا بانهم لايطيعون الوالى حيث انه بغى على الدولة العثمانية قديما وحديثا فلايحل لهم الخروج عليه ثم هرب عن الوالى جميع عساكره فاضطرت فرنسا لتعبئة الجيوش لاطاعة الاعراب وكان من جملة التدابير عزل ذلك الوزير الذى يتوقع منـه أن يفعل معهم مثل ما فعل مع البلد وكان مثله كمثل الوزير العلقمى الذى أدخل التتر فى بغداد وتسبب فى انقراض الخلفاء العباسيين ثم سكن رئيس العساكر الفرنساويه بدار المملكة فى بطحاء القصـبة وصارت الحكومة لاتتصرف فى شئ الا بامر الوزير الفرنساوى سواء كان فى الداخلية أوفى الخارجيه حتى تفاقم الضرر وعظم الكرب على القبائل والبلدان بماحصل فيهم من العساكر الذين أقاموا بقروان وسوسا وهدموا سفاقس وخرجوا من قابس بعد دخولها ثم عادوا اليها ومن ضمن خطايا الوالى والوزير أوشدة جبنهما ما يعلم من هـذه الحركه وهى ان قائد عساكر فرنسا أحضر شرذمة من عساكر فرنسا أمام قصر الوالى سواء كان بايعاز من الوزير التونسى كما قيـل أو غير ذلك وبيـده نسخة المعاهدة بالحماية فلما رأى محمـد باشا الصادق الباى العساكر الفرنساوية أمام قصره وكان القائد أرسل له فى داخـل القصر نسخة المعاهـدة للتوقيع عليها فقبل ان يسأل عن أسـباب حضور العساكر طلب المهلة أربع ساعات وقيل انه حرر تلغرافا للباب العالى يصف له الهيئة وقيـل بل بلغ الباب العالى من سفيره بباريس فما كان من الباب العالى الا انه حرر فى الحال تلغـرافا شديد اللهجة لسفيره فى باريس وباقى سفرائه فى عواصم أوربا بالاحتجاج وطلب سحب العساكر

من أمام قصر الوالى وتهو المسئلة بالمخابرات السياسية فحرر ناظر خارجية فرنسا وقيل الحربيـة للقائد بسحب العساكر من أمام القصر وان المخابرة جارية مع الباب العالى فى هـذا الشأن ولما ورد التلغـراف للقائد ردّه بتهو المسألة وسحب العساكر بمعنى ان الباى رغب حماية فرنسا دون العثمانية فالعجب كيف يطلب الوالى مهلة أربع ساعات التى لا تكفى لوصول التلغـراف للباب العالى لأن تبادل التلغراف بين الباب العالى وفرنسا وتونس يستغرق مدّه أطول من ذلك وكانت النتيجة ان أمضى الوالى الشروط فى الحال أما ناظر خارجية فرنسا فانه أسرع بمخابرة سفراء دولته فى عواصم أوربا بكل سرور عن مضمون تلغراف القائد على أن الباى اختار حماية فرنسا عن سيادة الباب العالى على تونس وأمرهم بتقديم المذكرات للدول بذلك ليجيبوا الباب العالى على احتجاجه وقد كان ثم جدّد الباب العالى الاحتجاج على أن تونس ليست للباى أى واليها وانه لايتنازل عن حقوقه حين سنوح الفرصة وحفظ الحق لنفسه على ذلك وأرسل لسـفرائه فى العواصم الاورباوية بما فيها فرنسا للتسجيل والثبوت وفى الواقع فان الذى كان يمكن اجراؤه هو ماذكر حيث اذ ذاك كانت الدولة العلية خرجت من حرب الروسيا حديثا وما كان من الصواب ان تحارب فرنسا وقتها خصوصا سـياسة الدول ضد الدولة كانت مجتمعة وكانت فرنسا تعلم ذلك وهكذا الدول الزاعمة بالتمدن تتخذ الفرص على طرائق غير شريفة للاغتصاب ومجردة من الشهامة والمروءة والآداب مثل ما كان يفعل ملوك الشرق

﴿ ترجمة وصية بطرس الكبير ﴾

من بطرس الاول الخ الى كل من يخلفنى على تخت الروسية التحية فان الله سبحانه وتعالى لم يزل منذ بداية الابد فى اعانتنا وأسدل فضله علينا بما حملنى على الاعتقاد بان الامة المسكوبية تتسلط (لا قدر الله) اذا شاء الله على الممالك الاورباوية والدليـل على ذلك أن الامم الاورباوية قد هرم أكثرهم وأخذ البعض منهـم

فى التلاشى فان أدركت الروسيا تمام قوتها لا شك أنها تتغلب على سائر الممالك لمالها من شوكة الشبوبية وعندى أن هجوم الامم الشمالية على أوربا من أحكام القدرة الالهية التى لابد من نفوذها كما وقع سابقا عند هجوم الامم المذكورة على مملكة الرومانيين فاحيتها بعد اضمحلالها وأنا وجدت روسيا جدولا صغيرا فتركتها نهرا كبيرا وأرجو أنه باعتناء من يخلفنى تصير بحرا عظيما يغطى بمياهه أوربا باسرها ولا يتعرض لسيلانه عرمرم فحملنى هذا الاعتقاد على ان أقرر هنا الاصول التى لا بد من اتباعها نظرا الى ادراك هذا المقصد المعتبر وهى

﴿ أولا ﴾

على ملوك الروسيا ملازمة الحرب لتكون جيوشهم دائما على حال الرياضة والاستعداد فلا يكفوا عن الحرب الا لاصلاح شأن المالية وجبر مانقص من العساكر وتربص فرصة الهجوم على الاعداء فالحرب والصلح يتناوبان حسبما تقتضيه الحاجة نظرا الى توسيع دائرة شوكتنا وفلاح البلاد

﴿ ثانيا ﴾

عليهم أن يجلبوا من سائر الاقطار الاورباوية العارفين بالفنون الحربية مدة الحرب أما مدة الصلح فعليهم جلب من اشتهر من العلماء لتنتفع الروسيا بما يلائم الاخرى من دون خسارة مالها طبيعة

﴿ ثالثا ﴾

عليهم التداخل فى سائر أحوال الممالك الاورباوية خصوصا المانيا لقربها الينا

﴿ رابعا ﴾

التداخل فى أحوال بلونيا وفى انتخاب ملوكها حتى لا تنتخب الا المحب للروسيا وادخال جيوشنا بها لحماية هؤلاء الملوك الى أن يتيسر التسلط على البلاد رأسا فان تعرضت الدول الاخرى تجب الاجابة الى مطالبهم الى أن نقدر على استرجاع ماسلمناه

﴿ خامسا ﴾

ناخذ من مملكة السويد مايمكن أخذه ونجعل بينهم و بين الدانيمرك عدوانا دائما

﴿ سادسا ﴾

لايتزوج أهل بيتنا الا بنات ملوك ألمانيا لتأكيد المحبة بين روسيا والمانيا وتكثير وسائل المواصلة بينهما

﴿ سابعا ﴾

يجب الاعتناء بمحالفة انكلترا لما لها من الحاجة الى أشجارنا لسفنها ولما نستفيده منها نظرا الى اصلاح شأن أسطولنا فضلا عن فائدة تبديل مالنا من الخشب وغيره من النتايج بذهب انكلترا أوما ينشأ منه من كثرة المواصلة بين تجارنا وتجارها

﴿ ثامنا ﴾

نمتد بقدر الامكان من جهة الشمال وعلى شواطئ البالتيك كما يجب السعى بالامتداد من جهة المغرب وعلى شواطئ البحر الاسود

﴿ تاسعا ﴾

نقرب الى القسطنطينية و الهنود بقدر الامكان فمن ملك القسطنطينية فقد ملك الدنيا فبناء على ذلك ينبغى ملازمة الحرب مع الترك ومملكة الفرس وجعل ترسخانه بشواطئ البالتيك والبحر الاسود وهذا من اللازم لنجاح ماقصدناه و ينبغى أيضا تعجيل مملكة الفرس بالاضمحلال وتنشيط التجارة التى كانت بين الشام وجبل قاف فنتقدم الى الهند التى هى مخازن الدنيا وان تحصلنا على ذلك فلا حاجة لنا بذهب انكلترا

﴿عاشرا﴾

يجب السعى فى تاكيد المحبة مع دولة النمسا باسعافها ظاهرا على ماقصدته من التسلط على ألمانيا مع اننا نحرّض عليها ملوك ألمانيا سرا

﴿حادى عشر﴾

نشارك النمسا فيما قصدناه من اخراج الترك من أوربا فان ظفرنا بالاستيلاء على القسطنطينية وأظهرت دولة النمسا شيأ من الغيرة لاجل ذلك فاننا نحث دولة من دول أوربا على محاربتها أو نسلم لها جانبا مما تحصلنا عليه ونسترجعه فى أول فرصة

﴿ثانى عشر﴾

نجمع سائر الاغريق ببولونيا وبممالك النمسا ونسعفهم بقدر الامكان بالحماية والدفاع عنهم حتى يكونوا لنا أحباء مابين الاعداء

﴿ثالث عشر﴾

بعد الاستيلاء على مملكة السويد وغلبة الفرس وبولونيا والتسلط على الممالك العثمانية وجمع جيوشنا ودخول أساطيلنا بالبالتيك والبحر الاسود نشرع فى المفاوضة السرية مع فرنسا ودولة النمسا فى قسمة الدنيا بيننا فان ارتضت احدى الدولتين ما نعرضه عليها نستعين بها على قهر الاخرى ثم نهجم عليها ونغلبها ولا يصعب علينا ذلك حينئذ حيث يكون بيدنا ملك المشرق ومعظم أوربا

﴿رابع عشر﴾

اذا امتنع كلتا الدولتين المذكورتين مما نعرضه عليهما وهذا مما يبعد وقوعه يجب السعى بتحريض احداهما على الاخرى فتتربص الفرصة ونهجم على المانيا بجيش عظيم ونوجه اسطولين الى البحر المحيط والبحر الاوسط للاستيلاء على

فرنسا وبعد قهر فرنسا والمانيا لايصعب الاستيلاء على باقى أوربا اه

هذه هى تصوّرات هذا الامبراطور المشهور فى عصره انه من أهم الرجال من منذ مائتى سنة تقريبا ولقد اهتم خلفاؤه اهتماما زائد حتى تحصلوا على بعض مما كان يتمناه بتمزيق مملكة بلونيا والاتفاق المستمر مع دولة النمسا والاستيلاء على بعض من ممالك ايران ومن ممالك كانت تحت سيادة الدولة العلية كالقريم والداغستان ولكن كل هذه الامور كلا شئ بالنسبة لهذة الوصية والحمد لله فالدولة العلية التى كان ينظرها بالتأخر الزائد وقرب الاضمحلال موجودة وهى أقوى بضعفين عما كانت عليه اذ ذاك ونسأل الله تعالى أن يمن علينا بتأييدها واستمرار تزايد قوتها انه على كل شئ قدير آمين

وحيث قد أتت الاحوال والظروف بما لم يكن فى الحسبان حتى وجدت دولة ضخمة من أمم ضعفاء فى نظر بطرس الاكبر وهى دولة المانيا فضلا عن نمو دولة انجلترا التى ماكان يحسب بطرس الكبير لها حسابا غير أخذ ذهبها فلذا خلفاء بطرس الكبير قطعوا آمالهم بتنفيذ هذه الوصية ويئسوا منها بالمرة

﴿حوادث مبادى الحرب الروسية العثمانية الاخيرة﴾

قد ثار ممالك البوسنا وهرسك والصرب والبغدان والافلاق والجبل الاسود والبلغار فى سنة ١٢٩٣ كما تقدم بالتحريضات الاجنبية وأعقب ذلك واقعة المرحوم السلطان عبد العزيز وما أعقبها من المسائل حتى كانت الدولة فى أحرج الحالات وكان حزب يرغب تشكيل مجلس نواب كبرلمانات أوربا ولما جلس مولانا السلطان حفظه الله وأيده بنصره أمر بذلك وأصدر الادارة السلطانية المشهورة بخط يده للصدر الاعظم محمد رشدى باشا ثم اهتم حتى قهر كافة الامم العاصية المذكورة رغما عن مساعدة الروسيا لهم سدى هذا من أمر الداخلية وأما من أمر الخارجية فان أحوال الدول واختلاف أغراضهم ومشاربهم المعلومة تحركت وفى مقدمتهن الروسيا التى استعدت للحرب فى ظرف نحو ربع قرن

اعنى من حرب قريم فى سنة ١٢٧١ لغاية سنة ١٢٩٤ تؤخذ الثار من الدولة العلية ولاغراض أخرى فحركت هذه الثورات البلقانية وحرضت الدول على ان يبطشوا بالدولة العلية فاظهروا الشدة على الدولة عدا الامة المجرية التى هى حكومة ممتازة تحت دولة النمسا فانها أظهرت للدولة المحبة الحقيقية رغما عن اجتهاد واهتمام النمسا بعرقلة ذلك وأخيرا عقدت الدول مؤتمرا بالاستانة من سفراءهم وهم ستة وقرروا مايأتى

﴿ أولا ﴾

تغير حدود الجبل الاسود الممتازة حكومته باعطائه بعض أراض من ممالك الدولة

﴿ ثانيا ﴾

تشكل لجنة من مندوبى الدول الاورباوية لتعيين تلك الحدود

﴿ ثالثا ﴾

ابقاء حكومة الصرب على حالتها السالفة بان تكون لالها ولاعليها وتقرر حدودها

﴿ رابعا ﴾

الولاة الذين يتعينون فى بوسنا وهرسك والبلغار ينتخبون من جانب الباب العالى مع موافقة دول أوربا على ذلك وابقائهم فى مأمورياتهم مدة خمس سنين

﴿ خامسا ﴾

نظرا الى الموقع الجغرافى تقسم تلك الولايات الى الوية ويتعين لها متصرفون من جانب الباب العالى بعد انتخاب أولئك الولاة لهم

﴿ سادسا ﴾

انشاء مجلس مركب من ثلاثة أعضاء لكل من الولايات ينتخبون من مجالس الولايات

لتحرير دخل الولاية وخرجها وانتخاب أعضاء مجالس الادارة وتوزيع الضريبة السلطانية على الاهالى ما عدا رسوم الجمارك والدخان الراجعة للدولة العلية

﴿ سابعـا ﴾

ابطال طريقة التزام مداخل الدولة واسقاط البقايا السابقة لكل من الولايات الثلاث

﴿ ثامنـا ﴾

دخل الولايات المذكورة عدا ماهو راجع للدولة كالدخان والجمارك يعطى منه قسط لخزينة الدولة العلية والقسط الثانى يصرف فى مصالح الولايات المذكورة وينظم لكل منهما دستورا للعمل بذلك

﴿ تاسعا ﴾

ترتيب المحاكم النظامية

﴿ عاشرا ﴾

اعطاء حرية الاديان (وهذا موجود من أول وجود الدولة العلية بل والمسلمين)

﴿ حادى عشر ﴾

تنظيم الحرس الاهلى

﴿ ثانى عشر ﴾

العفو العمومى عما سبق من الجنايات السياسية (فليتأمل)

﴿ ثالث عشر ﴾

اعطاء رخص للاهالى فى شراء الاراضى السلطانية

﴿ رابع عشر ﴾

الشروع فى تنفيذ تلك الشروط قبل مضى ثلاثة أشهر

﴿ خامس عشر ﴾

يعين لجنات من طرف دول أوربا للملاحظة على اجراء تلك الشروط اه

فلم تقبل الدولة هذا القرار بل احتجت بانها دولة قانونية حرة فجميع اصناف رعاياها على السواء خصوصا بالقانون الاساسى الذى أحاط به المملكة السلطان الغازى عبدالحميد حفظه الله وقدّمت مع الاحتجاج صورة الخط الشريف الآتى

(وزيرى سمير المعالى مدحت باشا)

ان سطوة سلطنتنا كانت فى حالة القهقرى فى الايام السالفة وأسباب ذلك التقهقر لم تكن ناشئة عن المشاق الخارجية فقط بل وقعت من أجل الانحراف عن الطريق المستقيم فى الادارة الداخلية أيضا حتى ضعفت الامانى ووثوق الرعايا بالدولة ولذلك كان المرحوم والدنا الماجد السلطان عبد المجيد منح بعض أصول فى تحسين الادارة معروفة بالتنظيمات الخيرية اشتملت على تامين جميع الرعايا فى أنفسهم ومالهم وعرضهم وشرفهم طبقا لقواعد الشريعة المطهرة والتنظيمات المذكورة هى التى كانت سببا لابقاء السلطنة محافظة على لوازم الامنية الى الآن ومن آثارها المشكورة انها سهلت لنا مساعينا فى تاسيس هذا القانون الجديد الذى اقتضته آراء رجال دولتنا التى نتجت عنهم بحريتهم حيث استندوا الى تلك الامنية وقد تيسر لنا فى هذا اليوم الاعلان به ولما كان هذا اليوم من الايام السعيدة فانه يلزمنى ان نذكر الآن المقدّس المرحوم والدنا ونصفه بعنوان محيى الدولة ولنذكر مقاصده الحسنى ولا شك انه كان سعى بنفسه فى ادخال السلطنة فى العهد القانونى الذى سنستظل به الآن ولو توفرت مدّة تاسيس التنظيمات الخيرية الاسباب المتوفرة الآن لكان والدنا المرحوم أسس اذ ذاك أحكام هذا القانون الاساسى ولكن العزة الالهية قدّرت أن يكون هذا التبديل السعيد

الذى هو الكفالة العظمىٰ لخير رعايانا فى مدّة ولايتنا ولله المنة على ذلك ومن المعلوم المقرر ان أصول ادارة الدولة صارت مغايرة للتبديلات المتتابعة التى وقعت شيأ فشيأ فى تصرفاتنا الداخلية وفى زيادة خلطتنا من دول الاجانب وغاية مرغوبنا ازالة جميع الاسباب المانعة للأمة وللبلاد من الانتفاع بالنتائج الطبيعية التى لهم الحق فيها كما يلزم وان نرى جميع رعايانا قد حازوا الحقوق التى من علائق الامم المهذبة بحيث يكونون كلهم متعاضدين بنية سالمة فى التقدّم و الالفة والاتحاد فكان من الواجب اتخاذ طريقة نافعة مستقيمة للحصول على المقصد المذكور ووقاية حقوق الدولة ومحو الخطيئات والغلطات الناتجة من الاعمال الغير مباحة الناشئة من وجود التصرف الاستبدادى بيد نفر واحد أو بعض أنفار وان تمنح حقوقا متساوية لجميع الطوائف المركبة منهم الامة وان نجعلهم فى حالة يمكنهم معها الانتفاع بخير الحرية والعدل ولا فرق بينهم فى ذلك وهذا هو الوجه الوحيد الصالح لحماية جميع المصالح وضماناتها وهذه القواعد الكلية أنتجت وجوب عمل آخر مفيد للغاية وهو وجوب تقييد أساس ارادتنا بصورة شورية قانونية ولذلك لما أصدرنا خطنا عند حضورنا على كرسى السلطنة قررنا بلزوم احداث مجلس للامة (برلمنتو) وقد اشتغلت جمعية خاصة مشكلة من رجال دولتنا وأهل العلم والمتوظفين والاعيان فى تأسيس أصول هذا القانون بغاية التدقيق ثم وقع التأمل منها بمجلس وزرائنا والموافقة عليها وهذا القانون اشتمل على اثبات الحقوق الراجعة للذات السلطانية وحرية جميع الرعايا العثمانيين السياسية والعرفية ومساواتهم لدى الاحكام السياسية والعرفية أيضا وبيان مسؤلية الوزراء والموظفين ومتعلقات وظائفهم وحق مجلس الامة فى الاحتساب على أعمالهم واستقلال المجالس الحكمية فى خدمتها والمعادلة بين دخل الدولة وخرجها معادلة حقيقية وقسمت التصرفات الحكمية بالاوطان مع بقاء النظر الاعلى فيها للدولة وجميع هذه الاصول المطابقة لاحكام الشريعة المطهرة ولضروريات الوقت ولمرغوبنا قابلت النية الحسنى التى شأنها تحقيق الخير للجميع حيث ان ذلك

غاية المراد وقد جعلت اتكالى على الله وعلى امداد رسوله فى ذلك وأنطت لعهدتهم هذا القانون بعد ان وقعت عليه بامضائى السلطانى و يقع العمل به حالا بحول الله تعالى فى جميع جهات السلطنـة فالآن صدرت ارادتنا بانكم تعلمون بهـذا القانون وتجرون العمل بمقتضاه من هـذا اليوم كما يجب عليكم أيضا اتخاذ جميع الوسائل اللازمة المتأكدة للاشتغال فى تهيئة التراتيب التى تضمن ذكرها القانون المذكور والله تعالى المسؤل ان يقرن بالنجاح سعى كل من اشتغل فيما يؤول الى نجاة السلطنة والامة كتب فى ٧ ذى الحجة الحرام سنة ١٢٩٣ اه

مع أن أعضاء المؤتمر لم يلتفتوا لهـذا الامر بل سافروا جميعا من الاستانة دفعة واحدة مظهرين العـداوة والتهديد للدولة العلية وكان هـذا الرفض عن رأى الامة لانها عقـدت مجلسا من وجوه أجناس رعايا الدولة حتى حضره المعـروف بالدراية الفريق رستم باشا وزير حربية ولاية تونس اذ ذاك حيث كان رسولا عن باى تونس فى تهنئة حضرة مولانا السلطان المعظم بالجلوس فاجمع جميع أولئك الاعيان على اختلاف دياناتهم على رفض تلك المطالب وقالت النصارى واليهود نؤثر اراقة آخر نقطة من دمائنا وصرف آخر درهم من مالنا على حفظ شرف مملكتنا من الاهانة بالتجزئة وكان ذلك نفاقا من أغلبهم عـدا الاسرائيليين ومسيحى الارانطة و بعضا من الاروام والاخير ان لم يرغبا ذلك حسدا للحكومات المطلوب استقلالها وامتيازها

فلما رفضت الدولة ذلك الاقتراح هاجت الروسـيا وماجت وحرضت الدول على الدولة العلية قولا بأنها أهانت جميع دول أوربا ومع ذلك قال اللورد سلسبورى الذى كان من أشد المخاصمين للدولة فى المؤتمر المذكور عنـد ما اسـتقر بمجلس الوزراء فى انجلترا لقد انصف القوم فى رفضهم المطالب (ونحن يصعب علينا معرفة سر المسئلة فى اختلاف قول اللورد) ثم ان الروسـيا زادت فى الالحاح على الدول بالبطش بالدولة العليـة فاجتمع سفراء الدول فى انجلترا شبه مؤتمر واستقر أمرهم على ارسال لائحة للدولة العلية وهذا ملخص تعريبها

ان الدول التى تعاطت عموما أسباب سلم المشرق واشتركت لهذا المقصود فى مؤتمر الاستانة قد رأت أن الطريقة الوحيدة فى بلوغ المقصد الذى اعتمدت عليه هى المحافظة على التوافق الذى وقع من حسن البخت بينهم ومع ذلك يجددون تقرير أمر يهمهم وهو من مصالح العموم أعنى تحسين حالة أمم النصارى بالممالك العثمانية واجراء الاصلاحات فى بوسنه وهرسك والبلغار حسبما قبله الباب العالى على أن يجريها من تلقاء نفسه وكذلك اعتبر عقد الصلح مع الصرب حجة اماما يتعلق بالجبل الاسود فان الدول تعتبر عقد الصلح معه أمرا مرغوبا فيه ولابد له من توطيد يقع به تعديل الحدود وتعطى حرية الجولان فى نهر البويانة لان الدول تعتبر التأويلات التى تقع أو ستقع بين الباب العالى وهاتين الولايتين كانها تقدمت خطوة الى السكون الذى هو الداعى لرغبتهم العمومية ولهذا يستدعون الباب العالى لتوكيده بترجيع العساكر على قدم السلم ولا يبقى منها هنالك غير عدد العساكر اللازمة لتقرير الراحة ويبادر الى اجراء الاصلاحات اللازمة للراحة وخير الولايات فى أقرب وقت حتى يقع ما اشتغل به المؤتمر وقرروا بمقتضاه ان الباب العالى حاضر الى اجراء القسم المهم من تلك المطالب وقد كان ظهر للدول بالنظر الى استعدادات الباب العالى الحسنة ومصالحه الحقيقية فى اجرائها انها متيقنة بما أملته من ان الباب العالى حيث انتهز هذه الفرصة الحاضرة فانه يقوم بحزمه لاجراء الوسائل المعدّة لتحسين حال النصارى حقيقة وهذا المطلوب من الامور الضرورية لراحة أوربا وحيث سلك هذه الطريقة علم يقينا ان من شرفه ومصلحته ان يجتهد فى ذلك العزم على وجه مستقيم فتطلبت الدول اذ ذاك ان تلاحظ كيفية اجراء الدولة العثمانية مواعيدها بواسطة وكلاءهم فى الاستانة ونوابهم واذا بات مأمولهم عديم النجاح مرة أخرى بان لم يتحسن حال النصارى رعايا حضرة السلطان بكيفية تمنع رجوع التشعبات التى تضطرب لها دائما راحة المشرق فربما يظهر لهم من الواجب ان يقرروا ان مثل هذا الحادث لا يوافق مصالحهم ولا مصالح أوربا وفى هذا الحال تتخذ الدول باعلان مايرونه عموما من

الطرق التى ستظهر لهم التزاما لتقرير الخير لأمم النصارى ومصالح السلم العمومى
كتب فى لوندره فى ٣١ مارس سنة ١٨٧٧ اهـ صفوة الاعتبار
فلما أرسلوها للدولة العلية كالبلاغ الاخير رفضتها بناء على طلب مجلس العموم وأن لها الحق فى ذلك حيث أن لها حقا فى ادارة شؤون بلادها بغير وسائط الدول وعدم ترك ممالكها عرضة للضياع والتجزئة وبان معاهدة باريس بعد حرب قريم القاضية باتحاد الدول يحفظ املاك الدولة العلية ومعنى ذلك أن الدولة العلية من ضمن الدول ذوات النظام والقوانين ويلزم ترك العداوة القديمة بينها وبين أغلب الدول فظنت أن الدول لا تتحد ضدها كما كان يحصل سابقا ومع ذلك فان جلالة السلطان ومدحت باشا رغبا الملاينة مع الدول والدخول فى المخابرات السياسية لتعديل هذه المطالب فى البلاغ الاخير فلم يقبل المجلس وأصر على الرفض بالمرة فقبل السلطان هذا الرفض لعدم سلب حرية المجلس لكنه كان سببا فى وقوع الحرب الاخيرة الهائلة وكانت سجالا بينهما حالة كون الامم البلقانية والجبل الاسود والبوسنه وهرسك والرومانية البالغ قدرهم نحو خمسة عشر مليونا من رعايا الدولة مع الروسيا ضد دولتهم وفضلا عن ذلك فان الدولة العليـة حاربت الامم المذكوره مدة سنين حتى قهرتهم كما أنها لم تكن فى استعداد مخصوص لهذا الحرب حيث لم تظهر الروسيا العداوة لها من عهد حرب قريم مكرا مع أنها كانت تستعد لها سرا منذ ربع قرن ثم قامت الحرب على ساق وظهر من صناديد العثمانيين ما هو معروف حتى أقر سائر الاجناس لهم بانهم أمة لم تزل حية شديدة سيما ما بدا من عسكر البطل الغازى عثمان باشا المشير فانه قاتل فى بلفنا التى صيرها حصنا عظيما فى مدة حربه بجيش لا يبلغ الاربعين ألفا جيشا عرمرما من الروس والرومان وغيرهم يتجاوز مائة وعشرين ألفا وقتل منهم ماينوف عن عدد جيشه ولولا سابقة القدر المعلوم بعدم انجاده لما تيسر للروس الغلبة بمجرد حصار جيشه حتى اضطر الى الهجوم لخرق الحصار بمن بقى سليما من جيشه الذى قدره سبع وعشرين ألفا فترا كمت عليه مائة ألف أو يزيدون الى أن جرح

وكاد أن يحرق الحصار لولا الجرح فاضطر الى التسليم فاقبل عليه القيصر بنفسه ولما سلم له سيفه قال له ان مثلك أيها البطل يحق له الفخر الدائم ورد اليه سيفه وكفى بها شهادة له وشرفا هكذا ذكره السيد محمد بيرم فى كتابه (صفوة الاعتبار) رحمه الله ومصداق ذلك ما أخبرنى به المرحوم راشد باشا كمال وكان رحمه الله هناك من أول حرب الصرب والعصاة لغاية انتهاء حرب الروسيا بصفته ضابطا بالجيش المصرى فى مسئلة بليفنا بنحو ما ذكره السيد محمد بيرم وزاد بقوله أن الروس هجموا فى أوائل الحصار مرارا عديدة وارتدوا بخسائر فاضحة أى باربعين ألفا على التقريب ثم تيقنوا أنه من المستحيل أخذها هجوما فالتزموا باستدامة الحصار فلو جاء الامداد بالمؤونة والذخيرة لم يمكنه أخذها وربما كانت الحرب سجالا حتى فى السنة التالية وربما ينتهى الامر بغير غرامة حربية ثم أخبر رحمه الله تعالى عن نشاط وشجاعة وصبر عساكر الدولة بما يحير العقول حيث أن فى أغلب الوقائع الحربية كان الروس والاعداء ضعفى العدد والحرب كان سجالا وأحيانا تنتصر عساكر الدولة بما يجبر الروسيين على الانسحاب وقال أيضا أن الروسيا كانت تمتاز بثلاث كثرة العساكر بزيادة عن الضعفين وكثرة فرسانها بما يبلغ خمسة أضعاف على التقريب وطوبجيتها كانت أرقى وأكثر بزيادة عن ضعف ونصف وأما امتياز عساكر الدولة فكانت باربع الشجاعة الفائقة والنشاط والصبر والحماس فى حب لقاء العدو اه وبالاختصار فان الروسيا وجدت من الصعوبة ما يخالف ظنها من قبل الحرب حتى اضطرت بطلب هدنة فبذا قامت عساكر الدولة بما أوجب الله عليهم جازاهم الله خيرا ومع ذلك فان هذا من الواجبات الدينية فقد ورد فى الصحيحين عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرج الا جهادا فى سبيلى وايمانا بى وتصديقا برسلى فهو على ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه الى مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة اه والحق يقال انهم ليوث هذا العصر

ومن هذا القبيل ما حكى عن ضابط مصرى انه كان مع ضابط عظيم أجنبى فى

مدينة جدّة واذا بعسكرى تركى مار الهوينا مطأطأ الرأس بغير جورب أمام نفسه لا يلتفت يمينا ولا شمالا فقال الضابط الاجنبى للضابط المصرى هل ترى هـذا العسكرى وحالته فقال له نعم فقال انه عنـد الحرب يكون مثل الفرخ الاسود الكبـير يعنى بذلك تشبيهه بالديك الرومى عنـد ما يرى شـيأ أحمر يهيج وينفش ريشه ويحمر وجهـه ويريد بذلك شدة حماسهم وبأسهم وتغـير أحوالهم العادية عنـد الحرب ولله الحمد على شهرة شجاعة وصبر عساكر الدولة قديما وحديثا ونسأل الله تعالى دوام قوّتهـم ونشاطهم وحفظهم هم وضـباطهم الكرام تحت ظل مولانا أمـير المؤمنين السلطان عبـد الحميد خان نصـــره الله آمـين

وكان الفراغ من ترجمة وتأليف وتبييض هذا الكتاب في شهر الحجة سـنة ١٣٢٢ الموافق لشهر دسمبر سـنة ١٩٠٤

﴿يقول مصححه ابراهيم حسنين المستخدم بديوان عموم الاوقاف﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يامن قصصت علينا أحسن الاقاويل في محكم التنزيل وجعلت أنباء الاولين تبصرة وذكرى للآخرين صل على سيد العرب والعجم المرسل الى كافة الامم نبي الرحمة وهادي الامة سيدنا محمد وآله وأصحابه الذين اتبعوه وعلى الاعداء نصروه فأيد الله بالحق كلمتهم وأعلى في العالمين دولتهم

وبعد فلما كان علم التاريخ من أهم العلوم العمرانية وكان من ألزمه وقوف كل أمة على تاريخ دولتها وما اعتراها في أدوارها من صحة واعتلال ونقص وكمال ورفعة وهبوط ورجاء وقنوط ومنشأ تلك العلل وأسبابها لينهج الخلق منهج السداد ويسلكوا سبيل الرشاد وينظروا أعمال أسلافهم وما أدت اليه وما يماثلها لديهم مما ينبغي القياس عليه فيتثبتوا ويأخذوا من حذرهم ويتدبروا وينظروا عاقبة أمرهم فما رأوه نافعا فعلوه وما كان مضرا اجتنبوه ليحسنوا حالهم ويبلغوا آمالهم

قام الفاضل الوطني الغيور حضرة ابراهيم بك حليم مفتش أوقاف دمنهور بتأليف هذا الكتاب الجليل مستمدا من التواريخ التركية ووسمه بـ(التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية) أبان فيه أطوار الدولة من عهد نشأتها الى الآن وحوادثها في كل سنة على وجه الاجمال وشخص العلة والداء ووصف العلاج والدواء مستشهدا بالنصوص القرآنية والاحاديث النبوية خدمة للدولة والملة في ظل الحضرة الفخيمة الخديوية وعهد الطلعة الميمونة العباسية من به نالت رعاياه الاماني سمو خديوينا المعظم ﴿عباس حلمي الثاني﴾ أدام الله أيامه ووالى علينا انعامه مهنأ البال بانجاله مؤيدا بوزرائه ورجاله

وكان طبعه بمطبعة ديوان عموم الاوقاف المصرية ذات العناية الفائقة
والصناعة المتقنة الرائقة في عهد ناظره عالى الهمم مثال التقى والكرم
من ارتقت في أيامه مصلحة الاوقاف الى ذروة السعادة والانصاف سعادتلو
الهمام الحازم عبدالحليم باشا عاصم بلغه الله من الخير مناه ومن المجد منتهاه
ملحوظا هذا الطبع الجميل بنظر الشاب الفاضل الذكى النشيط
حضرة أحمد أفندى سلامه مامور ادارة المطبعة المذكورة
حفظه الله وتم طبعه في أواسط شهر ربيع الثانى
من سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة وألف
من هجرة من له العزة والشرف
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
كلما ذكره الذاكرون
وغفل عن ذكره
الغافلون
آمين

بيان
الخطأ والصواب
الواقع فى هذا الكتاب

بيان الخطأ والصواب الواقع فى هذا الكتاب

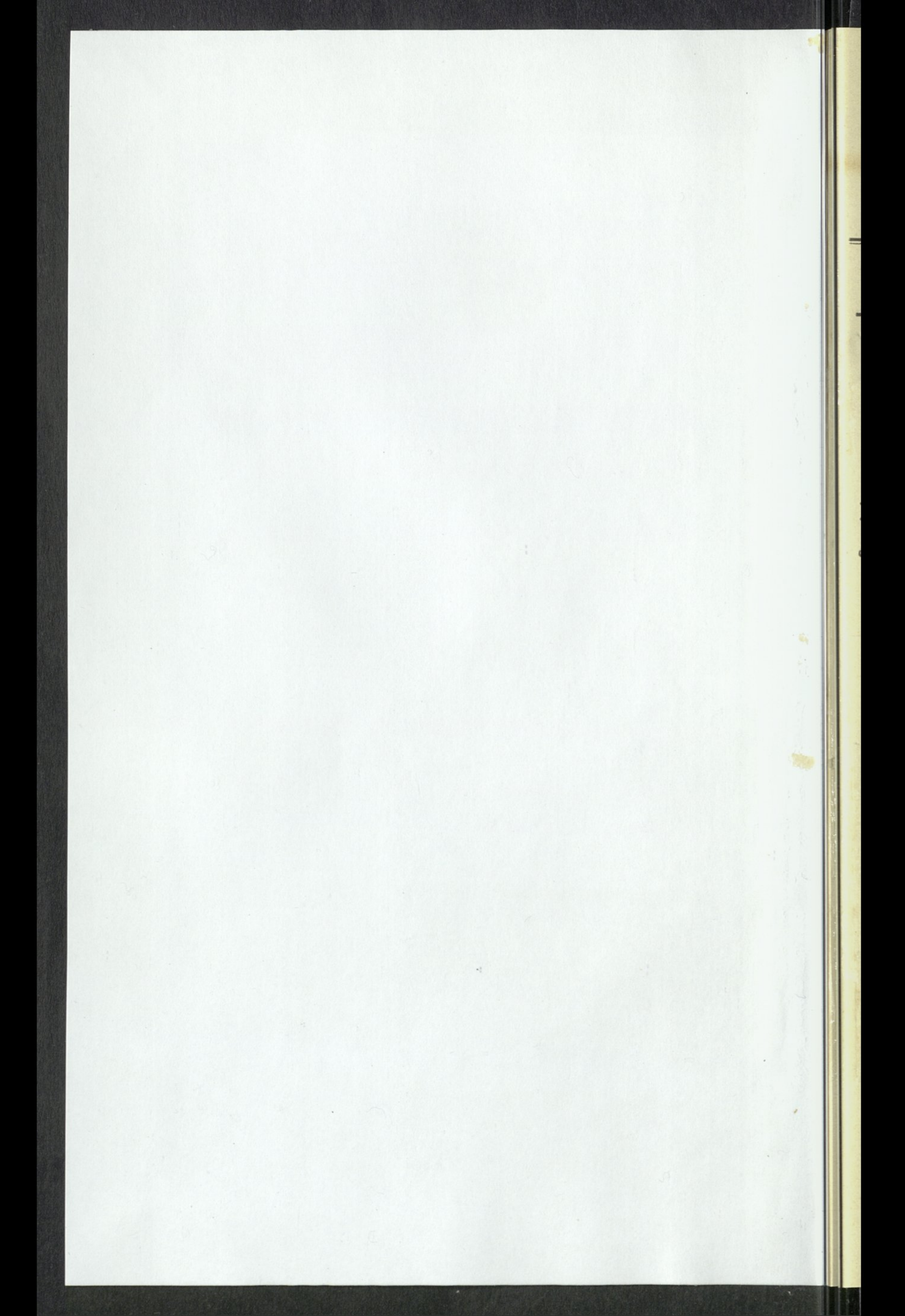
صحيفه	سطر	خطأ	صـــواب
١٠	١٠	ومتر كون لحفظ......	حتى لحفظ بلادهم
١٨	١٢	تترف	تشرف
١٨	١٥	أى لاتقاطعو	أى لايعطى أحد ظهره لاحد
٢٢	١	ان يقاتل المسالمين ...	لايقاتل المسلمين مع من غير
٣٤	١٢	أى ابن النهار.......	أى ولد النهار
٣٥	١٠	يارصار..........	يار حصار
٤٠	١٦	وبعدان جمعو	وبغدان وجمعو
٤٢	٩	من حدود العرب	من حدود الصرب
٤٥	٤	درقجيه	درنجيه
٥١	١	فريد بك	مزيد بك
٦٠	٢٠	فعبر منه جليل باشا ومعه.	فعبر منه ومعه خليل باشا
٩٦	١١	فى سنة ٩٤٥.......	فى سنة ٩٧٥
٩٦	١٢	فى سنة ٩٧١	فى سنة ٩٧٦
٩٧	١٣	وخمسين	وخمسين ألف
١٠٠	١٦	ومعه بعض عساكر ..	ومعه بعض عساكر مصريه
١٠٠	١٩	آبا صوفيه	أياصوفيه
١٠٠	٢٠	وفى سنة ٩٨٣	وفى سنة ٩٨٢
١٠٢	٧	الجمهوريات	الجمهوريتى
١٠٧	٨	قورقاق	قورقاق
١٠٧	١١	امبراطور ألمانيا وبولونيا	الاول امبراطور المانيا والثانى ملك بولونيا
١٠٨	١٢	مراد باشا المذكور ...	مراد باشا
١٠٩	٣	تر باكى	ترياكى
١٠٩	٢٤	وكذلك مرزفون	وكذلك ولايات مرزفون
١١٢	٣	شتيا باشا	شمسيا باشا
١١٦	١٣	أولاده	أولاد أحمد

بيان الخطأ والصواب الواقع فى هذا الكتاب

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
١١٧	٣	بعسا كر الغير	بعسا كر التتر
١١٨	٤	بو دنى	بو رنى
١٢١	١٦	أمير	أمير أمراء
١٢٢	٣	و باتخاذ	و باتحاد
١٢٦	٦	فارص	قارص
١٢٨	٦	جبوط	هبوط
١٢٨	١٥	اشتغل برأيه	استقل برأيه
١٢٩	١١	من عسا كر العراق . . .	من عسا كر القوزاق
١٢٩	١٨	ابن هيركون	ابن مير كون
١٣٠	١	ار ول	اردل
١٣٠	٢١	قرمان ا	قرصان القوزاق
١٣٢	١٩	جاميجه	جامليجه
١٣٨	١٢	أدرنه جامع	أور ته جامع
١٣٩	١	تقول ابشير باشا	تغوّل أبشير باشا
١٣٩	١١	وغيروهما مرتين	وغيروهما مرتين فى الاربعة أيام
١٤٠	٩	الدوله أوستريا	الدولة على أوستريا
١٤١	٣	بصاريقامس	بصارى قامش
١٤٣	٦	سو اش باشا	سياوش باشا
١٤٣	١٤	واستولت على	واستولت أوستريا على
١٤٣	١٦	سليمان باشا	اسماعيل باشا
١٤٤	١٤	عاد	أعاد
١٥٨	١٩	ايرونيل	أردبيل
١٥٩	٣	سر	سرا
١٥٩	١٠	توبان	توبال
١٦١	١١	ماجزبانه	مارجزبا

بيان الخطأ والصواب الواقع فى هذا الكتاب

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
١٦١	١٢	العذر	الغدر
١٦٧	١١	نفاى	نغاى
١٧٣	١٢	من جملة	من جملته
١٧٣	٢٣	مرور	ومرور
١٧٩	٥	احتلال	اختلال
١٨٢	١	وبغدان للروسيا	وبغدان للروسيا وطرد سفير فرنسا من الاستانة
١٨٢	١٢	بعد تحويرها رجح	بعد تحويرها بما يمكن وبعضهم قال بالثبات فرجح السلطان القول الاخير
١٨٢	٢٢	بسمتايه وأربعون	بسمتايه وأربعين
١٩٨	٣	وادنه	وارنا
٢٠٥	٢	عساكر الاكراد	عشائر الاكراد
٢٠٥	٢١	زمله	زحلة
٢٠٨	٢٣	بمغال أوغلو	بجغال أوغلو
٢٠٨	٢٤	ديزواريه	ديزداريه
٢٠٩	٣	واكتسبت	واكتتبت
٢١٨	٥	دايما	رايما
٢٢٠	٢١	رسانسى	ديسانسى
٢٣٢	١٦	منهاالاذن	من الاذن
٢٣٤	١٨	بالمصادفه	بالمصادمه
٢٣٨	٧	العثمانيه قديما	العثمانيه بدخوله تحت حماية فرانسا وانهم بايعوا أمير المؤمنين قديما وحديثا
٢٤٣	٢١	سدا	سرا
٢٤٤	١١	تؤخذ الثار	لاخذ الثار
٢٤٧	٣	من دول	مع دول
٢٤٧	١٣	ارادتنا	ادارتنا



DATE DUE

